اللغة

كيف تحيا؟ .. ومتى تموت؟

محمد محمد داود

الأستاذ بجامعة قناة السويس

اللغة كيف تحيا.. ومتى تموت؟

محمد محمد داود

اللغة

كيف تحيا؟ .. ومتى تموت؟

« لولا رسول الله محمد ﷺ

لكان العرب شعبًا مجهولًا كالإسكيمو أو الزولو،

ولولا القرآن لكانت العربية غير ذات أهمية،

إن لم تكن قد بادت ».

[المستشرقة الأمريكية المسلمة/ مريم جميلة]

16766

اللغـــــة

كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟

محمد محمد داود

الأستاذ بجامعة قناة السويس

اللغـــــة

كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ
أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الروم: ٢٢]

إهـــداء

إلـــى اللغـــة الخالدة .. عـــربيـة القرآن ..
التى يتـنكر لها أهلها ويرغبون عنها ..
وفيها ذكرهم، وفى حياتها حياة لهم .. !!!

محمد محمد داود

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
فهرس الموضوعات	٩
مقدمـــة	١٥
الفصل الأول (اللغة بين الحياة والموت)	١٩
المبحث الأول: حياة اللُّغَة	٢١
■ ما المقصود بحياة اللغة	٢٣
■ ما الأوضاع التى تَخْضَع لها اللُّغات فى وجودها؟	٢٤
(١) اللُّغَة الرَّسْمِيَّة	٢٤
(٢) اللُّغَة الوَطَنِيَّة	٢٤
(٣) التعدُّد اللُّغَوِىّ الاستراتيجىّ	٢٤
(٤) عدم التمييز بين اللُّغات	٢٥
■ انسجام وتوافق وصِدَام	٢٧
(١) حالة انسجام	٢٧
(٢) حالة توافق	٢٧
(٣) حالة صراع وتصادم	٢٩
■ كيف تحيا اللُّغَة؟	٣٠
■ اللُّغَة وصراع البقاء	٣١
■ ما المراحل التى تَمُر بها اللُّغَة فى حياتها؟	٣١
■ اللغة وعوامل الغَلَبَة والانتشار	٣٢

المبحث الثانى: اللُّغَة.. مَوْتٌ أم اختفاء؟! ٣٥
أولًا: هل حقًّا تموت اللغة؟ ومتى تموت؟ وكيف تموت؟ ٣٥
ثانيًا: ما أنماط موت اللغة؟ ٤١
١ - أن تموت اللغة موتًا طبيعيًّا ٤١
٢ - انتحار اللغة (موت اللغة قتلًا) ٤١
٣- موت اللغة بالتسمُّم ٥٣
ثالثًا: ما مُسْتَقْبَل اللُّغات فى العالَم؟ ٤٤
■ **مصير اللغات فى الميزان** ٤٩
رابعًا: ما الأعراض المرضيَّة التى قد تَظْهَر على اللغة وتُهدِّد بقاءها؟ ٥٣
خامسًا: ما درجات (مستويات) الخطورة التى يُمْكِن أن تتعرَّض لها اللُّغة؟ ٥٧
■ **تصنيف «كينكيد» Kincade** ٥٨
(١) لغات قادرة على الاستمرار: Viable Languages ٥٩
(٢) لغات قادرة على الاستمرار ولكنها صغيرة:
Viable but Small Languages ٥٩
(٣) لغات مُهدَّدة أو فى مرحلة الخطر: Endangered Languages ٥٩
(٤) لغات شِبْه مُنْقَرِضَة: Nearly Extinct Languages ٥٩
(٥) لغات مُنْقَرِضَة: Extinct Languages ٦٠
■ **تصنيف «ستيفن وورم»: Stephen Wurm** ٦٠
(١) لغات يُمْكِن تهديدها (فى مرحلة خطر مُمْكِن):
Potentially Endangered Languages ٦٠
(٢) لغات مُهدَّدة (فى خطر): Endangered Languages ٦٠
(٣) لغات مُهدَّدة بشِدَّة (فى مرحلة خطر كبير):
Seriously Endangered Languages ٦٠

(٤) لغات مُحْتَضِرَة (على حافَّة الانقراض): Moribund Languages ٦١
(٥) لغات مُنْقَرِضَة: Extinct Languages ٦١
نموذج تصنيفى للغات الأصلية المهدَّدة فى أمريكا الشمالية ٦١
سادسًا: كيف يُمْكِن تقييم درجات الخطورة التى قد تواجـــه اللُّغات المهدَّدة؟ ٦٢
المبحث الثالث: مَوْتُ اللُّغَة... وشُعورٌ بالغربة ٦٩
- ماذا يعنى فَقْد اللغة؟! ٧١
- كارثة مُحقَّقة ٧٤
اللُّغَة رمزٌ للثقافة ٧٦
اللغة الأُم.. للتعلُّق أسرار ٨٠
(١) ما سِرّ تعلُّق الإنسان بلغته الأُم؟ ٨٠
(٢) إذا غابت اللغة الأُم عن اللسان، هل يُمْكِن أن تغيب عن الفِكْر والوجدان؟ ٨٢
هوامش الفصل الأول ٨٨
الفصل الثانى: كيف تموت اللُّغَة؟! (تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدٌ) ٩٥
العوامل التى تُهَدِّد أمن الشعوب واستقرارها ٩٨
أولًا: الكوارث الطبيعية ٩٨
ثانيًا: الظروف (الأحوال) المناخية والاقتصادية ٩٩
ثالثًا: الأمراض المجلوبة من مناطق أخرى ١٠٠
رابعًا: الظروف (الأحوال) السياسية ١٠٤
العوامل التى تُهَدِّد هُوِيَّة الشعوب الثقافية ١٠٧
أوَّلًا: الاستعمار ١٠٩
- مساع دؤوبة لفرض واقع لغوى جديد ١٠٩
- الهيمنَة اللغوية ونتائج كارثية ١١٢

ثانيًا: القوَّة الاقتصاديَّة للثقافة المهَيْمِنَة ١١٣
ثالثًا: النفوذ السياسى ١١٤
رابعًا: الوَضْع الثقافى ١١٤
- العولمة الثقافية وصراعات غير متكافئة ١١٨
- العربية أمام تحديات خطيرة ١٢١
- اللُّغَة من الانحسار إلى الزوال ١٢٦

المرحلة الأولى ١٢٧
المرحلة الثانية ١٢٨
المرحلة الثالثة ١٢٨
ظاهرة التهجين اللغوى وتأثيرها المدمِّر على اللغة الأم ١٢٩
على من تقع المسؤولية ١٣٤
العَدَاءُ لِلُّغَة .. صوره وأشكاله ١٣٨
- فرنسا وعداء صارخ تجاه العربية ١٣٩
- الإنجليزية والروسية وفصل آخر من فصول العداء تجاه العربية ١٤٢
- العداء الذاتى للغة هو الأشد فتكًا والأخطر أثرًا ١٤٤
- ممارسات قمعية لا إنسانية من أجل تحقيق مبدأ التبعية ١٥١
- حضور أدبى مُعبِّر عن حجم الكارثة ١٥٣

هوامش الفصل الثانى ١٥٨

الفصل الثالث: المخـرَج من الأزمة ١٦٥

الطريق إلى إنقاذ اللغة ١٦٧

(١) رؤية اللغة بوصفها جزءًا من الثقافة (قرار علمى داعم) ١٧٠
- اللغة والثقافة والهوية ١٧١
- اللغة المهَيْمِنَة والثقافة ١٧٣

■ اللغة والدفاع عن نفسها (الفرنسية واليابانية نموذجًا) ١٧٤
■ النموذج الأول: الفرنسية ١٧٤
■ النموذج الثانى: اليابانية ١٧٥
■ الهوية الثقافية ودورها فى الارتقاء باللغة (العربية نموذجًا) ١٧٦
(٢) تمسُّك أهل اللغة بلغتهم واعتزازهم بها (قرار علمى داعم) ١٨٠
■ اللغات الكُبْرَى ومعايير القوة ١٨١
■ قوة اللغة من قوة أبنائها (العربية نموذجًا) ١٨٢
■ ضعف الأُمَم يقود إلى ضعف اللغة ١٨٦
■ الاعتزاز باللغة الأم أقوى جبهات الدفاع ضد محاولات تدميرها أو إضعافها ١٨٧
■ كفاح الشعوب من أجل الحفاظ على لغاتها ١٨٩
■ التجربة اليهودية ١٨٩
■ بلاد الاتحاد السوفيتى ١٩٠
■ نيوزيلندا وجهود مُعْتَبَرَة للحفاظ على اللغة الأم ١٩١
■ داريل بالدوين Daryl Baldwin ورحلة البحث عن وجود ١٩٢
(٣) حصول اللغة المهدَّدة على شرعية حقيقية ووَضْع مؤثِّر فى أعين الجماعة المُهَيْمِنَة (قرار سياسى مُمَكِّن) ١٩٤
مفهوم السيادة الوطنية وعلاقته باللغة ١٩٥
مظاهر السيادة فى الدولة الحديثة ١٩٥
■ فرنسا فى مواجهة الهيمنة الإنجليزية ١٩٧
■ ألمانيا تُخطِّط لحماية لغتها من الاختراق الأجنبى ١٩٩
■ بكين تحظر استخدام الكلمات الإنجليزية ٢٠١
■ القانون فى مواجهة الهيمنة الإنجليزية ٢٠٢
■ نكون أو لا نكون! ٢٠٦

■ ما معنى كون العربية مُهدَّدة بالانقراض وهى لغة القرآن الكريم؟..... ٢٠٨
(٤) اقتصاد قوى (قرار اقتصادى داعم)..... ٢١٠
■ اللغة سِلْعَة..... ٢١١
■ لمن تكون القيمة؟..... ٢١١
■ سوق الإنجليزية وحربٌ لغوية..... ٢١٢
■ العلاقة بين اللغة والاقتصاد..... ٢١٣
أولًا: اللغة العربية..... ٢١٤
ثانيًا: اللغة الإنجليزية..... ٢١٦
■ قوة الاقتصاد ومستقبل الإنجليزية..... ٢٢١
(٥) وجود قويّ فى النظام التعليمى (قرار علمى وسياسى واقتصادى)..... ٢٢٣
■ هيمنة الإنجليزية على المعرفة العالمية..... ٢٢٥
■ رد فعل قوى وحاسم..... ٢٢٧
(٦) الاستفادة من التكنولوجيا الرقمية (قرار علمى واقتصادى)..... ٢٣٥
■ الفريق الأول: أصحاب النظرة المتشائمة..... ٢٣٦
■ هيمنة الإنجليزية على شبكة المعلومات الدولية (Internet)..... ٢٣٧
■ الفريق الثانى: أصحاب النظرة المتفائلة..... ٢٤١
■ العربية وتكنولوجيا المعلومات..... ٢٤٢
■ كلمة أخيرة..... ٢٤٤
هوامش الفصل الثالث..... ٢٤٥
■ المصطلحات..... ٢٥١
■ الأعـــــلام..... ٢٦٤
■ مؤلفات أ.د./ محمد محمد داود..... ٢٨٣

مُقَدِّمَة

المشهد اللغوى عبر التاريخ البشرى يؤكد حقيقة تاريخية، هى أن اللغة ترتبط بأهلها قوةً وضعفًا؛ فقوة اللغة من قوة أهلها، وضعفها من ضعف أهلها، ويقع بين اللغات ما يقع بين البشر من تصارع وحروب، ويكون نتاج ذلك إمَّا السيطرة، وإما التمازج والاقتراض بين اللغتين، وإما التعايش معًا جنبًا إلى جنب دون غالب أو مغلوب، والبقاء فى النهاية يكون للأقوى.

- ويشهد التاريخ .. كم من لغات أصابها الضعف بعد قوة وسيادة! وكم من لغات اختفت حينًا من الدهر لم يكن لها ذكرٌ ولا وجود بسبب اختفاء أهلها عن مشهد التأثير فى الحياة، ثم سرعان ما ظهرت تحتل مكانًا لائقًا فى مشهد التأثير بين اللغات؛ وذلك بسبب عودة أهلها إلى مشهد القوة والتمكين، كاللغة العبرية مثلًا!
- وهناك لغات أخرى ماتت واندثرت، فلم يعُد لها ذكر ولا وجود بسبب فناء أهلها، فلم يبق متحدث واحد يتحدث هذه اللغة كما هو الحال فى اللغة الهيروغليفية واللغة الفينيقية واللغة السريانية.
- غير أن حركة القوة والضعف للغة، أو الاختفاء والموت لا تجرى فى اللغات خبط عشواء، بل وفق سُنة لغوية تنتظم فى عوامل وأسباب للقوة والسيادة، كاعتلاء أهليها مراكز سيادية فى التقدم العلمى والاقتصادى والسياسى .. ونحو ذلك، كما هو الحال فى اللغة الإنجليزية؛ فإن أكثر من ٨٠٪ من الإنتاج العلمى العالمى باللغة الإنجليزية.

- وتؤكد الدراسات اللغوية قديمًا وحديثًا أن علاقة اللغة بقوة أهلها وضعفهم علاقة جدلية؛ كلاهما يؤثر فى الآخر قوةً وضعفًا، حياةً وموتًا.

وتتناول هذه الدراسة موضوع حياة اللغة وموتها فى ثلاثة فصول:

- يأتـى الفصـل الأول لبيان حياة اللغة وما يتهدد هـذه الحياة، فينتهى بها إلى الضعف أو الاختفاء ثم الموت.
- ويأتى الفصل الثانى لبيان العوامل التى تُهَدِّد أمن الشـعوب واسـتقرارها، وتُهَدِّد هُوِيَّتهم الثقافية، مما يكون له أبلغ الأثر فى ضعف اللغة وموتها.
- ويأتى الفصل الثالث لبيان المخرج من الأزمة، وكيف يمكن بعث اللغة من جديد لتعود إلى القوة والسيادة.
- ثم يأتى الختام بكلمة الفصل فى الموضوع.
- والدراسـة عـلى هـذا النحو رحلة شـيقة للتعـرُّف على سر مـن أسرار حياة الإنسـان على الكوكـب الأرضى، وللوقـوف على حقائق ومعـالم منقذة إذا أردنا بلغتنا العربية وبأنفسنا خيرًا.

وأشكر ربى وأحمده على توفيقه لإتمام بحث هذا الموضوع بعد أن بدأته بكتابى السابق: «اللغة والقوة والحروب اللغوية».

والله تعالى أسال أن يتقبله منى بفضله وكرمه.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

محمد محمد داود

٢٠١٦/١/١م

قصة هذا الكتاب

تعود قصة هذا الكتاب إلى عام ٢٠٠٤م فى إنجلترا بجامعة ليدز Leeds University حيث كنت فى مهمة علمية، وكان من بين الموضوعات التى فى بؤرة اهتمامى موضوع «موت اللغة» ... وأقمت نقاشات عديدة مع أساتذة التخصص هناك، وكان تلاميذ العلامة اللغوى «ديفيد كريستال» وآثاره العلمية حافزًا قويًّا لى لسبر أغوار الموضوع، وكانت نقطة الانطلاق من كتابه «موت اللغة Langauge Death»، حيث أثار الكتاب – فى عقلى – أسئلة محورية مستحقة فى هذا المعنى:

كيف تموت اللغة؟ وهل حقًّا تموت اللغة .. أم أنها تختفي؟ وهل الموت هنا مجازى أم على الحقيقة؟ بمعنى أنها تندثر ولا يبقى لها أثر، وهل من ضوابط علمية لهذه القضايا؟ وماذا يعنى موت اللغة؟ إن الكلمات لا تموت وحدها، بل يموت معها شعبها وتموت معها ثقافات.

وغير ذلك من الأسئلة وثيقة الصلة بقضية «موت اللغة».

وعاشت معى هذه القضية وعشت معها سنوات حتى استوى فكرها فى عقلى؛ فأصبح القلم فيها سيالًا؛ فأَذِن الله تعالى بتمامها وإخراجها إلى النور.

إن موت اللغة موضوع فرضته علينا العولمة، فى إطار محاولة الكيانات الكبيرة فرض لغتها على الآخر، وابتلاع كيانات صغيرة واستلاب هويتها اللغوية والثقافية، وأصبحت لغات كثيرة مهددة بالزوال، وأمام هيمنة اللغة

الإنجليزية على العالم وجدت اللغات الأخرى نفسها فى موطن الخطر مهددة إمّا بالتراجع أو الاختفاء أو الموت، فحاولت بعض اللغات كسر احتكار اللغة الإنجليزية وهيمنتها، كما صنعت الفرنسية واليابانية.

واللغة العربية ليست بمعزلٍ عن هذا الصراع اللغوى، إنها فى قلب الحدث؛ لذلك نشطت همتى بسبر أغوار هذه القضية للإحاطة بمعالم المشهد اللغوى فى حلبة الصراع، فاللغة هى الأصالة والتاريخ والأنا.

ولعل فى ذلك الجهد بعض الوفاء للغتنا الخالدة .. عربية القرآن، التى فيها ذكرنا، وفى حياتها حياة لنا.

الفصـــل الأول

اللغـــة .. بين الحياة والموت

- المبحث الأول: حيـــاة اللغـــة.
- المبحث الثانى: اللغـــة موت أم اختـــفاء؟!
- المبحث الثالث: موت اللغـة.. وشعـور بـالغربـة.

المبحث الأول

حيـــاة اللغـــة

حيـــاة اللُّغَـــة

ما المقصود بحياة اللغة؟

للغة وظائف عديدة .. فكرية ونفسية واجتماعية .. إلخ، ويأتى فى مُقدِّمة تلك الوظائف، الوظيفة الأساسية للغة التى لا تغيب أبدًا، وهى وظيفة التواصل بين الناس، فليس كل الناس مُفكِّرين ولا علماء ولا .. ولا .. ، ولكن كل الناس فى حياتهم اليومية يتواصلون باللغة (مثل عبارات التحية والسلام، وعبارات قضاء الحوائج، وطلب أمور الحياة الأساسية، ونحو ذلك من لغة الحياة اليومية).

وللغة أشكال عديدة: مسموعة، ومنطوقة، ومكتوبة، وتختلف المستويات اللغوية أيضًا، بين عاميَّة وفُصْحَى، وقديمة ومُعاصِرة ... إلخ.

وينضوى تحت هذا التنوُّع اللغوى: اللهجات المختلفة، واللغة الرسمية، واللغة الدينية، ولغة العِلْم .. إلخ.

وفى هذا المبحث نتناول الأوضاع والأشكال التى تحقق وجود اللغة حية وقوية فاعلة، وكيف تتأثر اللغة بأوضاع الانسجام والتوافق فى مقابل أوضاع الصراع، ويتصدى هذا المبحث للإجابة عن سؤال مستحق، هو:

ما المراحل التى تمر بها اللغة فى حياتها؟

■ **ما الأوضاع التى تَخْضَع لها اللُّغات فى وجودها؟**

تَخْضَع اللُّغات فى وجودها الحىّ إلى مجموعة من الاعتبارات:

(١) اللُّغَة الرَّسْمِيَّة:

حين تَحْظَى اللغة بقوَّة القرار السياسى الداعم لها، بجعلها اللغة الرسمية، يكون لها الوجود الفعلى فى جميع أنشطة الدولة الرسمية (إعلام - تعليم - قضاء ..إلخ) وتُسْتَعْمَل من طرف الدولة ومؤسساتها فى علاقاتها بالمواطنين، الشـىء الذى يمنحها حقوقًا نوعية فيما يَخُصّ استعمالها فى إصدار الأحكام من طَرَفِ القضاء، وفى المساطر القضائية، والمؤسسات التشـريعية، وأيضًا فى القوانين والخدمات وأشكال تواصل الحكومة مع المواطنين. وقد تختلف هذه اللغة عن اللغة الأولى (الوطنية الأصلية)؛ إذ قد تكون لغة أجنبية يتم اختيارها لتكون لغة رسمية تحاشيًا لاضطرابات داخلية قد تنشأ إذا اخْتيرَت لغة محلية دون سواها فى مجتمع مُتعدِّد اللغات[١].

(٢) اللُّغَة الوَطَنِيَّة:

ويُطْلَق عليها أيضًا «اللغة الأصلية»، وتكون اللغة الأولى لمعظم أفراد شَعْبٍ ما فى بلدٍ ما[٢]. والاعتراف بلغة من طَرَفِ الدولة كلغة وطنية لا يُلْزِمها باستعمالها فى مصالحها، ولكنه يُلزِمها بحمايتها والعمل على تطويرها، وتسهيل استعمالها من طَرَفِ المواطنين.

(٣) التعدُّد اللُّغَوىّ الاستراتيجىّ:

ويرتكز على مبدأ عملى، أى أن الدولة قد تلجأ إلى لغتين أو أكثر، استجابة للضـرورة المتعلِّقة بالاتِّصال والوضعية السياسية والاجتماعية،

والاقتصادية والدينية، دون أن يكون اختيارها قائمًا على تفضيل لغة على أخرى[٣] (إندونيسيا نموذجًا: حيث يوجد أكثر من ٢١٨ لغة).

(٤) عدم التمييز بين اللُّغات:

ترتكز بعض الدول فى ذلك على المبدأ المتعلِّق بنَبْذ التمييز المنصوص عليه فى الميثاق العالمى لحقوق الإنسان، وتكتفى به دون سَنّ قوانين خاصَّة بالمجال اللغوى؛ إذ إن الميثاق يحيل على نَبْذ التمييز على أساس لغوىّ فى البند الثانى منه الذى جاء فيه:

«من حَقّ المجتمع أن يتمتَّع بجميع الحقوق والحرِّيات المُعْلَنة فى هذا الميثاق، دون أدنى تمييز قائم على العِرْق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأى السياسى، أو أى رأى آخر...»[٤].

ومن الجدير بالذكر أنه فى المجتمعات البسيطة أُحادية اللغة، تتمظهر اللغة فى صورةٍ واحدة، تنطلق فيها من الهوية وتعود إليها، وتصبح اللغة الثابتة، الشخصية الوطنية، ثم الرَّسْمِيَّة. وهذه الحالة نادرة الوجود فى عالمنا، باعتبار أنه حتى فى بعض المجتمعات التى يُنْظَر إليها على أنها أحادية، تتمظهر اللغة على مستويين: الفصيح والدارج، أو الكلاسيكىّ والعامىّ، ويُلاحَظ نوع من التباعد بينهما نتيجة تأثيرات عِدَّة ترتبط بطبيعة اللغة فى حَدِّ ذاتها: مَدَى تماسكها وقوتها، وتأثيرها وتأثُّرها باللغات الأخرى، خاصَّة فى المجتمعات الحديثة الاستقلال التى تعانى من رواسب الاستعمار، فرغم اعتمادها لغة رسمية واحدة، إلَّا أنه بسبب عدم التخطيط اللِّسانىّ الجيِّد، وبسبب اعتماد سياسات لغوية غير سليمة تغلب عليها الارتجالية، وعدم

وجود ظروف سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية مناسبة، ونتيجة التخلُّف الاقتصادىّ - يزداد التباعد بين الرَّسْمِىّ وما يُوجَد فى الواقع (العامّى). هذا التباعد يُحْدِث خَلَلًا فى انسجام الأنا مع الذات، نتيجة الانبهار بالآخر؛ بلغته وثقافته التى تمثل الحضارة والتقدُّم والحرية(٥).

أمَّا فى المجتمعات المركَّبة (أمريكا نموذجًا) فكل شىء مُتعدِّد: الثقافة، الأعراف والتقاليد، وحتى المعتقدات؛ فبدلًا من هوية واحدة تُوجَد هويات، وبدلًا من لغة واحدة تُوجَد لغات. وفى المجتمع المتعدد اللغة، تُشكِّل تمظهرات اللغة تجسيدًا واضحًا لشبكة العلاقات المختلفة بين الأنا والآخَر، علاقات تخضع للتجاذب حينًا، والتصادم حينًا آخَر، يؤسِّسها تموقع لغة مقابل لغة أخرى، إمّا انطلاقًا من مكانتها السيادية المتحكِّمة فى الأمور الرسمية فى المجتمع، وإما اعتمادها كرافد أساسىّ لها، وإما خضوعها لها وعدم اعتمادها فيها أساسًا.

وتبعًا لهذه العلاقات تطفو على السطح قضية الانتماء والهوية، وتتفاعل إمَّا سَلْبًا وإما إيجابًا، وتُؤخَذ مَطِيَّة وشعارًا أو سلاحًا لإثبات الذات أمام الآخر. وتبعًا لذلك كله يصبح اختيار لغة رسمية لمجتمع من هذا النوع أمرًا غير محسوم مُسبقًا، بل بالعكس تتجاذبه مجموعة من الحسابات والخلفيات، ويصير ـ إذا لم يخضع إلى تخطيط لغوىّ مَبْنىّ على أُسُس سليمة ـ محفوفًا بالمخاطِر، بالنظر إلى التركيبة الإثنية (العِرْقِيَّة) Ethnic Structure المعقَّدة لبعض المجتمعات. وتبعًا لحساسية علاقات هذه التركيبات يأخذ الأمر بُعْدًا آخَر، كثيرًا ما يقترن بالهوية والوجود والانتماء. وقليلة هى المجتمعات ـ من

هذا الصنف ـ التى تعتمد لغة رسمية واحدة، دون أن يؤثِّر ذلك سَلْبًا على الحياة السياسية فيها.

انسجام وتوافق وصِدَام:

للغة الرسمية حالات تَمَظْهُر مُتباينة فى علاقتها باللغات الأخرى فى هذه المجتمعات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) حالة انسجام:

وفيها تكون اللغة هى المعْتَقَد، هى الهوية نفسها، هى الغاية والذات المنشودة، بل أكثر من ذلك، إنها المصير التى يصبح معها لا معنى للأنا الفردىّ الذى يذوب فى الأنا الجمعىّ. ويتفرَّد بهذه الحالة ما يَحْدُث فى إسرائيل؛ فربما هى الحالة الوحيدة التى يُخْتزَل فيها الأنا المتعدِّد فى الأنا الواحد – فعليًّا وعمليًّا، فرغم تعدُّد التركيبات الاجتماعية الوافدة إليها، وتعدُّد اللغات باعتبار البلدان التى هاجرت منها، إلَّا أنها تصبو جميعها لتوظيف اللغة العِبْرِيَّة، بل الأكثر من ذلك حرصها هى نفسها على ذلك – عدا عرب فلسطين المسلمين الموجودين داخل إسرائيل – فبالرغم من عدم استعمال العِبْريَّة على نطاق واسع بين السكان فى إسرائيل فقد اختاروها لتكون اللغة الحكومية الرسمية[٦]. فاللغة الرسمية هنا هى المعْتَقَد، هى الهوية، كونها الخصوصية والمميِّز عن الآخَر.

(٢) حالة توافق:

وتتَّخِذ أشكالًا ثلاثة:

(١) اللغات الوطنية جميعها لغات رسمية، وذلك حفاظًا على تعدُّد هويّات المجتمع، وفى هذه الحالة تحتفظ كل مجموعة إثنية بلغتها (عنوان

هويتها)، لكنها تتوافق مع الآخَر، تَقْبَله، وتتكامل معه حفاظًا على الهوية الجمعية للوطن الواحد. ورغم أن هذه الحالة لم تتجسَّد فى بعض الدول إلَّا بعد كفاح طويل وطول نَفَس؛ نتيجة سيطرة وتسلُّط لغة واحدة على اللغات الأخرى، إلَّا أنها جَنَّبت هذه الدول التفكُّك والتصدُّع، كونها خضعت لتخطيط لغوىّ صارم سُخِّرَت له كل الإمكانات حتى ينجح. والأمثلة على هذا النوع كثيرة، لعل أهمّها ما يَحْدُث فى «سويسرا»؛ حيث تتكامل اللغات الفرنسية والإيطالية والألمانية باعتبارها لغات وطنية اُعْتُمِدَت جميعها كلغات رسمية لهذا البلد. والأقرب منها «بلجيكا»؛ حيث رُسِّمَت اللغتان الألمانية والفْلامِيَّة (الفلمنكية) Flemish Language بعد أن كانت اللغة الفرنسية هى المسيطرة، فرأى «الفلاندر» Flanders و«الوالون» Walloons أن فى ذلك انتقاصًا من شأنهم وتهميشًا لهويتهم، وكان لهم ما أرادوا بعد طول مطالبة لإثبات الذات والوجود، وعدم القبول بالذوبان فى لغة الغير وثقافة الغير وهوية الغير.

(ب) يُوجَد فى بعض الدول عدد لا يُحْصَى من اللغات واللهجات، وهى حالة يَصْعُب معها اعتماد لغة من هذه اللغات الوطنية لغة رسمية، أو التفريط فى لغة أخرى وتهميشها؛ نظرًا لتشبُّث كل مجموعة بلغتها، وعدم توفُّر الشروط العلمية والعملية لجعل هذه اللغات لغات رسمية، وعدم توفُّر الإمكانيات الكافية لذلك. وفى هذه الحالة لجأت بعض الدول إلى اعتماد لغة دخيلة لغة رسمية، فاختارت لغة الاستعمار، فأحدث ذلك توافقًا بين اللغات الأخرى. وبعض الدول الأفريقية مثال حَىّ لذلك، ومنها «السنغال» التى يُوجَد بها حوالى سِت لغات وطنية – الوُلُفِيَّة Wolof

والبولار Pulaar والسيرير Serer والماندينج Mandingo والديولا Diula والبلانت Balanta-Ganja – إلَّا أنها اعتمدت اللغة الفرنسية لغة رسمية، لتحافظ بذلك على انسجامها الإثنىّ (العرقيّ)، وإن كان فى ذلك جنوح للآخَر على حساب الذات وما يَحْمِل ذلك من تَبَعِيَّة فكرية.

(جـ) هى حالة تُشْبِه إلى حَدٍّ بعيد الحالة السابقة، إلَّا أنها تختلف عنها فى اعتماد لغة رسمية لا تحمل خصوصيات وطنية فحَسْب بل حتى إقليمية. والواقع أن هذه الحالة تُشكِّل أيضًا حالة نادرة، بالنظر إلى أن التعامُل مع اللغة يكون له أكثر من دلالة: دلالة الانتماء إلى العرق، وإلى المكان، وإلى الهوية فـى مفهومها الجمعىّ الواسع. وفى هذه الحالة نجد أن اللغة المسْتَعمَلَة عنوانها التحدِّى وإثبات الذات ليس إلَّا؛ لأنها لا تمتلك جميع مواصفات اللغات الرسمية الأخرى ولا تتوفَّر على جميع الإمكانيات المتاحَة لغيرها، ورغم ذلك تحاول أن تَجد لها مكانًا سياديًّا، بدلًا من أن تَبْقَى تابعة ويَبْقَى معها المجتمع كله مُجتزئ الهوية[٧]. ويرى بعض المخْتصين أن أفضل الأمثلة الحديثة لذلك ما يُقدِّمه اتِّخاذ اللغة السواحلية اللغة الوطنية فى تنزانيا بشرق أفريقيا، على الرغم من وجود عدد كبير من اللغات القَبَلِيَّةِ بالإضافة إلى الآثار الاستعمارية للإنجليزية، ولكن أنظمة التعليم والتشـريع والحكومة أدخلت بالتدريج اللغة السواحلية لتصبح لغة رسمية[٨].

(٣) حالة صراع وتصادم:

قد تصبح اللغة الرسمية رديف الإقصاء والتهميش ورفض الغير، وذلك عندما تأخذ طابع السلطة دون احترام خصوصية الآخَر أو الاعتراف بهويته،

فيصبح الدفاع عن اللغة والثقافة دفاع عن الوجود، فيبدأ الصـراع ويأخذ مَنْحى يتسبَّب فى حالات مواجهة وتصادم[٩]. وهناك صراع لغوىّ عندما تتواجه لغتان واضحتا الاختلاف: لغة هى المهيمنة سياسيًّا – فى الاستعمال الرسمىّ والاستعمال الشَّعْبيّ– ولغة أخرى مُهَيْمَن عليها[١٠]، وتَبْقَى مع الصراع بؤر التوتُّر قائمة على غِرار ما يَحْدُث فى بعض دول أمريكا الجنوبية والهند، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التى يبدو فيها – ظاهريًّا – انسجام لغوى؛ حيث يُفْتَرض أن بلدًا كالولايات المتحدة الأمريكية مجتمع مُنْسَجِم اللغة؛ حيث يتحدَّث كل فرد فيها باللغة الإنجليزية.. وهذه نظرة خاطئة، فهى تتجاهل وجود مجموعات كبيرة ليست الإنجليزية لغتهم. ومن الأمثلة على ذلك أن الغالبية من سكان «سان أنطونيو» San Antonio و«تكساس» Texas يفضِّلون سماع برامج الإذاعة الإسبانية بدلًا من الإنجليزية[١١]. والعرب يفضِّلون سماع البرامج العربية ... وهكذا.

كيف تحيا اللُّغَة؟

من سمات اللغة أنها مُتغيِّرة؛ حيث ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، فهى المرآة التى تعكس كل مظاهر التغيُّر والتحول فى المجتمع؛ رقيًّا كان أو انحطاطًا، تحضُّرًا كان أو تخلُّفًا .. لذا كان التغيُّر سُنَّة جارية فى سائر اللغات الحيَّة وإن اختلفت نسبته.

وقوة اللغة من قوة أهلها، ويعتمد ذلك ـ بالدرجة الأولى ـ على الثقل السياسى، والمركز الثقافى، والعلمى، والتقنى، والاقتصادى، وشواهد التاريخ – قديمها وحديثها – تُظْهِر بجلاء أنه لم تتقدَّم دولة ولم تُشيَّد حضارة

لم تكن العلوم والتعليم فيها بلغة الأُمَّة نفسها، لا بلغة أجنبية عنها، وإذا ضعفت قوة الابتكار فى شتَّى مجالات الحياة توقَّفت اللغة، وإذا توقفت اللغة تقهقرت الأُمَّة، فذلك هو الموت والاندثار.

واللغة هكذا كائن ديناميكى مُتحرِّك مُتغيِّر مثل الكائنات الحيَّة؛ تنمو وتتطوَّر وقد تختفى حينًا من الدهر، أو حتى تموت وتندثر .

اللُّغَة وصراع البقاء

- **ما المراحل التى تَمُر بها اللُّغَة فى حياتها؟**

تُولَد اللغة مثلها مثل باقى الكائنات، وتبدأ أولى خطواتها ضعيفة كالطفل، ثم تنمو شيئًا فشيئًا حتى تصبح يافعة، ثم تدخل مرحلة الشباب والعنفوان، وهى مرحلة الترحال والسَّفَر والاحتكاك مع الآخرين، ثم تأتى مرحلة الاستقرار والازدهار والتطوُّر[١٢]، ولنا فى الإنجليزية الشكسبيرية القديمة – التى تحوَّلت بمرور الوقت إلى الإنجليزية التى نعرفها اليوم – مثال على ذلك، ومثلها الإغريقية القديمة التى انتهت إلى اليونانية المعروفة الآن.

وكما هو معلوم تُوجَد كائنات حيَّة قوية البِنْيَة والبدن تتحمَّل الصعاب والتغرُّب، وهى التى لديها المناعة الكافية ضد الأمراض المعْدِيَة، وأخرى ضعيفة البِنْيَة تنهار أمام أى عدوى قد تصيبها.

هذا من جانب، ومن جانب آخَر فكل كائن حَىّ مُعرَّض للتغيير والضعف؛ من مرضٍ وشللٍ وزوال، وهذه الحالات كلها تَنْطَبِق أيضًا على كينونة اللغة وحالها.

نقطة أخرى مهمة مشتركة بين الكائنات الحيَّة، هى أنه لدى بعضها القدرة على التكيُّف والتأقلم والاندماج والانصهار ببيئات ومحيطات وأجواء

جديدة مختلفة كل الاختلاف عن مواطنها الطبيعية، أمَّا الكائنات التى ليس لها القدرة على التكيُّف والعيش فتنقرض وتزول.

واللغة – أيضًا بالمعنى المجازى – تنطبق عليها تقريبًا كل هذه المواصفات المذكورة آنفًا؛ فاللغة كمثل بعض المخلوقات، تهاجر وتتأقلم وتنصهر بلغات أخرى، وتنتشـر وتتوزَّع وتعيش وتستوطن بمناطق غير موطنها الأصلىّ الطبيعىّ، وذلك إمَّا عن طريق القوة والسيطرة والتحكُّم والتبشير بفكرةٍ ما، وإمَّا عن طريق التقنية الضرورية للحياة اليومية كالتكنولوجيا، وإما عن طريق التجارة، وإما عن طريق السياحة بأنواعها المختلفة، ونحو ذلك من الوسائل والعوامل.

اللغة وعوامل الغَلَبَة والانتشار:

لا ريب أنه تتكامَل عوامل جغرافية، واقتصادية، وتجارية، ودينية، واجتماعية فى تطوير نفوذ لغة ما وزيادة أهميتها؛ بحيث يتخطَّى استخدامها حدود مجتمعها الأصلىّ[١٣].

و يرى «نيكولاس أوستلر» Nicholas Ostler فى كتابه:

«Empires of the word: A language History of the world»

(إمبراطوريات الكلمة: تاريخ لغوى للعالم) أن الفينيقية مثلًا انتشـرت فى مرحلة مُعيَّنة فى حوض البحر الأبيض المتوسط نتيجة النشاط التجارىّ الكثيف والبارع للفينيقيين، الذين جعلوا من ذلك البحر بحيرة تربط الشعوب القاطنة شواطئه وتُسهل تواصلها. أمّا اللغة اللاتينية فانتشرت عَبْر الغزوات والحروب التى شنَّها الرومان، فى حين تغلَّبت الإنجليزية على الفرنسية

فى الولايات المتحدة، لأن الفرنسيين كانوا بمفردهم دون عائلاتهم، وفى أذهانهم المكوث مُدَّة قصيرة للتجارة والعمل، ثم العودة، وإن كان أكثرهم قد استقرَّ آخِر الأمر. أمّا الناطقون بالإنجليزية فكانوا يحضـرون أساسًا للاستيطان والاستقرار ترافقهم عائلاتهم. كما أن الإسبانية قد انتشرت انتشارًا هائلًا فى أمريكا اللاتينية وأصبحت لغة شعوبها وجزءًا أصيلًا من ثقافتهم، بعدما حَضَـر المستكشفون فى القرن السادس عشـر، وبعدهم جاء الغزاة الذين نهبوا البلاد وأبادوا معظم أبناء الأُمَم التى كانت تسكنها، ثم المستوطنون والأرقاء الأفارقة الذين تزاوجوا مع بقايا السكان الأصليين وشكَّلوا مجتمعات جديدة اتَّخذت الإسبانية لغة يومية(١٤).

ويُشير «أوستلر» Ostler إلى مُفارقة جديرة بالتمعُّن، تلك هى انتقال اللغة الهولندية إلى جنوب أفريقيا مع المستوطنين الأوائل الذين غزوا البلاد، وبقاء أثرها إلى اليوم من خلال كونها جوهر لغة «الأفريكانا» Africana التى يستخدمها هؤلاء المستوطنون، والتى تتراجع جنبًا إلى جَنْب مع تراجع اللغات الأفريقية المحلية لصالح انتشار التعامل باللغة الإنجليزية. فى حين فشلت اللغة الهولندية نفسها فى التحوُّل إلى لغة أولى، أو حتى ثانية فى إندونيسيا التى خضعت للاستعمار الهولندىّ فترة طويلة. لعلَّ أهم سبب هو أن الاستعمار الهولندى لإندونيسيا لم يكن استيطانيًّا(١٥).

مُجْمَل القول أن اللغات تتصارع مع بعضها كما يتصارع البشر، ويكون نتاج ذلك إمَّا السيطرة، وإما التقهقر، وإما التمازج والاقتراض بين اللغتين، أو التعايش معًا جنبًا إلى جنب دون غالب أو مغلوب، ولا شك أن البقاء فى النهاية يكون للأقوى.

المبحث الثانى

اللُّغَة.. مَوْتٌ أم اختفاء؟!

اللُّغَة.. مَوْتٌ أم اختفاء؟!

أولاً: هل حقًّا تموت اللغة؟ ومتى تموت؟ وكيف تموت؟

- «مَوْتُ اللغة».. ألا تبدو هذه العبارة صادمة؟!

فالموت يَعْنى: فناء.. اندثارًا.. زوالًا.

أحقًّا تموت اللغة أم تختفى حينًا ثم تعود؟!

بعض اللغات تختفى حينًا من الدهر ثم تعود، وبخاصَّة حين ترتبط بكتب مُقدَّسة تضمن لها الحياة فى حدود الشعائر الدينية ونحو ذلك (العبرية نموذجًا).

وهناك لغات أخرى تموت، وهذا ما يؤكِّده التاريخ؛ فاللغات تتعرَّض للتغيُّر السريع، ويموت بعضها، لا على المجاز، بل تموت موتًا ماديًّا، ووفقًا لعلماء التنوُّع اللغوىّ، فقد ظهرت وازدهرت لغات كثيرة عَبْر مراحل التاريخ البشرىّ ثم آلت إلى الاندثار، دون أن تترك ـ فى الأعم الأغلب - أى أثر لحضارات أصحابها وعاداتهم وتقاليدهم[1].

والواقع أن اندثار اللغات ظاهرة طبيعية ليست جديدة؛ حيث إنها لم تتوقَّف على مدار تاريخ الحضارة البشرية، ويؤكِّد اللغويون أن هناك حوالى (٣٠٠٠٠) لغة وُلِدَت واختفت دون أن تترك أثرًا منذ (٥٠٠٠) سنة على الأقل[2]، إلَّا أن وتيرة انقراض اللغات قد تسارعت فى الآونة الأخيرة، منذ المرحلة الاستعمارية الأوروبية تحديدًا، ويصل التشاؤم ببعض المراقبين

للموقف اللغوىّ إلى حَدِّ أنهم يتوقعون أن يَفْقِد العالَم خلال قرنٍ واحد نصف تراثه اللِّسانىّ[٣].

السؤال الآن: متى تموت اللُّغَة؟

تموت اللغة عندما يتوقَّف أهلها عن التحدُّث بها؛ فقد تموت اللغات الضعيفة مثلًا عندما يَحْتك الناطقون بها بمجموعة من السكان تفوقهم عددًا، وقد حدث ذلك للمرة الأولى حين انتقل مَنْ كانوا يقتاتون بما يجنونه من الصيد وجمع الثمار إلى المجتمع الزراعىّ، ثم شهدنا هذه الظاهرة خلال فترات توسُّع الاستعمار الأوروبى، وأخيرًا مع عمليات الهجرة العالمية والنزوح إلى المدن[٤]. فما يَحْدُث هو أن اللغة الأقوى تزاحِم الأخرى الأضعف وَتحْتَلّ مواقعها، حتى تذوى اللغة الأضعف وتموت[٥].

وتموت اللغة كذلك بموت آخِر الناطقين بها؛ حيث تُولَد الكلمات وتحيا على الألسنة، ولكنها تموت فى النهاية دون أن تُقيَّد وتُدوَّن.

هذا، ويُوثِّق (أطلس اللغات العالمية المهدَّدة بخطر الانقراض) الذى نشـرته اليونسكو ـ فى آخر تحديث له ـ أوضاع (٢٥٧٩) لغة فى العالم تواجه درجات مختلفة من خطر الانقراض، و(٥٧٦) منها مُهدَّدة بدرجة خطيرة؛ حيث إن الذين يتحدَّثون بها هم من كبار السِّن، كما أن التفاعل باستخدام تلك اللغات أصبح نادرًا أو مُنقطعًا، ولذلك يجب أن نفترض أن هذه اللغات الـ (٥٧٦) سوف تحتضـر خلال بضع سنوات بعد أن يقضـى الناطقون بها نَحْبهم[٦]. واللافت للانتباه أن أكثر من نصف لغات العالم ولهجاته يتركَّز فى ثمانى دول هى: بابوا غينيا الجديدة، وإندونيسيا، ونيجيريا، والهند، والمكسيك، والكاميرون، وأستراليا، والبرازيل[٧].

قد يصْعُب على أصحاب اللغات الحيَّة كالعربية، والإنجليزية، والفرنسية، وغيرها من اللغات الأخرى، تخيُّل أو تصوُّر مثل هذا الأمر، ولكنها الحقيقة التى يؤكِّدها لنا «بروس كونيل» Bruce Connell فى أحد التقارير الصادرة عن مؤسَّسة اللغات المهدَّدة بالانقراض «FEL» ـ وهى مؤسَّسة مَعْنِيَّة بأحوال اللغات المهددَّة بخطر الانقراض تأسَّست فى المملكة المتحدة عام (١٩٩٥) ـ والذى نُشِـرَ تحت عنوان «Obituaries» أو «الوفيات» إذ يقول:

ما بين عامى (١٩٩٤م) و(١٩٩٥م) وأثناء عملى الميدانى بقطاع مامبيلا Mambila وبالتحديد فى إقليم أداماوا Adamawa بالكاميرون، صادفت عددًا من اللغات يُواجِه خَطرَ الانقراضِ والزوال.. كانت «كاسابى» Kasabe هى إحدى هذه اللغات، التى لم يَعُد يتحدَّثها إلَّا شخص واحد يُدْعَى «بوجون» Bogon (وبوجون نفسه لا يَعْرِف أحدًا غيره يتحدَّث هذه اللغة). وفى نوفمبر من عام (١٩٩٦م) عُدت إلى قطاع مامبيلا لأجمع مزيدًا من المعلومات عن هذه اللغة من مُتحدِّثها الوحيد، ولكن للأسف كان «بوجون» قد تُوفى قبل حضورى فى الخامس من نوفمبر آخذًا معه «كاسابى... وإلى الأبد»[٨].

وقبلها فى عام (١٩٩٢) انطفأت لغة «أوبيخ» Ubykhin فى تركيا مع رحيل «توفيق إسينش» آخر فلاح تركى ناطق بهذه اللغة، وهى لغة قوقازية قديمة كانت تحتوى على أكبر عدد من الحروف الساكنة (الصامتة) بين لغات البشـر كافة وهى (٨١) حرفًا.

وفى عام (١٩٧٤) ضاعت لغة محلية كان ينطق بها السكان القدماء لجزيرة «مان» Isle of Man فى البحر الأيرلندى بوفاة «نيد مادريل» Ned Maddrell آخر

مُتحدِّث بها[٩]. وفى ألاسكا Alaska اختفت من الوجود اللغوىّ مؤخَّرًا لغة «إياك» Eyak مع وفاة الأمريكية «مارى سميث جونز» Marie Smith Jones آخر الناطقين بها عام (٢٠٠٨)، ويُذْكَر أن الناس فى ألاسكا قد تحدَّثوا بعشـرات اللغات، واليوم يتعلَّم الأطفال اثنتين فقط.

وهناك أيضًا لغة باسم «نوشو» Nushu، لغة النساء الوحيدة فى العالم، وكانت قد انقرضت مؤخَّرًا إثر وفاة آخر مُسِنَّة ناطقة بها فى الصين، والطريف أن كل ما دُوِّن بهذه اللغة كان مصيره الحرق تمشِّيًا مع عقيدة تلك الجماعة.

ومن اللغات المحلية التى حان أجلها «أوديهى» Udihe التى لا يزيد عدد المتحدِّثين بها، فى سيبيريا، على مئة فرد؛ و«أريكابو» Arikapu التى كانت لغة تخاطب لقبائل فى غابات الأمازون ولم يَعُد يعرفها إلَّا عدد من الأفراد، يَقِلُّ عن عدد أصابع اليدين.

ومما يَجْدُر ذكره هنا أن نحو (٨٠ ٪) من لغات القارة الأفريقية لغات شفوية فقط، الأمر الذى يُعرِّضها لخطر الزوال.

الملاحَظ من هذا كله انعدام أى قاسَم مُشْتَرَك بين هؤلاء الأشخاص وما مَثَّلوا من لغاتٍ وثقافات؛ فكل واحدٍ منهم انتمى إلى بُقعة جغرافية بعيدة عن بلاد الآخَر، بالرغم من كل هذا يُمْكِن القول: إن القاسَم المشْتَرَك الوحيد الذى يجمعهم هو اندثار لغاتهم وثقافاتهم بعد موتهم.. انفراط الحلقة الأخيرة من السلسلة.. ذَهَبَ الأَصْلُ ولم يُخلِّف فرعًا[١٠].

هكذا تموت اللغة، بموت آخِر الناطقين بها؛ ذلك لأن اللغة – كأداة للتواصل – لن تحيا أبدًا فى ظل عدم وجود أناس يتحدَّثون بها ويتواصلون

من خلالها، وبخاصَّة مع عدم وجود أية تسجيلات محفوظة لهذه اللغة سواء مكتوبة أو مسموعة أو مرئية[١١]، فهى فى هذه الحالة مُجرَّد أصوات تتبدَّد فى الهواء، وبالتالى تَنْعَدِم فرصتها فى الاستمرار والبقاء بعد موت آخر المتحدثين بها وتختفى من الوجود، وكأنها لم تكن من قبل.

ثانيًا: ما أنماط موت اللغة؟

- يرى فريقٌ من الخبراء اللُّغَويين أن موت اللغة إمّا أن يأتى من فَرْط الحضارة وإما من انعدامها كُليًّا. وأمَّا الموت من فرط الحضارة فهو موتٌ فى ظاهره، ونمو وتجدُّد فى محتواه وأبعاده، كموت حبَّة القمح التى لا يمكنها أن تمنح السنابل الكثيرة من غير أن تموت، وأمّا الموت من انعدام الحضارة فهو موت حقيقىّ بمعنى الهلاك، أى الفناء والانقراض[١٢].
- ويرى فريق آخر بأن اللغة تموت فى ثلاثة أشكال، هى:

١- أن تموت اللغة موتًا طبيعيًّا:

وذلك بسبب الكِبَرِ والضَّعْف والتقدُّم فى السِّن، ولابد فى تلك الحالة أن يكون المتكلِّمون بتلك اللغة قد كثروا وتشعَّبوا وتباعدت مواطنهم وأقاموا لهم حضارات مُتباينة لا يتَّصِل بعضها ببعض إلَّا من بعيد، فتتولَّد لدى كل منهم لهجة محلية مُنْبَثِقَة من اللغة القديمة، ومع مرور الأجيال تندثر اللغة الأم من ذاكرة الأبناء، ومثالها اللغة السَّنْسِكْريتيَّةُ Sanskrit والفارسية القديمة واللاتينية.

٢- انتحار اللغة (موت اللغة قتلًا):

وذلك بِفِعْلِ الغزو المسلَّح، ويجب أن تتوافر لهذا السبب ظروف مُعيَّنة، كأن يكون الغزاة أكثر عددًا بأضعاف كثيرة من أهل تلك اللغة؛ بحيث يصبح

استقرارهم بلغتهم فى الأرض المغزوَّة أَشْبَه بطوفان يبتلع الشعب الأصلىّ الصغير ولغته معه، ومثال ذلك غزو الساميين القدماء للعراق. أمّا فى حالة التساوى فى العدد تقريبًا بين الغزاة والسكان الأصليين فينبغى أن يكون الغزاة أعلى درجة فى الحضارة من الأُمَّة التى أُصيبت بالغزو، وإلَّا، فإن الغزاة هم الذين سيفقدون لغتهم وتنتصر لغة المنهزمين، كما حدث عندما هاجمت القبائل البربرية أوروبا اللاتينية والتى كانت شعوبها أكثر تقدُّمًا فى الحضارة، ولذا ترك هؤلاء البرابرة لغاتهم الأصلية، بل تركوا أديانهم الوثنية وتعلموا اللاتينية واعتنقوا المسيحية الكاثوليكية، وكذلك التتار بعد إسقاطهم بغداد اعتنق أكثرهم الإسلام وتعلَّموا اللغة العربية.

أما الغزاة المتحضِّرون فإنهم يقتلون لغة الأُمَم المغزوَّة بفرض لغتهم فى العِلْم والثقافة والتجارة، وتَرْك مَنْ لا يُتْقِن اللغة بلا عمل ولا تعلُّم، ومثال ذلك سيادة اللغة الفرنسية فى أنحاء كندا وسيادة اللغة الإنجليزية فى أمريكا الشمالية.

٣- موت اللغة بالتسمُّم:

ويبدأ بتسرُّب بعض الكلمات الدخيلة من لغات أخرى تحتاج إليها اللغة فتتقبَّلها تلك اللغة، وسرعان ما تسقط فى النهاية تاركة المجال للبقية من الألفاظ الدخيلة تتسَرَّب إليها دون أدنى مقاومة، وهكذا ماتت اللغة السـريانية فى بلاد الشام، وذلك عندما تصالح الفاتحون العرب مع المسيحيين فى هذه الأقطار قانعين منهم بالولاء والمسالَمة ودفع الجزية، أمّا دينهم فقد تركوا لهم مُطْلَق الحرية فيه. وأيضًا فى ظل الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس تسـربت

إلى ألسنتهم اللغة العربية حتى اضمحلَّت الفارسية شيئًا فشيئًا وانحسرت لدى العاملين والفلاحين الذين حافظوا على لغتهم الأم فاستنفروا من جديد، ورافق ذلك حركة إحياء اللغة الفارسية من جديد، فصار مُفكِّرو الفرس يهجرون لغة العرب ليعودوا إلى لغتهم من أمثال الفردوسىّ، وعمر الخيّام، والشيرازى[١٣].

- **هـذا، ويرى اللغوىّ البريطانىّ «ديفيد كريسـتال» David Crystal أن موت اللغة يتَّخذ صورتين:**

١- موت قسرىّ لا إرادىّ: لأنه يَحْدُث رغمًا عن المتحدثين باللغة المندثرة القتيلة، وذلك بفِعْلِ القُوَى الكُبْرى والمسيطرة التى تسْعَى إلى مَحْو باقى اللغات لتطمس هوية أهلها وفى الوقت نفسه تَنْشُر لغتها، وقد ذكر «كريستال» فى هذا الصدد تعبيرات من قبيل «الاغتيال اللغوىّ» Language Murder و«الإبادة اللغوية»[١٤] Linguicide. ومثال ذلك ما حَدَث خلال العقود الماضية من إرغام الحكومة فى الولايات المتحدة وأستراليا - السكان الأصليين على التخلِّى عن لغاتهم عَبْر وسائل مختلفة، مثل المدارس الداخلية التى تُعاقب الشُبَّان على تحدُّثهم بلغتهم الأم. وقد عجزت لغات أصلية كثيرة فى أمريكا وأستراليا عن تخطِّى هذه العوائق فآلَ مصيرها إلى الزوال، حيث فقدت الولايات المتحدة (٥٣) لغة منذ خمسينيات القرن العشرين بحَسْب إحصاءات اليونسكو[١٥].

٢- موت عَمْدِىّ إرادىّ بالفِعْلِ الذاتىّ: لأنه يَحْدُث بيَدِ أهلها، وقد أطلق عليه «كريستال» Crystal «انتحار لغوىّ» Linguistic suicide؛ فمُتحدِّث اللغة يتَّخذ قرارًا وهو فى كامل وعيه وإرادته بإنهاء حياة لغته بأن يتوقَّف

عن استعمالها أو عن تعليمها أبناءه[١٦]. وكلمة «انتحار» هنا دالَّة معنويًّا لأنها تُحمِّل المسؤولية للشعوب الناطقة باللغة[١٧].

ثالثًا: ما مُسْتَقْبَل اللُّغات فى العالَم؟

يُقدَّر عدد اللغات فى العالَم بنحو (٧١٠٢) لغة مُوزَّعة على النحو الآتى:

- فى آسيا: (٢٣٠١) لغة بنسبة (٤ , ٣٢٪) من مجموع لغات العالم.
- فى أفريقيا: (٢١٣٨) لغة بنسبة (١ , ٣٠٪) من مجموع لغات العالم.
- فى منطقة المحيط الهادى: (١٣١٣) لغة بنسبة (٥ , ١٨٪) من مجموع لغات العالم.
- فى الأمريكتين: (١٠٦٤) لغة بنسبة (٠ , ١٥٪) من مجموع لغات العالم.
- فى أوروبا: (٢٨٦) لغة بنسبة (٠ , ٤٪)[١٨] من مجموع لغات العالم.

- تأتى اللغة الإنجليزية فى المرتبة الأولى من حيث عدد المتحدِّثين بها (قرابة ٨ , ١ مليار) وتليها لغة الماندرين Mandarin الصينية، فالهندية، فالعربية، فالإسبانية، فالروسية، فالبنغالية، فالبرتغالية، فالفرنسية، فالألمانية، فاليابانية[١٩].
- وتَشْهَد كل المؤشِّرات - استنادًا إلى كتاب اللغات (إثنولوج) وغيره من الإحصاءات العالمية - أن هناك خطرًا فِعْليًّا يُهدِّد وجود الكثير من اللغات؛ حيث إن هناك (٣٨٩) لغة (أى حوالى ٦٪ من مجموع لغات العالم) يتحدَّث بها أكثر من مليون نسمة، فى حين أن (٩٤٪) من اللغات المَحْكِيَّةِ فى العالم يَقِل عدد الناطقين بها عن ذلك بكثير[٢٠]. منها على سبيل المثال خمس مئة (٥٠٠) لغة يتحدَّث بها أقل من مئة (١٠٠) شخص، وحوالى ألف وخمس مئة (١٥٠٠) يتحدَّث بها أقل من ألف (١٠٠٠) شخص، وثلاثة آلاف

وثلاث مئة وأربعين (٣٣٤٠) يتحدَّث بها أقل من عشـرة آلاف (١٠٠٠٠) شخص. والكارثة أن هناك (٥١) لغة يتحدَّث بها شخص واحد، منها (٢٨) فى أستراليا، و(٨) فى الولايات المتحدة الأمريكية، و(٣) فى أمريكا الجنوبية، و(٣) فى أفريقيا، و(٦) فى آسيا، و(٣) فى جُزُر الباسيفيك Pacific Islands (جُزُر المحيط الهادى)[٢١]. والنتيجة هى أن (٩٤٪) من لغات العالم يتحدَّث بها (٦٪) فقط من سكان العالم (الذين اقتربوا من سبعة بلايين حتى منتصف عام ٢٠١٠م). وإذا عكسنا هذا الإحصاء سنَخْلُص إلى النتيجة نفسها، وهى أن (٦٪) فقط من لغات العالم يتحدَّث بها (٩٤٪) من السكان[٢٢].

- ومن الإحصاءات التى يُسْتَشْهَد بها كثيرًا فى هذا المقام إحصاء لـ «مايكل كراوس» Michael Krauss ـ الأستاذ الفخرى بجامعة ألاسكا Alaska ومؤسِّس مركز ألاسكا للغات الأصلية فى «فيربانكس» Fairbanks ـ والذى انتهى إليه بعد الاطِّلاع على البيانات والإحصاءات السابقة الموجودة.

- يقول «كراوس»:

«أعتقد أن النتيجة المنطقية والمعقولة - وفقًا لما تجرى عليه الأمور الآن - هى أن القرن المقْبِل (الحالى) سيَشْهَد موتًا مُحقَّقًا لـ (٩٠٪) من اللغات البشرية»[٢٣].

- إن الموقف جِدّ خطير، وهذا ما يُجْمِع عليه جميع المعْنيين بمراقبة المَوْقِف اللغوىّ ورصد التغيُّرات التى تطرأ على خريطة العالم اللغوية، إلَّا أنهم عادةً ما يتجنَّبون ذِكْر التقديرات الإحصائية فى صورتها الحقيقية[٢٤]. ومثال ذلك تقديران أقرَّتهما مؤسَّسة اللغات المهدَّدة بخطر الزوال «FEL» على النحو الآتى:

١- إن أغلبية لغات العالم فى سـبيلها ليس إلى الضعف والأفول فحَسْـب، وإنما إلى الاندثار كذلك .

٢- إن مـا يزيد على نصف لغات العالم الآن فى طَـوْرِ الاحتضار؛ حيث إنه لا يتم نقلها وتعليمها للأجيال التالية»[٢٥].

- وتؤكـد أفضـل التقديرات أن العالم سـيَفْقِد (٥٠٪) من اللغات البشـرية فى غضـون القـرن الحـالى[٢٦]. أى مـا يزيد عـلى ثلاثـة آلاف (٣٠٠٠) لغة فى (١٢٠٠) شـهر، وبالقيـاس على ذلك سـنصل إلى نتيجـة مؤدّاها الموت الحتميّ والمحقَّق للغةٍ واحدةٍ على الأقل فى مكان ما من العالَم كل أسبوعين أو نحو ذلك[٢٧].

قد لا يكون ذلك بعيدًا عن الحقيقة ... !!!

- وفى هذا السياق أيضًا أطلقت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أطلس على الإنترنت يُحدِّد اللغات المهدَّدة.

ويتضمَّن الأطلس فى طبعته الإلكترونية بيانات عن نحو (٢٥٧٩) لغة مُهدَّدة بالاندثار يُمْكِن فيما بعد استكمالها أو تصحيحها أو تحديثها بشكلٍ مُسْتمِرّ. ويُشير الأطلس إلى أن نحو (٢٣٠٠) لغة من أصل (٦٠٠٠) لغة مُتداوَلة فى العالم، انقرضت على مَدَى الأجيال الثلاثة الأخيرة، فى حين تُعْتَبر (٥٧٦) لغة أخرى من اللغات المحتضرَة، و(٥٢٨) لغة من اللغات المعرَّضة للخطر الشديد، و(٦٤٦) لغة من اللغات المعرَّضة للخطر، و(٥٩٨) لغة من اللغات الهشة.

- ويَذْكُـر الأطلس أن هناك (١٤٤) لغة ينطق بها أقل من عشـرة أشـخاص فى العـالم، منها اللغة الكاريمية Karaim، فى أوكرانيا التى يتحدَّث بها سِـتَّة

أشخاص فقط، ولغة لينجيلو Lengilu، التى يتحدَّث بها أربعة إندونيسيين فقط، و(٢٣٩) لغة أخرى ينطق بها ما بين (١٠) إلى (٥٠) شخصًا.

- ويُنبِّه الأطلس إلى أن الهند، والولايات المتحدة، والبرازيل، وإندونيسيا، والمكسيك، وهى بلدان تُعْرَف بتنوعها اللغوى، هى أكثر البلدان احتواءً للغات المعرَّضة لخطر الزوال.

ويشير إلى وجود (١٠٨) لغات مُهدَّدة فى أستراليا بدرجات مُتفاوتة، أمّا فرنسا، ففيها (٢٦) لغة مُهدَّدة، (١٣) منها عُرْضَة لخطر كبير، و(٨) عُرْضَة للخطر و(٥) منها لغات هشَّة.

- وفيما يتعلَّق بلغات شعوب شمال القوقاز نجد أنه فى روسيا اليوم توجَد ـ حسب أطلس اليونسكو ـ (١٣١) لغة مُهدَّدة بخطر الاندثار، وإذا نظرنا إلى خارطة اللغات فى روسيا فسنجد إلى جانب (٢٠) لغة انقرضت (منها الأوبيخ Ubykh واليوجسك Yugsk) يوجد (٢٢) لغة على حافة الاندثار التام (منها لغات الأليوت Aleut، والكاريل Karel). وهناك أيضًا (٢٩) لغة فى وضع خطر كبير (منها لغات الشوكوت Chukchi والنيفخ Nivkh). وفى جمهورية الداجستان Dagestan Republic تُواجِه (٢٦) لغة من لغات شعوب هذه المنطقة خطر الاندثار، وهى:

- لغات القوموق Kumyk

(٤٥٨ ألف مُتحدِّث)، الدرجين Dargin

(٥٠٣ آلاف مُتحدِّث)، الأوار Avar

(٧٨٤ ألف مُتحدِّث)، الليزجين Lezgin

(٤٠٢ ألف مُتحدِّث)، تابساران Tabasaran

(١٢٨ ألف مُتحدِّث)، النوجاى Nogay

(٩٠ ألف مُتحدِّث)، تساخور Tsakhur

(٢٥ ألف مُتحدِّث)، الأندى Andi

(٢٣ ألف مُتحدِّث)، أمالين Amalin

(١٢ ألف مُتحدِّث)، تسيز Tsez

(١٥ ألف مُتحدِّث)، أجول Aghul ورتول Rutul

(٢٩ ألف مُتحدِّث)، بيجيتين Bejitin، تيندين Tindin، كاراتين Karatin وأخفاخ Akhvakh

(حوالى ٦ آلاف مُتحدِّث)، اليهود الجبليون

(٣ آلاف مُتحدِّث)، جونزيب Gunzib

(أقل من ألفى مُتحدِّث)، إنخوكفارين Inkhokvarin

(ألف مُتحدِّث)، جينوخ Ginukh

(٥٤٨ مُتحدِّثًا)، خفارشين Khwarshin

(٥٠٠ مُتحدِّث)، أرتشين Archin (٥٢٤ مُتحدِّثًا).

وتَجْدُر الإشارة إلى أنه لا يُدرَّس فى مدارس جمهورية الداجستان اليوم إلَّا (١٤) لغة فقط من هذه اللغات.

- ويُشـير العمل الذى قام به اللغويون المشاركون فى أطلس لغات العالم المهدَّدة بالاندثار، الذى يفوق عددهم ثلاثين لغويًّا، إلى أن ظاهرة اختفاء اللغات تطال

جميع المناطق دون استثناء وتمتد فى ظروف اقتصادية مُتباينة، ويَذْكُر الأطلس أنه من المرجَّح أن يختفى من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، خلال القرن المقبل، ما لا يَقِل عن (١٠٪) من تلك اللغات المنتشرة هناك؛ حيث يتداول الناس نحو (٢٠٠٠) لغة مختلفة، أى ثلث المجموع العالمى تقريبًا [٢٨].

مصير اللغات فى الميزان:

فضلًا عن اللغوىّ البريطانى «ديفيد كريستال» David Crystal، فقد اهتم مُفكِّرون كثيرون آخرون فى السنوات القليلة الماضية بمصير اللغات المتداوَلَة فى ظل هذا التغيُّر المتسارع والشامل الذى يعيشه عالمنا، على نحو ما فعل «أندرو دالبى» Andrew Dalby فى كتابه «اللغة فى خطر: فقدان التنوُّع اللغوىّ وتهديده لمستقبلنا»[٢٩]

(Language in Danger: The Loss of Linguistic Diversity and the Threat to our Future)

حين توقَّع المؤلف أن يَشْهَد القرن الحادى والعشرون اختفاء خمسة آلاف لغة يجرى استخدامها حاليًّا تحدُّثًا وكتابة، نتيجة الانتشار غير المحدود للغة الإنجليزية، واندفاع الناس فى المجتمعات المختلفة إلى استخدامها بديلًا عن لغاتهم الوطنية. وقد دعا إلى تحقيق أكبر قَدْرٍ من تفاعل اللغات الوطنية مع اللغة الإنجليزية، من أجل حماية تلك اللغات وتأهيلها للاستمرار فى الحياة، من خلال توفير مواءمة كافية بينها وبين شروط الواقع الجديد ومعطياته. وقد توافق أغلب الخبراء على أن لغات قليلة سوف تَصْمُد أمام الغزو الحضارى والثقافى الذى يَسْعَى إلى فرض النمط الثقافى الأمريكى على سائر الأُمَم[٣٠].

ولا شك أن اللغات المتوقَّع بقاؤها لن تكون إلَّا من ضمن لغات الأُمَم القوية[٣١]. وقد توقَّع أكثر الخبراء أن تكون اللغة الصينية إحدى هذه اللغات الصامدة؛ فقد رأوا أنها ستصبح اللغة العالمية الثانية بعد الإنجليزية، على الرغم من أن الصين قد نفّذت بنجاح خطة طموح بالغة الجرأة لنشـر تعليم الإنجليزية بين الصينيين، وهم من أشد الأُمَم تمسُّكًا واعتزازًا بتقاليدهم وثقافتهم، فبلغ عدد مَنْ يتحدَّثون الإنجليزية بطلاقة تامَّة اليوم حوالى ثلاث مئة مليون صينى، وتُشكِّل هذه الخطة جزءًا من خطة أشمل للنهوض الاقتصادى جعلت الصين صاحبة أعلى مستوى للنمو الاقتصادى فى العالم على امتداد العِقْدين الماضيين، وصاحبة أحد أعلى الاحتياطات النقدية والاستثمارات الخارجية من بين سائر الدول.

فى حين تَحلّ الإسبانية التى تستخدمها الغالبية الساحقة من شعوب أمريكا اللاتينية فى المرتبة الثالثة للغات التى سوف تَبْقَى حيَّة، بعد الإنجليزية والصينية. أمّا المرتبة الرابعة للغات التى سوف تنجو من الاندثار فتحتلها اللغة العربية.

توقَّع هؤلاء الخبراء أيضًا أن تَنْحَسِر اللغات الأوروبية الحيَّة القوية، مثل الفرنسية والألمانية والروسية، مع إشارة إلى فرصة محدودة أمام تلك اللغات الحيَّة القوية للبقاء على قيد الحياة محصورة فى أطر مجتمعاتها الأصلية فقط[٣٢]. وقد استشرف المؤلِّف «مارك أبلى» Mark Abley فى كتابه «مَحْكيَّة هنا: رحلات بين لغات مُهدَّدة»[٣٣]

(Spoken Here: Travels among threatened languages)

نماذج للخسائر الفادحة التى ستمنى البشرية بها نتيجة اندثار ثرواتها اللغوية التى تشكَّلت على مَدَى آلاف السنين، والتى لن يكون بالإمكان تعويضها. من هذه اللغات مثلًا اللغة الشركسية، إحدى أغنى اللغات القوقازية الحيَّة، التى تضم ثمانية وأربعين صوتًا من الصوامت، وصوتين مُعتلين فقط، الأمر الذى جعلها لغة فريدة ونادرة من هذا الجانب الذى يهتم علماء اللغة كثيرًا به فى تعاملهم مع المكوِّنات الصوتية للغات[٣٤]. ويطرح أطلس اليونسكو تساؤلات كثيرة حول مستقبل هذه اللغة، خاصَّة وأن مَنْ يتكلَّم بها اليوم لا يتجاوز (٧٠٠) ألف شخص، قِسْم كبير منهم لا يعرف القراءة والكتابة باللغة الأم[٣٥].

هناك بالفعل أزمة ثقافية عالمية شِبْه خفية؛ ففى البرازيل Brazil وحدها انقرضت حوالى (١٧٠) لغة بعد الاحتلال البرتغالى لها فى القرن السادس عشر، والذى استمرّ حتى عام (١٨٢٢)، ومن ضمن (١٢٥) لغة مُتحدَّثًا بها فى المكسيك Mexico انقرضت (١١٣) منها وبقيت (١٢) فقط. وفى كولومبيا Colombia فقدت بعض القبائل لغاتها بشَكْلٍ كامل. أمّا فى الكيبك Quebec فقد انقرضت العديد من اللغات وبعضها يتلاشى الآن[٣٦].

المصير ذاته كان من نصيب لغات كثيرة فى الماضى البعيد، مثل معظم اللغات السامية Semitic Languages التى تُعَد بالعشرات، كالأكّادية Akkadian بفرعيها الآشورى والبابلى و اليُوجَارْتِيَّة Ugaritic، وجيعز Ge'ez لغة الحبشة الكلاسيكية، والفينيقية Phoenician Language والأمورية Amorite Language. وذلك المصير ينسحب أيضًا على لغات عصرنا هذا،

مثل بعض اللغات فى شـمال أوروبا المنتمية إلـى الفصيلة الفِنْلَنْدِيَّة الأَجْرِيَّة Saame, Liivi, Vatja: Finno-Ugric ، و اليِيدِيَّة الغربية Western Yiddish[٣٧].

ويصـل عـدد اللغات التى فى رمقها الأخير، وفقًـا لتصنيف كتاب اللغات (إثنولـوج ٢٠١٥) إلى (٩١٦) لغة، وتوجد معظمهـا فى الأمريكتين (بواقع ٣٣٩ لغـة) فمنطقـة المحيط الهـادى (٢٠٨ لغة) فآسـيا (١٨٧ لغة) فأفريقيا (١٣١ لغة) فأوروبا (٥١ لغة)[٣٨].

وعليه فباحثو اللغات فى سباق مع عجلة الزمن المتسارعة لرصد صفات تلك اللغات وتوثيقها، فإن أستراليا مثلًا كانت قد شهدت فى فترة زمنية مُعيَّنة حوالى (٢٥٠) لغة أصلية، ومن المحْتمَل القريب اندثار (٩٠٪) منها خلال هـذا القرن أو أكثـر إذا لم تتم إجراءات عاجلة وفعَّالـة للحفاظ على بعضها؛ ففى هذه القارة بعض اللغات التى لا يتكلَّمها أكثر من مئة شخص.

وتحتـل القـارة الأمريكيـة الشـمالية المركز الثانـى من حيث عـدد اللغات الأصليـة المنْدَثِرة أو الآيلة إلى الزوال، حيث تُقدَّر بنسـبة (٨٠٪) من مجموع لغاتها، فكان لدى الهنود الحُمْر بأمريكا، على سـبيل المثال، أكثر من (١٧٥) لغة بقى منها عشرون فقط، ولم يتبق منها فى الواقع سوى خَمْس لغات، ويصل عـدد ناطقيها إلى حوالى عشـرة آلاف فقـط. أمّا فى كنـدا فالوضع لا يختلف كثيرًا؛ إذ إنه من ضمن ستين لغة أصلية لم يَبْق إلا خَمْس لغات ما زالت حَيَّة.

ويُلاحَظ أن اللغات المهدَّدة بالاندثار تعانى من ضَعْفٍ فى النقل منها وإليها خاصَّة إذا ما أخذنا فى الحُسْبان أن (٤٠٪) من المؤلَّفات المترجَمة فى العالم هى من اللغة الإنجليزية[٣٩].

الجدير بالذكر أن هذه التقديرات فى واقع الأمر قد تكون غير مؤكَّدة وتفتقر إلى الدقة؛ إذ إننا ما زلنا بعيدين عن معرفة حقيقية ودقيقة للغات العالم، ويرجع السبب الرئيس فى ذلك إلى عدم وجود المعلومات الكافية التى تُساعد على الوصول إلى نتائج دقيقة بشأن هذه التقديرات؛ فحتى النصف الثانى من القرن العشـرين لم يكن هناك إلا القليل جدًّا من الدراسات الإحصائية فى هذا الشأن، أمّا عن الدراسات التى وُجدت قبل ذلك فكان عددها لا يكاد يُذْكَر، كما أنها لم تَبْنِ نتائجها التقييمية على أساس عِلْمى، وإنما اعتمدت على الحَدْس والتخمين دون الاستناد إلى البيانات الدقيقة الكافية[٤٠].

ومما يؤكِّد ذلك أنه فى جمهورية بابوا غينيا الجديدة Papua New Guinea مثلًا، الواقعة شمالى أستراليا، والتى استقلَّت عام (١٩٧٥) والتى يقطنها حوالى أربعة ملايين من السكان، يوجد قرابة (٨٠٠) لغة لا يعرف العالَم اللغوىّ الحديث منها بصورة تفصيلية أكثر من اثنتى عشرة لغة[٤١].

رابعًا: ما الأعراض المرضِيَّة التى قد تَظْهَر على اللغة وتُهدِّد بقاءها؟

- **يُمْكِن تلخيص المظاهر التى تُهدِّد بقاء اللغة فيما يلى:**

١- حين يصبح انتشارها محدودًا.

٢- حين تفقد وظائفها كوسـيلة اتِّصال فى الحياة الاجتماعية، ولا تُسْـتَعْمَل فى الحياة اليومية.

٣- حين لا يكون لها مردود على المستوى الاقتصادى.

٤- حـين يَقِل عدد مُتكلِّميها وبالتالى يتقلَّص انتشـارها[٤٢]؛ فاللغة - وفقًا لكثـير من علـماء اللغة - التى يقل عدد مَنْ يسـتخدمونها عن (٢٥٠٠)

شخص لا يُكْتَب لها الاستمرار، فلا تلبث أن تتلاشى؛ إذ إن هذا العدد القليـل مـن المتحدِّثين بهـا سُرعان مـا تُدْركه المنِيَّـة، فتُدْفَن معـه اللغة. أمّا اليونسـكو، فتُقدِّر عـدد البشر اللازم لأن تحتفظ لغـة بحيويتها بمئة ألف مُتحدِّث على الأقل(٤٣).

والمثال على ذلك، التخوُّف من انقراض عدد من اللغات الأفريقية قبل نهاية هذا القرن، لأنها أصبحت محصورة فى عدد محدود لا يتعدَّى بضعة آلاف من الذين يتكلَّمونها، بفعل الضغط الذى تمارسه اللغات المحلية التى يتكلَّمها عشرات الملايين من جهة، وذلك الذى تمارسه اللغات الأوروبية التى ينقلها التعليم وعولمة التبادل الاقتصادى والثقافى من جهة أخرى(٤٤). يعود ذلك أيضًا إلى السياسات التربوية التى تنتهجها الحكومات لصالح اللغات الاستعمارية، رغم أن مُعدَّل موت اللغات فى أفريقيا أقل منه فى أمريكا؛ حيث يتَّسِع حجم انقراض اللغات المحلية(٤٥).

السؤال الذى يَطْرَح نفسه الآن: هل يتحكَّم كِبَر أو صِغَر عدد المتحدِّثين بلغة ما فى قدرتها على البقاء؟ ما قولنا مثلًا إذا لم يَبْقَ من المتحدِّثين بلغة ما إلّا اثنان، أو عشرون أو حتى مئتان؟ هل يُمْكِن أن يَضْمَن هذا العدد الحياة لهذه اللغة؟ أم يجعلها على حافة الموت والزوال؟

يرى اللغوىّ «ديفيد كريستال» David Crystal أنه يَصْعُب تقديم جواب جازم فى هذا الشأن؛ ففى بعض الظروف وبعض المناطق ومنها المناطق الريفية النائية مثلًا، قد يَضْمَن خمس مئة (٥٠٠) مُتحدِّث بلغة ما الحياة والاستمرار. أمَّا إذا تعلَّق الأمر بإحدى الأقليات العِرْقِيَّة Ethnic Minorities المنتشـرة فى مدينة يتسارع نمو سكانها، فإن هذا قد يُقلِّل من فرصة نجاحها

فى الإبقاء على حياة لغتها العرقية. وفى العديد من المناطق المطِلَّة على المحيط الهادى، قد تبدو جماعة تتألَّف من خمس مئة (٥٠٠) شخص كبيرة إلى حَدٍّ يَضْمَن الاستقرار لِصحَّة لغتها، أمَّا فى أجزاء واسعة من أوروبا فيُعَد هذا العدد نفسه ضئيلًا للغاية.

معنى ذلك أن المسألة ليست مسألة عدد فحسب: (صغيرًا أو كبيرًا)، فلا يجب النظر إلى عدد المتحدِّثين بلغة ما بمَعْزل عن الجماعة التى ينتمون إليها والمجتمع الذى يعيشون فيه، فَلَدَى كل جماعة ظروفها التى تختلف عن ظروف غيرها مِمّا يستحيل معه إطلاق حُكْم عام على المعدَّل أو العدد الذى يَضْمَن الحياة للغةٍ ما أو العكس.

ويكاد يُجْمِع أغلب الناس على أنه كلما كان عدد المتحدِّثين بلغة ما أصغر كان مَوْقِف لغتهم أخطر وكانت إلى الموت والزوال أقرب، والعَكْس بالعَكسِ، إلّا أن الأمر ليس كذلك؛ ففى منطقة السافانا Savanna بأفريقيا مثلًا، يرى بعض علماء اللغة أنه إذا قلَّ عدد المتحدِّثين عن عشرين ألفًا (٢٠٠٠٠) فإن اللغة تصير مُهدَّدة بخطر الانقراض، كما فى أجزاء من غرب أفريقيا حيث تجتذب اللغات الكريولية Creoles وبخاصَّة الإنجليزية والفرنسية أعدادًا كبيرة من المتحدِّثين الجُدُد، الأمر الذى يُوقِع العديد من اللغات المحلية فى خطر الزوال على الرغم من أن مئات الآلاف يتحدَّثون بها فى الوقت الحاضر.

وهذا ما يُدْهِش الكثيرين؛ فهل يُعْقَل وجود لغات بهذا العدد الكبير من المتحدِّثين وعلى الرغم من ذلك تُواجِه خَطَرَ الزوال؟!

المفاجأة أن ذلك ليس ببعيد؛ ففى القرن العشرين تدهورت العديد من اللغات على الرغم من ضخامة أعداد المتحدِّثين بها. ومثال على ذلك تقييم قدَّرَ المتحدِّثين باللغة «البْرِيتانِيَّة» Breton فى عام (١٩٠٥) بـ (٤ , ١) ملايين شخص، أمّا الآن فقد انحدر هذا العدد ليصل إلى مئتى وخمسين ألفًا (٢٥٠ , ٠٠٠) فقط، وذلك نظرًا لأنه لم يَعُد هنالك مَنْ يتحدَّث هذه اللغة بطلاقة نتيجة لإحجام الأجيال الجديدة عن التعامل بهذه اللغة. ومِمّا لا شكَّ فيه أن هناك عديدًا من العوامل التى تؤثِّر تأثيرًا سلبيًّا على حياة اللغات واستمراريتها حتى تلك التى يُقدَّر المتحدِّثون بها بالملايين؛ فلغة «اليُرُوبا» Yoruba التى يصل عدد المتحدثين بها إلى عشـرين مليونًا لم تنج من خطر الزوال وأُطْلِق عليها «لغة محرومة» Deprived Language نظرًا لتهميشها وهيمنة الإنجليزية على التعليم العالى[٤٦].

وعلى الرغم من اهتمام علماء اللغة باللغات التى تصل نسبة الأشخاص المتحدِّثين بها إلى مُعدَّلات كبيرة نِسْبيًّا والتعبير عن قلقهم إزاء إمكانية تدهور هذه اللغات وهبوط مُعدَّلات التحدُّث بها، إلَّا أن الاهتمام والقلق الأكبر انْصَبَّ على اللغات ذات الأعداد القليلة من المتحدِّثين، وهذا ما عبَّر عنه «ياماموتو» Yamamoto فى التقرير الخامس الصادر عن مؤسسة اللغات المهدَّدة «FEL» إذ يقول:

«يُعَـد عـدد المتحدِّثيـن بلغـةٍ مـا مؤشِّـرًا مباشـرًا علـى خطـورة موقفهـا أو العكس»[٤٧].

فكيف يُمْكِن لجماعةٍ ما أن تُحافظ على هويتها بينما يرتد عدد المتحدِّثين بلغتها إلى الوراء؟!

قد تفيدنا فى هذا المقام البيانات المقارَنة والإحصاءات التى قام علماء اللغة بجمعها خلال الأعوام القليلة الماضية للتنبُّؤ بِمَوْقِف كل لغة على المدَى البعيد وللنظر فى مسألة ما إذا كان العالَم سيَفْقِد مزيدًا من اللغات؟ وذلك بغض النظر عن مَدَى دِقَّة بعض التقديرات وبغض النظر عن حداثتها[٤٨].

خامسًا: ما درجات الخطورة التى يُمْكِن أن تتعرَّض لها اللُّغة؟

- وفى هذا الصَّدَد نتساءل:
- ما اللغة التى يُمْكِن أن تكون أكثر عُرْضَة من غيرها لخطر الاندثار؟
- هل تلك التى يتحدَّث بها أربع مئة (٤٠٠) شخص من جماعة تتألَّف من خمس مئة (٥٠٠)؟ أم تلك التى يتحدَّث بها ثمان مئة (٨٠٠) من ألف (١٠٠٠) شخص؟
- **والجواب هو:**

لا شكَّ أن الأمر «يتوقَّف على» عِدَّة عوامل منها:

(١) مُعدَّل أو درجة اكتساب الأطفال لهذه اللغة.

(٢) مَوْقِف الدولة والمجتمع ككل من هذه اللغة، أى مَدَى اهتمام المجتمع بتحدُّث اللغة.

(٣) مَدَى تأثير اللغات الأخرى عليها، أى مَدَى قابليتها للانصهار فى هذه اللغات، والذى من شأنه أن يُشكِّل تهديدًا مُباشرًا لها[٤٩].

واستنادًا إلى هذه العوامل وغيرها قام الخبراء اللغويون بعمل تصنيفات تقييمية للغة، الهدف منها تقييم الوضع الذى تكون عليه اللغة مِن حيث القوة والضعف.

والبديهىّ أن تَحْظى اللغات بترتيب من ثلاث درجات:

(١) لغات فى مرحلة الأمان (بعيدة عن الخطر) Safe Language.

(٢) لغات مُهدَّدة (فى مرحلة الخطر) Endangered Language.

(٣) لغات مُنْقَرِضَة Extinct Languages.

ولكن كانت لـ«مايكل كراوس» Michael Krauss إضافة أخرى استخدمها الكثير من علماء اللغة، حيث قال بوجود «لغات مُحْتَضَـرَة» Moribund Languages[٥٠]، وهـى تلـك التى لم يَعُـد الأطفال يتعلَّمونها كلغة أُم أو أصلية، وتصير بذلك مُهدَّدة، ولكنه ليس تهديدًا بمعناه المجرَّد؛ فصحيـح أنـه لـم يَعُد يتـم تناقلهـا عَبْـر الأجيـال، وأن مثلها فـى ذلك مثل الكائنـات الحيَّـة غير القادرة علـى التوالد والتكاثر، ولكـن يَبْقَى الأمل فى تصحيح الأوضاع.

ويُوضِّح «كراوس» وجهة نظره بالإشارة إلى اللغات المحلية (الأصلية) Indigenous Languages التى يُتحدَّث بها فى أمريكا الجنوبية، ويَذْكُر أن مجموع هذه اللغات (١٨٧) لغة، جميعها مُهدَّد بخطر الزوال (عِلْمًا بأن البيئة اللغوية المهَيْمِنَة هى الإنجليزية)، إلَّا أن هناك جهودًا ضخمة تُبْذَل فى بعض المجتمعات من أجل ترسيخ جذور هذه اللغات وإخراجها من طَوْر الضعف والاحتضار إلى طَوْرِ القُوَّةِ والاستمرار[٥١].

- **تصنيف اللُّغَوىّ الأمريكىّ «كينكيد» Kincade:**

ذهبت بعض التصنيفات إلى أبعد من ذلك، ومنها تصنيف لـ «كينكيد» Kincade ميَّز فيه بين اللغات «فى مرحلة الأمان المطْلَق» والأخرى التى فى

«مرحلة الأمان غير المطلق». ويتألَّف هذا التصنيف من خَمْسة مستويات كالآتى(٥٢):

(١) لغات قادرة على الاستمرار Viable Languages :

وهى اللغات المزْدَهِرَة التى تَمْلك من المقوِّمات ما يجعلها قادرة على النماء، يتحدَّث بها نسبة كبيرة من السكان بحيث لا يُمْكِن مُطْلَقًا أن تصير مُهدَّدة بالاندثار على المدَى البعيد، وعلى هذا فهى تتمتع بأمانٍ مُطْلَق وبعيدة كل البُعْد عن الخطر.

(٢) لغات قادرة على الاستمرار ولكنها صغيرة Viable but Small Languages:

وهى التى يتحدَّث بها أكثر من ألف شخص، وذلك فى المجتمعات المنعزلة أو تلك التى تَحْظَى بتنظيمٍ داخلى قوىّ، على أن تكون هذه المجتمعات مُدْرِكة لأهمية لغتها فى ترسيخ هويتها.

وعلى هذا، فإن اللغة هنا تتمتَّع بوضعٍ آمِنٍ ومُسْتَقِرّ، ولكنه ليس مطلقًا؛ فانتفاء الشروط السابقة يعنى دخولها فى مرحلة الخطر.

(٣) لغات مُهدَّدة أو فى مرحلة الخطر Endangered Languages:

وهى التى يتحدَّث بها السكان بنسبة مُعيَّنة تجعل من بقائها واستمرارها أمرًا مُمْكِنًا، ولكن لا يتحقَّق ذلك إلَّا مع وجود الظروف المواتية ومع الدَّعْم المسْتَمِرّ مِنْ قِبَل المجتمع نفسه.

(٤) لغات شِبْه مُنْقَرِضَة Nearly Extinct Languages :

وهى التى يُعْتَقَد بعدم تمتُّعها بالمقوِّمات التى تجعل من بقائها واستمرارها على الساحة اللغوية أمرًا مُمْكِنًا، وعادةً ما يَرْجِع ذلك إلى انحصار الفئة المتحدِّثة بها فى قِلَّة من المسِنِّين.

(٥) لغات مُنْقَرِضَة Extinct Languages:

وهى التى تُوفِّى آخِر المتحدِّثين بها، وبالتالى تَنْعَدِم فرصة إحيائها من جديد[٥٣].

وهناك تصنيف آخَر من خمسة مستويات ركَّزَ فيه «ستيفن وورم» Stephen Wurm على درجات الضعف التى يُمْكِن أن تَمُرّ بها اللغات[٥٤] على النحو الآتى:

- **تصنيف «ستيفن وورم» Stephen Wurm :**

(١) لغات يُمْكِن تهديدها (فى مرحلة خطر مُمْكِن)
Potentially Endangered Languages

وهى التى لا تُسْتَخدَم على المستويين الاجتماعىّ والاقتصادىّ، وتُواجِه ضغطًا شديدًا مِنْ قِبَل لغة أخرى تُهَيْمِن عليها. وتبدأ - بالتالى - فى فُقدان المتحدثين بها من الأطفال.

(٢) لغات مُهدَّدة (فى خطر) Endangered Languages:

وهى التى يَنْحَسِر تعلُّم الأطفال لها تدريجيًّا أو يكاد يَنْعَدِم، ويكون أصغر مُتحدِّثيها من البالغين. ووفقًا لخبراء اليونسكو فإن أية لغة تدخل مرحلة الخطر حينما يتوقَّف أكثر من (٣٠٪) من أطفال الجماعة الناطقة بها عن تعلُّمها[٥٥].

(٣) لغات مُهدَّدة بشِدَّة (فى مرحلة خطر كبير)
Seriously Endangered Languages :

وهى اللغات التى لا يتحدَّث بها بطلاقة إلَّا مَنْ هُم فى عُمْر الخمسين أو أكبر.

(٤) لغات مُحْتَضِرَة (على حافَّة الانقراض) Moribund Languages:

وهى التى لا يتحدَّث بها بطلاقة إلَّا عدد يسير جدًّا من الأشخاص، وغالبًا ما يكونون من المسِنِّين[٥٦]. ومن اللغات التى فى طَوْر الاحتضار يُمْكِن الإشارة إلى لغة «جالى» Gaeli فى جزيرة «كيب بريتون» Cape Breton الواقعة إلى الشمال الشرقى من مقاطعة «نوفا سكوشيا» Nova Scotia التى كانت تُكوِّن إحدى الولايات الأربع فى دومينيون كندا، ويُقدَّر عدد الناطقين بهذه اللغة اليوم كلغة أُم بحوالى خمس مئة من المسِنِّين، فى حين أن عددهم فى مُسْتَهلّ القرن العشرين تراوح ما بين خمسين ألفًا وخمسة وسبعين ألفًا[٥٧].

(٥) لغات مُنْقَرِضَة Extinct Languages:

وهى التى لم يَبْقَ مَنْ يتحدَّث بها؛ نظرًا لوفاة آخِر المتحدِّثين بها.

- ويُقدِّم لنا «بومان» Bauman تصنيفًا مُماثِلًا بترتيب من خَمْس درجات كالتالى[٥٨]:

(١) لغات مُزْدَهِرَة Flourishing Languages

(٢) لغات معانية Enduring Languages

(٣) لغات مُتدهورة Declining Languages

(٤) لغات مَتْروكَة Obsolescent Languages

(٥) لغات مُنْقَرِضَة Extinct Languages

نموذج تصنيفى للغات الأصلية المهدَّدة فى أمريكا الشمالية:

- يَذْكُر «أكيرا واى ياماموتو» Akira Y. Yamamoto أنه كان هناك حوالى (٣٠٠) لغة محلية فى أمريكا الشمالية وقت قدوم الأوروبيين، وكان يتحدَّث

بهـا أكثـر مـن (٥٠) عائلة (مجموعـة) لغوية. وحـدَّد أول تصنيـف للغات الأمريكية الأصلية الذى أعدَّه «جون ويسلى باول» (١٨٩١) John Wesley Powell (٥٨) عائلـة لغويـة، واسـتنادًا إلى أطلـس اللغـات المهـدَّدة بالاندثـار، كان يوجد فى عـام (١٩٥٠م) ١٩٢ لغـة فى الولايات المتحدة انقـرض منهـا (٥٣) لغة منذ ذلـك الحين، وبقيت (١٣٩) لغـة يتحدَّث بها فـرد واحـد أو أكثر. وصُنِّفـت (١١) لغة على أنها «غير آمنـة» لكون معظم الأطفال يتحدَّثون بها، إلا أن هذا الاستعمال قد يكون منحصـرًا فى مجالات مُعيَّنة كالمنزل. وحدَّد الأطلس خمسًـا وعشـرين (٢٥) لغة على أنها «مُهدَّدة بالانقراض بالتأكيد»، الأمر الذى يعنى أن الأطفال لم يعودوا يتعلَّمون هذه اللغـات باعتبارها لغتهـم الأُم. وتوجد اثنتان وثلاثـون (٣٢) لغة «مُهدَّدة بالانقـراض بشـدة»، الأمر الـذى يعنى أنـه لا يتحدَّث بها سـوى الأجيال المتقدِّمـة فى العمـر. وصُنِّفت واحدة وسـبعون (٧١) لغة عـلى أنها «مُهدَّدة بالانقـراض بدرجة خطـرة» لأن الناطقين بهـا الأصغر سـنًّا أصبحوا الآن مُتقدِّمين فى العمر[٥٩].

سادسًا: كيف يُمْكِن تقييم درجات الخطورة التى قد تواجه اللُّغات المهدَّدة؟

يعتمد الخبراء منهجية تقييمية لحيوية اللغات وما يُحدِق بها من أخطار، من خلال تسعة عوامل معيارية تَسْعَى مُجْتَمِعَة إلى تصنيف مستوى الخطر المحدق بأية لغة على شفير الانقراض، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) عدد المتكلِّمين باللغة نِسْبَةً إلى حجم السكان.

(٢) ردة الفعل تجاه المجالات الرقمية المسْتَحْدَثة.

(٣) نسبة استعمال اللغة فى القطاعات العامَّة والخاصَّة.

(٤) إمكانية توارث اللغة عبر الأجيال.

(٥) نوعية التوثيق.

(٦) توفُّر آليات التسجيل والتلقين والحفظ[٦٠].

ويرى «ديفيد كريستال» David Crystal فى كتابه «Language Death» إمكانية قياس درجات الخطورة التى قد تواجه اللغات المهدَّدة باستخدام المعايير اللغوية Linguistic Criteria؛ حيث يَعْكِس لنا ذلك النطاق الذى تُسْتَخْدَم فيه هذه اللغات، ويكشف لنا كذلك صنوف التغيُّر البنيوىّ أو الوظيفىّ Structural or Functional Change التى يُمْكِن أن تطرأ عليها، عادةً ما تتَّسِم اللغات المهدَّدة بخطر الزوال بانحسار استخدامها فى المجتمع شيئًا فشيئًا، ويرجع ذلك إلى أحد أمرين:

(١) تلاشى الوظائف الأساسية التى تقوم بها هذه اللغات.

(٢) وجود لغات أخرى أكثر قوة احتلَّت مكانها تدريجيًّا.

وفى أفريقيا الكثير والكثير من الأمثلة، ففى إحدى الحالات مثلًا قد يَقِلّ استخدام إحدى اللغات المحَلّيَّة Indigenous Language فى المجالات التعليمية والسياسية، وغيرها من المجالات العامَّة الأخرى؛ وذلك نظرًا لهيمنة إحدى اللغات الكبرى على هذه المجالات كالإنجليزية والسواحلية، أو إحدى لغات التفاهم المشْتَرك Lingua Franca.

هـذا، وقـد تعانـى بعـض اللغات مـن تناقـصٍ تدريجـىّ فى اسـتخدامها والتحـدُّث بها حتـى ينتهى بها الأمر إلـى أن ينحصـر اسـتخدامها فى مجالٍ

واحدٍ فقط، ومثال على ذلك لغة «الجيز» أو «الجيعز» Ge'ez فى إثيوبيا التى يقتصـر استخدامها على الطقوسِ الدينية الكنائسية، وحتى اللغات الأوروبية الحديثة تَشْعُر بدُنُوِّ الخَطَرِ منها(٦١).

فها هو «يوهان فان هورد» Johan Van Hoorde رئيس إدارة المشـروعات بمُنظَّمة Nederlandse Taalunie ـ وهى مؤسَّسة أسَّستها الحكومتان الهولندية والبلجيكية بهدف تنشيط اللغة الهولندية (التى يتحدث بها حاليًّا حوالى ٢١ مليون شخص) وتشجيع التحدُّث بها - يُعبِّر عن ذلك بقوله:

«قد لا تكون اللغة الهولندية مُهدَّدة بخطر الانقراض سواء على المدى القصير أو المتوسط، ولكنها تواجه خطر التهميش، وقد تصير فى النهاية مُجرَّد لغة عاميَّة دارجة للاستعمال المنزلىّ فقط (تتحدَّث بها مع أفراد أسرتك، تُعبِّر بها عن مشاعرك)؛ فهى ليست من ذلك النوع من اللغات الذى يُسْتَعْمَل فى الميادين المهمة كالمال، والأعمال، والعلوم، والتكنولوجيا»(٦٢).

ومثال ذلك أيضًا اللغة الأيرلندية التى تُعَد واحدة من آلاف اللغات المهدَّدة بالزوال حول العالم، صحيح أنها اللغة الرسمية إلَّا أن عدد مَنْ يُجيدونها بطلاقة انخفض إلى حوالى (٤٤) ألفًا بعد أن كان (٢٥٠) ألفًا عند تأسيس أيرلندا فى عام (١٩٢٢م).

تُعلِّم المدارس الأيرلندية هذه اللغة كمادة أساسية، لكن باستثناء بعض المناطق فى غرب أيرلندا، قلما تتحادث العائلات بها فى المنزل. ويوضِّح ذلك البروفيسور «براين أوكونتشابير» Brian O'Conchubhair (أستاذ مُتخصِّص فى الدراسات اللغوية والأدبية الأيرلندية فى جامعة نوتردام Notre Dame) بقوله:

«ثمة فارق كبير بين قدرتك على تكلُّم الأيرلندية، واستعمالها كلغة يومية»

ويضيف «أوكونتشابير»، الذى تعلَّم هذه اللغة فى المدرسة:

«من النادر أن تَعْثُر على مَن يتكلَّمها فى المدن؛ فقد أصبحت أَشْبَه بثقافة نادرة»(٦٣).

أمَّا عن مظاهر التغيُّر البنيوى Structural Change فى اللغات المهدَّدة فيقترن عادةً بازديادٍ ملحوظ فى كم التحوّل اللغوىّ Code-switching فيما بينها وبين اللغات الأخرى التى تتواصل معها، ويُقصد بالتحوّل اللغوىّ الانتقال من لغة إلى أخرى أو أكثر أثناء التحدُّث، أو الاستخدام المتزامِن لأكثر من لغة فى الحديث أو فى غيره من السياقات الأخرى.

وهو الأمر الذى يؤدّى إلى ذوبانها فى هذه اللغات التى تَفْرِض عليها هيمنتها وتُحْكِم عليها سيطرتها، ويكون لهذا كبير الأثر على الملامح النحوية Grammatical Features للغات المهدَّدة؛ حيث يَكْثُر اقتراض التصريفات Inflections والكلمات الوظيفية Function Words من اللغات المهَيْمِنَة، الأمر الذى يُفْسِح المجال لتقبُّل المزيد من الملامح اللغوية الدخيلة دون أدنى مقاومة.

وتتدنَّى المعرفة اللغوية لدى جيل الشباب الذى لا يعرف من مفردات لغته إلَّا التقليدىّ منها الذى يجرى على ألسنة الكبار، والكبار من جانبهم مُتحفِّظون على المفردات المقْتَرَضة Borrowed Vocabulary التى حلَّت مَحلّ الأصلية القديمة، ويشعرون بأنهم لا يألَفونها فهى غريبة عنهم .. لا تنتمى إليهم(٦٤).

وعلى هذا فإنَّ الخطَر الأكبَر الذى يُمْكِن أن يتهدَّد أية لغة يَكْمُن فى خَلْخَلة نظامها التركيبى، وقد أثبت التاريخ اللغوىّ أن الأُمَم الراقية ترفض الخروج

على نظامها اللغوىّ بصفةٍ عامةٍ، والنحوى بصفةٍ خاصة، وتَبْقَى فى حركةٍ مستمرة وبحثٍ حثيث عن كلمةٍ أو مصطلح من لغتها تُحِلُّهُ مَحلَّ الأجنبى الذى جاءها مع صناعةٍ أو إبداعٍ من الخارج؛ فإذا ما اضطرت إلى استعمال اللفظ الدخيل عدَّلت فيه لتُكْسِبَهُ خصائص صياغة مفرداتها أو شيئًا منها.

إن دخول الألفاظ الدخيلة فى اللغات، ولاسيما العتيقة الحيّة التى تستند إلى تاريخ طويل ـ كلغتنا العربية ـ لا يُشكِّل تهديدًا لها بالانقراض، بل قد يكون مُفيدًا لها فى التنمية اللغوية؛ وخاصَّة إذا ما أَحْسَنَ أهلُها تطويعها إلى خصائصها فى الوضع الجديد، أما الخطرُ الحقيقىّ الذى سيكون له أثر الفعل السِّحْرىّ فى تهديدها بالذوبان والانقراض، فيتمثَّل فى تقويض نظامها اللغوىّ ولا سيّما الصرفىّ والتركيبىّ[٦٥].

لذا يرى «ديفيد كريستال» David Crystal أنه عند تقييم مستوى (درجة) التغيُّر البنيوى أو الوظيفى فى لغةٍ ما، يجب ألَّا نغفل أن التغيُّر ظاهرة طبيعية وضرورية فى كل اللغات، فاللغات القوية المزْدَهِرَة دائمًا ما تقترض ألفاظًا من بعضها، كما أن الاختلاف بين مفردات الأجيال القديمة والحديثة هو أمرٌ طبيعىّ. لذا يجب التمييز بين التغيُّر الذى يَحْدُث فى لغةٍ وأخرى من حيث درجة هذا التغيُّر ونوعيته ومداه:

«هل هو تغيُّر طبيعى لا ينطوى على أيَّة خطورة كالذى يَحْدُث فى اللغات المزدهرة القوية التى تقترض من غيرها فتزيد ثروتها اللغوية؟ أَمْ هو تغيُّر من النوع الخطِر .. من النوع السـريع المفاجئ الجذرى الذى يُمْكِن أن يؤدِّى حدوثه إلى تدهور اللغة وتعريضها لخطر الموت .. الاندثار، الانقراض، الزوال»[٦٦].

لا عَجَبَ أن يَلْقَى موضوع موت اللغة ردود فعل واسعة؛ إنسانية وانفعالية وعاطفية؛ ففقدان لغة بشرية ما يعنى فقدان هوية وفقدان تراث ثقافىّ بأكمله، وهذه هى السِّمَة الغالبة فى عِدَّة أنحاء من العالَم، حيث اندثرت معظم اللغات الأصلية Indigenous Languages ولم يَبْقَ أى منها على قَيْدِ الحياة(٦٧).

وعلى ذلك لا يَسَعُنا إلَّا أن نتَّفِق مع مَنْ يَرَى أن التاريخ اللغوىّ اليوم يَمُرّ بأزمةٍ حقيقية وأن الوَضْع اللغوىّ أصبح مُتأزِّمًا للغاية:

«يبدو أننا نعيش الآن وأبناؤنا فى مُنْعَطَفٍ خطير فى ظِلِّ تدنّى عدد المتحدِّثين بأغلب اللغات فى العالَم، والذى من المتوَقَّع أن يَصِلَ إلى نقطة الصفر»(٦٨).

المبحث الثالث

مَوْتُ اللُّغَـة... وشُعورٌ بالغربة

«الشُّعورُ بالغربة.. عندما تجد نفسك بدون اللغة التى اعتدت على التحدُّث بها.. تُسْلَب هويتك اللغوية».

ديفيد كريستال

مَوْتُ اللُّغَة... وشُعورٌ بالغربة

ماذا يعنى فَقْد اللغة؟!

اللغة وعاء لحضارة الأُمَّة وثقافتها، وهى الأداة الفعَّالة لبناء النهضة والحضارة، وهى الواسطة التى تجعل من الأُمَّة مجتمعًا متماسكًا.

يُرْوَى أنه فى سنة (١٤٩٢) قام العالم اللغوى الإسبانى «أنطونيو دى نيبريخا» Antonio de Nebrija بوضع كتاب فى نحو الإسبانية وصرفها بمناسبة اكتشاف أمريكا، وقدَّمه إلى الملكة «إيزابيلا» Isabella لأول مرة فى تاريخ اللغات الأوروبية، اندهشت الملكة، ثم سألته: وما فائدة هذا الشىء؟

فأجاب: يا صاحبة الجلالة: «إن اللغة هى الأداة الفعَّالة فى بناء الإمبراطوريات»[١]!

كل شعب يَفْرِض ذاته ويتطوَّر انطلاقًا من لغته وبفضلها؛ فاللغة هى التى تمنحه خُصُوصيته وتُشكِّل بطاقة هويته، وتصبح وسيلته للمعرفة والانفتاح على العالم، فاللغة هى الهوية، هى الأصالة، وازدهار لغة ما دليل على تماسك أهلها ورفعة حضارتهم، كما أن ضعف لغة ما دليل على ضعف أهلها وتراجعهم؛ فاللغة بأهلها قوةً وضعفًا[٢].

يقول «بنيامين لى وورف» Benjamin Lee Whorf:

«تُشكِّل اللُّغة الطريقة التى نُفكِّر بها، وتُحدِّد ما نستطيع التفكير فيه»[٣].

ذلك أن للُّغة دورًا أساسيًّا فى تكوين نظرة الإنسان للكون، فاللُّغة ليست فقط أداة ووسيلة يستخدمها الفكر، بل هى أيضًا الوعاء الذى فيه يَتشكَّل الفكر.

واللُّغة هى ذاكرة الشعب التى يختزن فيها تُراثَه ومفاهيمه وقِيَمه، فى حلقة تواصليَّة يربطها الفرد مع النَّسَق الكلىّ العام الذى يُمارِس دوره الفعَّال فى صياغة المجتمع الإنسانى وتحريكه وفق مُتطلَّبات عصـره؛ فاللُّغة – بهذا – مؤسَّسَة اجتماعيَّة تختلف باختلاف الشعوب، هدفها الأساسى التعبير عن الرغبات والأفكار والعواطف ضمن المجموعة البشريَّة التى تتكلَّمها.

واللُّغة أيضًا مُلْتَحِمَة أشدَّ الالتحام بالعقيدة، فعُلَماء اللُّغة يعرفون اليوم بتداخل موضوع اللُّغة و«الإيديولوجيا» Ideology إلى حَدٍّ أن بعضهم ذَهَبَ إلى أن تعلُّم أى لغة من اللغات، حتى اللغات العِلْميَّة، ما هو فى نهاية الأمر إلَّا تعلُّمٌ لعقائديَّة الناطقين بتلك اللُّغة؛ لأن اللُّغة ـ كما جاء فى تعريف بعضهم ـ هى أداةٌ للتخاطُب يمكن بفضلها تحليلُ التجارب البشـريَّة التى تختلف من مجموعة إلى أخرى.

ويُشير «يوهان جوتليب فيخته» Johann Gottlieb Fichte إلى أهمية اللغة فى ربط الفكر بالواقع:

« اللغة تجعل من الأُمَّة الناطِقَة بها كُلًّا مُتراصًّا خاضِعًا للقوانين، إنها الرَّابِطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان»(٤).

بينما يَرَى «فوسـلر» Fussler أن اللغة القوميـة وَطَنٌ روحىّ يؤدّى دَوْرَ مَنْ حُرِمَ وطنه على الأرض.

ويعتبر «مصطفى صادق الرافعى» أن اللغة مَظْهَر من مظاهِر التاريخ، والتاريخ صفة الأُمَّة.. كيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتِّصالها بتاريخ الأُمَّة واتِّصال الأُمَّة بها وجدتها الصفة الثابتة التى لا تزول إلَّا بزوال الجِنْسِيَّة وانسلاخ الأُمَّة من تاريخها.

إن اللُّغَة ليست وسيلة من وسائل التفاهم والثقافة فحَسْب، وإنما هى أساس كل نشاط ثقافى، ووظيفتها هى الدلالة والإيحاء، وهى أشْبَه بكائن حَىّ تنعكس فيه جميع مزايا المجتمع.

إنها المسْتَوْدَع الأكبر والأمين للتراث الاجتماعىّ والعقيدة، وهى العامِل الأوحد لنشر هذا التراث بصورةٍ مُشْتَرَكَة بين مُخْتلَف صفوف الشعب، فيها يتسلَّم الخلف من السلف نظرتهم فى الإنسان، والمادَّة، والخالِق، فَتكون همزة وَصْل الأجيال بعضها ببعض.

والسؤال المستحق هنا هو:

- ماذا لو فَقَدت جماعة بَشَرِيَّة ما لغتها؟
- ما الذى يَعْنيه فُقْدان هذه الجماعة للغتها؟
- وما الذى تفقده هذه الجماعة بفُقْدان لغتها؟

ويُجيب «كويشيرو ماتسورا» Kōichirō Matsuura – المدير العام السابق لليونسكو عن هذا السؤال بقوله:

«إن اختفاء لغة من اللغات يؤدّى إلى اختفاء أنماط متنوعة من أشكال التراث الثقافى غير المادىّ، لاسيّما ذلك التراث الثمين القائم على التقاليد وعلى أشكال التعبير الشَّفَهِىّ من قصائد وأساطير وأمثال ونِكات لدى المجتمعات التى تتداولها»[٥].

لذلك يؤكِّد الكثير من العلماء على القيمة التاريخية للتراث الشـفهىّ لأُمَّةٍ ما ويُنادون بأهمية تدوينه باعتباره مَصْدرًا من مصادر التاريخ المتعدِّدة(٦).

- والتراث الشفهىّ وفقًا لمعْجَم «روبير» Robert هو:

«انتقال غير مادىّ للمذاهب والممارَسات الدينية والأخلاقية المتوَارَثة من عَصْر إلى آخَر بواسطة الكلمة المنطوقة»(٧)

إن التـراث الشـفهىّ وثيـق الصِّلَـة بالتاريـخ، ذلـك أن الأوَّل يُعَـد مِرْآة المرحلة الحضارية التى يعيشها الناس، وهو يُعبِّر عن أفكارهم وعواطفهم كما أنه يُصوِّر شيئًا غير يسير من النُّظُم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية السائدة(٨).

كارثـــة مُحقَّقـــة..

لا شَكَّ أن اندثار لغة من اللُّغات يعنى خُسارة علماء اللغة، والأنثروبولوجيا، والآثار، والتاريخ، وغيرهم مَصْدَرًا غَنِيًّا بالمعلومات التى تُعين فى دراسة وتوثيق تاريخ الشعب المتحدِّث بتلك اللغة، والحقيقة أن ضياع لغة ما قد يعنى ضياع التاريخ بِرُمَّته لأصحاب هذه اللغة؛ والعكس صحيح، وهل تكشَّفت مَلامِح التاريخ الفرعونىّ، فى أوضح صورها، إلَّا بَعْدَ أن فَكَّ «شامبليون» Champollion الفرنسىّ شفرة الأبجدية الهيروغليفية؟(٩)

- من ناحيةٍ أُخْرَى يَرَى «مايكل كراوس» Michael Krauss أن:

«اللُّغات تَحْمِل فى طيّاتها المعرفة الفكرية للشعوب.. إنها تحوى ملاحظاتِهم عن العالم من حولهم، وعناصر تكيُّفهم مع هذا العالم. ويُعَد تفاعل الأنظمة اللغوية المعقَّدة مع بعضها هو أهم ما يُميِّز المجتمعات البشرية. وبكل لغة نفقدها، نَفْقِد معها قدرتنا على التكيُّف والتنوُّع التى تمنحنا القدرة على البقاء»(١٠).

فكما يُعدُّ التنوُّع الأحيائىّ ضروريًّا لسلامة الأرض، فإن هذا الأمر يَنْطَبِق أيضًا على التنوُّع الفكرىّ والثقافىّ. فضلًا عن أن ضياع لغة من اللغات يعنى أن العالَم سيُصْبح أقل تنوُّعًا من حيث الأصوات واللهجات التى تتردَّد فى فضاءاته![11].

فسبحان القائل فى مُحْكم تنزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ [الروم: ٢٢].

إن مَوْت اللغات يُعَدُّ بحق كارثة تُهدِّد مستقبل البشـرية جمعاء. ويُشير أطلس اللغات المهدَّدة بالانقراض إلى أن اختفاء أى لغة يعنى انكماش وتقلُّص الثروة الفكرية والمعلومات التى يُخزِّنها الإنسان ويُعبِّر عنها عن طريق تلك اللغة. ومن الأمثلة على ذلك الأعشاب الطبيَّة والتى لا يعرفها سِوَى المطَّلعين على الثقافات التقليدية، وعندما تختفى لغاتهم وثقافاتهم ستختفى أيضًا المعلومات عن هذه الأعشاب وخصائصها العلاجية[12].

وهذا ما يتَّفِق معه المدير العام السابق لليونسكو «كويشيرو ماتسورا» Kōichirō Matsuura إذ يقول:

«إن فقدان اللغات يجرى على حساب العلاقة التى يُقيمها الإنسان مع التنوُّع البيولوجىّ حوله لأن اللغات تنقل فى الحقيقة الكثير من المعارف عن الطبيعة والكون»[13]

فاندثار لغة بَشَرِيَّة ما لا يعنى زوال مُفردات رائعة وتراكيب وأنماط نحوية فحَسْب، بل يعنى اندثار تراث بأكمله؛ إذ إن وراء قبيلة صغيرة هناك تاريخ

طويل يمتد لآلاف السنين من التكيُّف مع المنطقة التى كانت تعيش فيها من حيث الثروتان الحيوانية والنباتية وكذلك الظواهر الطبيعية.

ففى أستراليا ـ مثلًا ـ قبيلة باسم «ديربال» Dyirbal تمكَّن أبناؤها فى الستينيات من القرن العشرين من التعرُّف على ما يزيد عن ست مئة صنف من النباتات، فى حين أن هذه المعرفة قد تبخَّرت لدى الجيل الجديد فى أواخر القرن المذكور. وإذا قارنّا الوضع فى أيّامنا لدى أبناء المدُن خاصّة فى الدول العربية فقد لا يَعْرِف الإنسان العادى أسماء بعدد أصابع اليدين من النباتات البريَّة الموجودة فى بلاده. والأمر نفسه ينسحب على المواطنين فى جزيرة «تاهيتى» Tahiti حيث نسوا الكثير والكثير من أسماء الأسماك التى عرفها أجدادُهم.

اللُّغَة رمزٌ للثقافة:

- **والتساؤل الذى يطرح نفسه هو: ما علاقة الثقافة باللغة؟**
- **وهـل اندثـار اللغـة يؤدّى حقًّـا فى خاتمة المطـاف إلى اندثار ثقافتهـا؟ أهناك ثقافـة بـدون لغـة؟ أليسـت «الوردة» هـى نفسـها فى أيَّة لغة كانـت كما قال «شكسبير»؟**

الجوَاب الذى يُمْكِن إعطاؤه هنا ليس سهلًا، فاللغة، أيَّة لغة آدمِيَّة، تَسْعَى لتبويب الأشياء وترتيبها وتعريفها، وفى كل ثقافة نظام للتصنيف والتبويب للواقع والحياة تعكسه اللغة[١٤].

فعندما يتكلَّم أى شـخص بلغته الأم عن أى موضوع، فالكلمة هنا لا تدل فقط على المعنى الحرفىّ للكلمة بل تتعدّاه إلى المفهوم الحضارى والثقافى

المخـزون للكلمة عند المتكلِّـم، فهناك اختلاف بين الكلام العِلْمى والكلام اليومـىّ الـذى يوصـل المفاهيـم والأفـكار والرغبـات والحاجـات والقِيَم والمعْتَقَـدات. فعندمـا يتكلَّم أى شـخص مـن أى ثقافة عن تكـوُّن الماء من ذرَّتـى هيدروجيـن وذَرَّة أكسـجين، فهـو يتكلَّم بلغـة عالميـة لا تختلف من ثقافـة إلى أخـرى حتى ولو قـال المكوِّنات بلغته هـو، فالمعنى واحد وليس لـه مدلولات وبواطـن، ولكن إذا ما كان الموضوع يتعلَّق بالماء ومعنى الماء بالنسـبة للشـخص، فهنا الوضع مختلف تمامًا؛ فالعرب مثـلًا قد يرون الماء علـى أنـه عنصـر نظافـة وطهارة، وتـرى بعض قبائـل الهنود مثلًا أنـه عُنْصُر تعميـد، وتـرى بعض قبائل تايلاند أن الماء هو عنصر تدخل فيه الأسـطورة، وعند بعض القُرَى فى أفريقيا هو كنز ثمين للإبقاء على الحياة، فعندما يتكلَّم كل واحدٍ منهم عن الماء فهو يتكلَّم بمعنى وقَصْدٍ مختلفيْن[١٥].

وفـى عديد مـن اللغـات البولينيزيـة Polynesian Languages فى المحيط الهـادى تُصنَّـف الأشـياء بنـاءً علـى أصحابهـا أو مالكيهـا إلـى مجموعات مُتغيِّـرة، وغير مُتغيِّرة؛ أى: بين الثابت والمتغيِّر. ففى ولاية «هاواى» Hawaii فـى غرب الولايات المتحدة الأمريكية، الأرض والوالدان وأعضاء الجسـم غيـر متغيِّرين فى حين أن الأزواج والزوجات والأولاد قابلون للتبديل لتوفُّر إمكانيـة الاختيـار. وهـذا التقسـيم الثنائىّ بين الثابِـت والمتغيِّـر يتخلَّل كافة الأنماط والمسـتويات وصـورة العالَم فى الثقافة فى «هـاواى»، وفى الوقت الراهـن الذى لا يعـرف فيه الجيل الجديـد لغته حق المعرفة نَـرَى أن الناس قد نسـوا، فلـم يعودوا يعرفون أيَّة أمـور تندرج تحت «المتغيِّـر» وأيها تحت

«الثابـت»، وما يَبْقَـى فى الواقع ليس إلا ظلالًا باهتة لتلـك اللغة والثقافة فى غابر الأيام(١٦).

وهكذا؛ فإن اللغة الأم لأى شعب تَرْمُز إلى هويته وثقافته وتاريخه، ولقد ثَبَتَ واقعيًّا أن اندثار اللغة القومية لأُمَّةٍ ما هو اندثار ذاتها وغياب شخصيتها وحقيقة وجودها، ولا أَدَلَّ على ذلك من حالِ الهنود الحُمْر فى القارة الأمريكية حين غزاهم المهاجرون الأوروبيون، فعملوا فيهم عسكريًّا وثقافيًّا حتى أفقدوهم لغتهم، وبالتالى ذاتيتهم وهويتهم الخاصَّة، وكذلك ما حصل فى أوروبا وأمريكا بحق الرَّقيق السُّود، المجلوبين من أفريقيا، إذ لم يَبْق لهم من جميع أصولهم وخلفياتهم إلَّا ما تَفْرِضه الوراثة من الأشكال والألوان.

إن علاقة اللغة بهوية الإنسان هى علاقة بالذات الثقافية، وشخصية الأُمَّة الشاملة للمعتقدات والتصوُّرات، والخصوصيات الشعبية، والجذور القومية التى تَخُصُّ كل أُمَّة على حِدَة، فالثقافة تعنى لكل أُمَّة: أفكارها وقيمها وعاداتها وأنماط سلوكها، وطريقة حياتها فى مُخْتَلَف جوانب نشاطها الإنسانىّ(١٧).

ومع وجود هذه الرابطة الوثيقة بين اللغة والثقافة المكوِّنة للهوية المميِّزة للأُمَم، فإن اللغة تتخطَّى ذلك لتكون أداة كل أُمَّة للتواصل الشعبىّ، والتجمُّع القومىّ، والانصهار الثقافى العام بين أفراد الأُمَّة الواحدة؛ فهى الجهاز الأساسى للمحافظة على روابط المجتمع، وهى وسيلة المجتمع الفعّالة للتطبيع الاجتماعىّ، الذى يَهْدف فى النهاية إلى الوحدة الثقافية، «فامتلاك المجتمع لثقافة مُشْتَرَكة يُكْسِب أعضاء هذا المجتمع شعورًا بالوحدة، ويهيِّئ لهم المعيشة والعِلْم المشْتَرك دون إعاقة أو اضطراب».

ولهذا تُعْتبَر «اللغات من أعظم شعائر الأُمَم التى بها يتميَّزون»، وعليها يجتمعون، وبها يتَّحدون، وعلى أساسها يكون رمز وجودهم؛ إذ بفقدها أو ضعفها يكون الذوبان الأُمَمِىّ، وفقدان الأصالة، وذهاب الشخصية، وضياع التراث، فالرابطة فى غاية القوة بين ضعف لغة ما واضمحلالها، وبين ضعف أهلها وتخلُّفهم(١٨).

ولهذا يعتبر الباحثون فى اللغات أن ضياع لغة أُمَّة من الأُمَم ما هو إلا ضياع ثقافة أهلها، وبالتالى ضياع هويتها؛ إذ اللغة تَحْمِل أهم الملامح المكوِّنة للهويَّة الذاتية الخاصَّة بكل أُمَّة حين تشترك مع الدِّين فى تكوين الثقافة والحضارة لأُمَّة ما من الأُمَم، ومِمّا يَدُلّ على ذلك ما كان للغة العِبْرِيَّة من دور فعّال فى تواصل الجماعات اليهودية المتفرِّقة فى المنْفَى، والربط بينها برابط اللغة، رغم تهيؤ جميع الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لضياعهم وذوبانهم فى الأُمَم الأُخْرَى؛ ولهذا ما زال اليهود يؤكِّدون على لغتهم العِبْرِيَّة عَبْر مؤتمراتهم، ويحرصون على نشرها بينهم، فاللغة بهذا المعنى هى الجزء المشْتَرك بين أفراد الشعب، وهى الوطن المعنوىّ لهم، وإن كانوا مُتفرِّقين بأجسادهم فى البلاد المختلفة(١٩).

- إن فُقْدَان اللُّغَة ليس - فقط - مُجرد فقدان الناس لمفاهيم أو أفكار مُجردة مُعينة، بل الأمر أخطر من ذلك بكثير؛ ففقدان اللغة يعنى تغيير الناس لسلوكهم وتوقفهم عن نقل لغتهم عبر الأجيال، إن الأمر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسان بوَصْفِهِ إنسانًا (٢٠).

اللغة الأم.. للتعلُّق أسرار

(١) ما سِرّ تعلُّق الإنسان بلغته الأُم؟

- اللغـة الأُم هـى تلـك اللغة التـى يتشرَّبها الطفـل منذ ولادتـه فى البيئة التى يعيش فيها، والوَسَـط الذى ينتمى إليه، لغويًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا[٢١].

وتُشير عبارة «اللغة الأُم فى التعليم» إلى استخدام الدارسين لها وسيلة للتعلُّم أو تعليمها مادَّة دراسية، أمَّا بعض الخبراء فيرون أن عبارة «اللغة الأُم فى التعليم» ينبغى أن تَشْمَل تعليم هذه اللغة والتعليم بواسطتها على حَدٍّ سواء.

وقد يُشار إليها بعبارة «اللغة الأم» Mother Language و«اللغة الأصلية» Native Language، حيث بيَّنت الدراسات أن استخدامها فى التعليم فى حالاتٍ كثيرة عامِل مُساعِد على اكتساب المهارات اللغوية، وعلى التحصيل الدراسىّ فى المواد الدراسية الأخرى وعلى تعلُّم لغة ثانية[٢٢].

ولا تعنى اللغة الأُم اللغة المنطوقة فحَسْب، فهى أكثر من ذلك؛ إذ تحوى اللغة والهويَّة والثقافة والحضارة والكينونة، وتتجاوز ذلك إلى امتلاك الأرض والسُّلْطَة والسيادة، والحصول على الاعتراف الوطنى والدولى واللغوى[٢٣].

ويُشير تقرير لليونسكو عن اللغات المهدَّدة بالانقراض إلى أن اللغة الأُم هى اللغة التى يرثها الكائن البشرىّ عن أسلافه، والتعريف على هذا النحو يتصوَّر فضاءات مُغْلقة بحدودٍ واضحة ومُحدَّدة، يحيا داخلها أسلاف

حريصون على هويتهم واختلافهم؛ فهم يمنحون لأبنائهم الأسماء واللغة وملامِح البَدَن.

- ولكـن التسـمية – نعنـى مفهوم اللغة الأم – تجعل المرء يسـأل: لمـاذا لم نَقُل اللغـة الأب؟ ألأنه ذَكر بينما اللغة أنثى؟! أم أن المقصود من التسـمية تأكيد قوّة العلاقة بين الإنسان وأُمّه؟! أم ماذا؟![٢٤].

مهما يَكُن من أمْرٍ فإن اللُّغة شريكة ثدى الأم فى إيضاح وعى الصغير، وهى راعية المتعلِّم، ومُلْهِمَة المُبْدِع، وهادية المتلَقى، واللغة الأم تَحْمِل المجتمع فى جوفها؛ فهى الهواء الذى تتنفَّسه الجماعة، وهى النظام الذى يُتَرْجِم ما فى ضمائرها من مَعانٍ وأفكار، لتستحيل بدورها إلى وسائل وأدوات تُشكل حياتها، وتوجِّه سلوك أفرادها، وتكشف عن طبقاتهم وجذور نشأتهم، وعن حدود عقلانيتهم وميولهم الفكرية.

واللغة الأُم هى قَدَر الإنسان، وعالَمه، إنها الهوية، وثقافة كل مجتمع كامنة فى لغتها، وفى مُعْجَمها ونحوها ونصوصها وفَنِّها وأدبها، فلا حضارة إنسانية من دون نهضة لغوية.

واللغة الأُم هى التى تَنْسِج الغَزْل المجتمعىّ فى شبكة من علاقات الوفاق التى تُقيمها بين أفراد المجتمع، وجماعاته، ومؤسَّساته، ونُظُمه، ومُعْتَقداته، فلا وفاق بلا لغة، ولا مجتمع بلا وفاق. كما تسهم فى صياغة المجتمع الذى يسهم بدوره فى صياغتها؛ حيث تؤكِّد الفلسفة اللغوية الحديثة أنه لا يُمْكِن التصدّى لدراسة العلاقة بين الذات المعبِّرة، والمعنى المعبَّر عنه دون رصدها وهى تعمل فى سياقها الاجتماعىّ، فالجماعة الناطقة باللغة

هى التى تهب الألفاظ معانيها من خلال استعمالها اللغة فى غَمْرة قيامها بأنشطتها اللغوية.

(٢) إذا غابت اللغة الأُم عن اللسان، هل يُمْكِن أن تغيب عن الفِكْر والوجدان؟

- اللغـة الأُم، وعـلى خلاف مـا تَحْمِله من قِيَـم الجماعات وهويّـات أفرادها الاجتماعيـة، وعـلاوة عـلى دورهـا فى الاقتصـاد العالمّى، تَـدُلّ على تلك العلاقة الحميمة التى تربط الإنسـان بذاته، فهى الإنسـان نفسـه ووسيلته للتواصل مع الآخرين وأداته المعرفية والثقافية، بل هى «البُعْد الأساسـى للكائن البشرىّ»[٢٥].
- اللغـة الأم بالنسـبة للفرد تُشْـبِه البيت الرَّمْـزىّ، الذى نُولَد فيـه منذ البدء، ويظـل هو داخلنـا، كامنًا قارًّا مُترسِّـبًا، نُغـيِّر بلادًا ببلاد، ولغـات بلغات، ويظـل هو هنـاك يظهر فى الهواجـس والأحلام ، حين تَجِّـف قبضة الواقع، أو نفـوز بلحظاتٍ مـن عُزْلَةٍ مُنْتِجَـة نَخْلُص فيها لأنفسـنا[٢٦]؛ إذ لا يُمْكِن انتزاعها من صدورنا حتى وإن غابت عن ألسنتنا.

لكن الأمر يصبح أخطر حين يتَّصِل بالشعوب والجماعات والقبائل، تلك المجموعات من الناس التى - لسببٍ أو لآخَر - تجد نفسها فى سياقات تُباعِد بينها وبين إرثها اللغوىّ، هذه الأصوات تكوَّنت فى فضاءٍ بعَيْنِه، وحَمَلت قَسَمات أصحابها وعيوبهم ومزاياهم، وحتى ما استعاروه من لغات الآخرين، ثم ألجأها الزمن والتاريخ ومنظور القوَّة إلى الانزواء والتهميش كمُقدِّمة للاختفاء[٢٧].

■ **تخيَّـــل...**

تخيَّل أنك استيقظت من النوم يومًا ما ووجدت أنك وحيد بين أناسٍ لا تفهمهم ولا يفهمونك، تُحدثِّهم فلا يعون لغتك، ويُحدِّثونك فتستعجم ما يقولون.. لن يكون أمامك حينئذ إلَّا خياران، إمَّا أن تموت وحيدًا وتموت معك همومك وشجونك، وإمَّا أن تُجاريهم وتفقد لغتك.. ولكنه ليس بالأمر اليسير.. فمن المؤلم حقًّا أن تضطر لتسمية مَنْ يعزُّون عليك بغير ما اعتدت عليه.. أن تناديهم بلسانٍ جديد لا يحمل المشاعر القديمة كلها أو بعضها.. شعورٌ عجيب لَعَلَّ أقرب وصف له هو شعور ذاك الرجل المُسن فى رواية «صلاح حسن» رحمه الله «ثمانون عامًا بحثًا عن مَخْرَج» الذى دخل التِّيه وما خرج منه إلَّا بعد ثمانين سنة، فوجد الناس غير الناس، والأحباب الذين تركهم فيما مَضَى ما عادوا هناك، فبقى وحيدًا بروحه وإن كان جَمْعٌ من البَشَر يحيط به[٢٨].

وهذا ما عبَّرت عنه أيضًا جدَّة من قبيلة «شاميكورو» Chamicuro، تُدْعَى «ناتاليا سانجاما» Natalia Sangama فى عام (١٩٩٩) إذ تقول:[٢٩]

«أحلامى بلغة الشاميكورو [*]، ولكنى لا أستطيع أن أحكى أحلامى إلى أى شخصٍ كان، لأن ما من أحَدٍ آخَر يتحدَّث بلغة الشاميكورو.من الموحِش أن يكون الإنسان هو الأخير»

ولإحساسها بالشعور نفسه أطلقت آخِر مُتكلِّمة بلغة «إياك» Eyak، «مارى سميث جونز» Marie Smith Jones التى تُوُفيَت عام (٢٠٠٨) هذا النداء:

«من المحْزِن أن أكون آخِر ناطقة بلغتكم ... أرجو منكم العودة إلى أصلكم والتحدُّث بلغتكم كى لا تشعروا بالوحدة مثلى»[٣٠].

وها هو «هندريك ستورمان» Hendrik Stuurman يُعبِّر لنا عن تجربة فُقْدانه للغته وعدم نسيانه لأصوله «الخويخية(*)» (أو الكويكية) قائلًا:

«أشعر أننى رضعت من لَبَن امرأةٍ غريبةٍ عنى، أشعر أننى شخصٌ آخَر، أشعر بذلك لأننى لم أعُد أتحدَّث بلغتى الأُم»(٣١).

أمّـا «جورج رزق الله» George Rizkalla فهو سـوريّ مـن قرية «معلولا» Ma'loula ويتحدَّث الآرامية Aramaic (التى يتحدَّثها الآن حوالى سـتَّة آلاف شـخص فى ثلاث قرى بالقرب من العاصمة دمشـق). يَنْقِل لنا «جورج» فى كلماتٍ تُعبِّر عن إحساسٍ حقيقىّ بالفَقْد كيف انحسـرت الآرامية شيئًا فشيئًا وحلَّت محلّها العربية:

«منذ خمسين عامًا، كان جميع الطلّاب فى معلولا يتحدَّثون الآرامية، وكان بعضهم يستطيع التحدُّث بالعربية ولكن بصعوبة. أمّا الآن فأصبح يَحْدُث العكس؛ فالجميع أصبح يتحدَّث العربية والبعض يواجه صعوبة مع الآرامية.. [ثم يتحدَّث عن أبنائه الذين يعملون فى دمشق] إنهم هناك لا يستطيعون رؤية الماعز أو الأشجار أو الفلاحين وهم يعملون فى الحقل. لم تَعُد الكلمات التى تُعبِّر عن هذه الأشياء عالِقة فى ذاكرتهم؛ فهم لا يسمعونها إلَّا رُبَّما مرَّة واحدة فى العام، وذلك سيؤدّى حَتْمًا باللغة إلى أن تصير أفقر وأفقر»(٣٢).

ومن «جورج رزق الله» إلى الكاتب الأسترالىّ «ديفيد معلوف» David Ma'louf الذى ينقل على لسان بطل قِصَّته القصيرة «The Only Speaker of His Tongue» أو المتحدِّث الوحيد بلغته ما يَشْعُر به أى إنسان يَفْقِد لغته الأُم:

«عندما أفكر فى أن لغتى لم تَعُد حيَّة تجرى على ألسنة الناس، تَسْرِى قشعريرة الموت فى كل جسدى.. ما أشعر به أعمق من الإحساس بالموت نفسه لأنه ليس موتًا فَرْدِيًّا، وإنما هو موتٌ جمَاعىّ لى ولجميع أبناء جِنْسِى»[٣٣].

- من أجل ذلك أصبحت قضية اللغة الأُم مَثَار اهتمام المؤسَّسات الحقوقية الوطنية والدولية، حتى وجدنا هيئة الأمم المتحدة بدورها مُنْشَغِلة باللغة الأم عَبْرَ مؤسَّسة اليونسكو؛ إذ خصَّصت لهذه القضية يومًا عالميًّا تدافع من خلاله عن اللغة الأم، باعتبارها إِرْثًا إنسانيًّا حضاريًّا، وحقًّا من حقوق الإنسان المدَنيَّة واللغوية والثقافية، كما أنها تُعْتَبر من الآليّات القوية للمحافظة على التراث المادىّ والروحىّ، وتطويره إيجابيًّا، وتُعَد أيضًا من الوسائل الكفيلة بتحقيق التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعيَّة، ووسيلة إجرائية لتسهيل التواصل بين الأفراد والجماعات والشعوب فيما بينها.

هذا، وقد اعترفت «اليونسكو» باللُّغات الأم بهدف العمل على خَلْق التنوُّع اللغوىّ والتربوىّ والثقافىّ والحضارىّ، والإسهام فى إثراء التراث الإنسانىّ العالمىّ، وإبراز خُصوصيّاته الأدبية والفكرية والفنية والعِلْمِيَّة[٣٤].

- إِنَّ اللُّغَة، أيَّة لغة، ليست أداة للتواصل فحَسْب، بل لها دور أساسىّ فى تكوين نظرة الإنسان وفلسفته للكون، إنها وعاء الفكر والوجدان.. مَخْزَن تجارب الأمَّة بأسرها[٣٥]، إنها الناظم الأساسى للمجتمع والذى يَحْمِل بين ثناياه ضمير الأُمَّة ويدخل فى مفرداتها كل إبداعاتها وَتَصِل الأُمَّة من خلالها

إلى حالة من الرُّقىّ والحضارة، وإن ترتيبها وإنتاجها ليس بالأمر اليسير، كما أن انتزاعها من صدور أبنائها وأَلْسِنَة المتحدثين بها ليس بالأمر الهَين[٣٦].

لِذا، لا عَجَبَ أن يَلْقَى موضوع موت اللُّغَة ردود فِعْل واسعة: إنسانية .. انفعالية .. عاطفية؛ فكل لغة عبارة عن وسيلة فى تحليل العالَم وتركيبه .. لكل لغة طريقة فى بناء الواقع.

كل لغة ثمينة بحد ذاتها؛ فمن خلال اللغة يُشكِّل الأفراد جماعات، ومن خلال اللغة يخلق البَشَر عالَمـًا يُنشئون فيه علاقتهم مع بيئتهم[٣٧].

وفُقدان لغة بشرية ما يعنى فقدان هوية.. فقدان تراث ثقافى بأكمله[٣٨].

وفقدان لغة بشرية ما يعنى فقدان وجهة نظر عالمية، ومخزون من المعرفة.

وفقدان لغة بشرية ما يعنى فقدان التنوُّع اللغوىّ والثقافى والحضارىّ.

وفقدان لغة بشرية ما يعنى فقدان حق من حقوق الإنسان.

ويُعبِّر لنا عن هذه المعانى أحد كبار السِّن من قبيلة «نافاجو» Navajo إذ يقول:

«إذا لم تفتح عينيك، لا تُوجَد سماء.

إذا لم تُنْصِت، لا يوجد أسلاف.

إذا لم تتنفَّس، لا يُوجَد هواء.

إذا لم تمشِ، لا تُوجَد أرض.

إذا لم تتكلم، لا يُوجَد عالَم»[٣٩]

إن حَقّ لغة وطنية فى الوجود يُعَد حقًّا من الحقوق الإنسانية المشروعة لتحقيق التنمية البشرية وإثراء الثقافة، ومن التعليقات الأدبية الحديثة التى تُعبِّر عن ذلك وتؤكِّده تعليق للكاتب الإسكتلندىّ «جيمس كيلمان» James Kelman يقول فيه:

«**لثقافتى ولغتى الحقّ فى الوجود، ولا يَحِقّ لأحد أن يُنْكِر عليها ذلك**»[٤٠].

- من أجل ذلك كله انصب الاهتمام اللغوىّ المعاصِر على الجانب الإيكولوجىّ (البيئىّ) Ecological Side لقضية «موت اللغة» وتَمَّ التركيز على العلاقة بين الإنسان وبيئته، وأفكاره ومشاعره[٤١].

فاللُّغَة هى الإنسان، وهى الوطن، وهى الأهل، وهى نتيجة التفكير، وهى ثمرة العقل.

إنها رابطة العقد فى خريطة المعرفة الإنسانية.

هوامش الفصل الأول

المبحث الأول:

(١) **د. محمد على الخولى**: معجم علم اللغة التطبيقى .- ط١.- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، ص ٨٥.

(٢) **د. محمد على الخولى**: معجم علم اللغة النظرى .- بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٩م، ص ١٨١.

(٣) **د. عبد الهادى بوطالب**: الحقوق اللغوية«حق اللغة فى الوجود والبقاء والتطور والنماء والوحدة».- ط١.- دار الكتاب، ٢٠٠٣م، ص٢٢.

(٤) **المرجع السابق** نفسه، ص٢٣.

(٥) **مجاهد ميمون**: اللغة الرسمية والهوية الوطنية فى ظل المجتمع المتعدد اللغات، مجلة حوليات التراث، العدد السادس ـ ٢٠٠٦.

(٦) **چورچ بول**: معرفة اللغة؛ ترجمة: د. محمود فراج عبد الحافظ .- الإسكندرية، دار الوفاء، ص٢٣٦.

(٧) **مجاهد ميمون**، مرجع سابق.

(٨) **چورچ يول**، مرجع سابق.

(٩) **مجاهد ميمون**، مرجع سابق.

(١٠) **انظر**: .C. Baylon (2000), «Sociolinguistique», Nathan, P.15

(١١) **چورچ يول**، مرجع سابق، ص:٢٣٦.

(١٢) **د. آزاد حموتو**: النهوض باللغة أم بمتكلمها؟، مجلة العربى، العدد: ٥٤٦، السبت ١ مايو ٢٠٠٤، ١٢/ ٣/ ١٤٢٥ هـ.

(١٣) **د. خير الدين عبد الرحمن**: خطورة تتضاعف فى ظل العولمة، جريدة الأسبوع الأدبى العدد ١٠٠٦، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٦.

(14) Nicholas Ostler (2005), "Empires of the Word: A Language History of the World", Harper Collins.

(١٥) **د. خير الدين عبد الرحمن**، مرجع سابق.

المبحث الثانى:

(١) **عبد المجيد ميلاد:** الفجوة اللغوية فى عصر المعلومات، صدر بجريدة «الصباح» فى ٣ يناير ٢٠٠٦.

(٢) **د. عبد الهادى بوطالب:** الحقوق اللغوية: «حق اللغة فى الوجود والبقاء والتطور والنماء والوحدة»- ط١- دار الكتاب، ٢٠٠٣م، ص٣٠.

(٣) **نصف لغات العالم مُعرَّضة للخطر،** مركز الجزيرة للدراسات، الأربعاء ٧/ ١٢/ ١٤٢٢هـ- الموافق ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٢ م،

http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/200220/2/

(٤) **كارى ليدرسن:** الأيرلندية لغة تحارب الزمن ولغات أخرى انقرضت،

http://www.aljarida.com/news/print_news/324015

(٥) **محمد بدوى:** اللغة بيتنا، جريدة الحياة، العدد: ١٥٧٤٠، ٩ مايو ٢٠٠٦، آفاق ص: ١٨.

(6) Akira Y. Yamamoto, Endangered Languages, In "Indigenous People Today … Living in Two Worlds", U.S. Department of State, June 2009, Volume (14), Number (6), P. 31.
http://www.america.gov/publications/ejournalusa.html.

(٧) **رجب سعد السيد:** اللغات أيضًا تنقرض (ميدل إيست أونلاين)، جريدة الصباح، ٢٣ يونيه ٢٠٠٤، ص: ١٢.

(8) David Crystal (2000), "Language Death", Cambridge University Press, P.1.

(٩) **رجب سعد السعيد،** مرجع سابق.

(١٠) **د. حسيب شحاتة:** مدخل إلى ظاهرة اللغات، الحوار المتمدن، العدد ١٩٩٥، ٢/ ٨/ ٢٠٠٧.

(11) David Crystal (2000) , op. cit., P.2

(١٢) **محمود الوهب:** فى تمكين اللغة وقضايا أخرى، النور، العدد: ٣٩٠ - ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٩.

(١٣) **ناهل الدخيل:** الإنسان بين اللغة واللسان، صحيفة الفرات اليومية، الثلاثاء ١١/ ٨/ ٢٠٠٩.

(14) David Crystal (2000), op. cit., P.86.

(١٥) **كارى ليدرسن،** مرجع سابق.

(16) David Crystal (2000), op. cit., P.86.

(١٧) **د. إدريـس واغيش**: خرافة موت اللغـة العربية: الوجه الخفى فى صراع العرب مع الغرب، دروب، ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٩: http://www.doroob.com

(18) Lewis, M. Paul, Gary F. Simons, and Charles D. Fennig (eds.). 2015. "Ethnologue: Languages of the World", Eighteenth edition. Dallas, Texas: SIL International. Online version: Http://www.ethnologue.com.

(19) Lewis, M. Paul, Gary F. Simons, and Charles D. Fennig (eds.). 2015. Op. cit.

(20) Lewis, M. Paul Gary F. Simons, and Charles D. Fennig (eds.), 2015. Op. cit.

(21) David Crystal (2000), op. cit., PP.1415-.

(22) Lewis, M. Paul Gary F. Simons, and Charles D. Fennig (eds.), 2015, op, cit.

(23) Michael Krauss (1992), "The World's Languages in Crisis", Language 68, P.7.

(24) David Crystal (2000), op. cit., P.18.

(25) David Crystal (2000), op. cit., P.19.

(26) Michael Krauss (1992), op. cit., P.6.

(27) David Crystal (2000), op. cit., P.19.

(28) Moseley, Christopher (ed.). 2010. Atlas of the World's Languages in Danger, 3rd edn. Paris, UNESCO Publishing.

(29) Andrew Dalbey (2003), "Language in Danger: The Loss of Linguistic Diversity and the Threat to our Future", Colombia University Press.

(٣٠) **د. خير الدين عبد الرحمن**: خطورة تتضاعف فى ظل العولمة، جريدة الأسبوع الأدبى العدد ١٠٠٦، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٦.

(٣١) **د. محمـد عبد الحـى**، اللغة العربية بـين الخطر الخارجى والتهميـش الداخلى، مركز الجزيرة للدراسات: http://www.aljazeera.net

(٣٢) **د. خير الدين عبد الرحمن**، مرجع سابق.

(33) Mark Abley (2003), "Spoken Here: Travels Among Threatened Languages", Hynman.

(٣٤) **د. خير الدين عبد الرحمن، مرجع سابق.**

(35) Moseley, Christopher (ed.). 2010. "Atlas of the World's Languages in Danger", op. cit.

(٣٦) **د. عبد الهادى بوطالب، مرجع سابق، ص٣٠.**

(٣٧) **د. حسيب شحاتة**، مرجع سابق.

(38) Lewis, M. Paul Gary F. Simons, and Charles D. Fennig (eds.), 2015, op, cit.

(٣٩) **د. حسيب شحاتة**، مرجع سابق.

(40) David Crystal (2000), op. cit. P.3.

(٤١) **د. حسيب شحاتة**، مرجع سابق.

(٤٢) **د. عبد الهادى بوطالب**، مرجع سابق، ص: ٢٩.

(٤٣) **رجب سعد السعيد**، مرجع سابق.

(٤٤) **د. عبد الهادى بوطالب**، مرجع سابق، ص: ٢٩.

(٤٥) **د. عبد الهادى بوطالب**، المرجع السابق، ص: ٣٠.

(46) David Crystal, op. cit., PP. 11 - 13 .

(47) Akira Y. Yamamoto (1997), "A Survey of Endangered Languages and Related Resources", Newsletter of the Foundation for Endangered Languages 5, P.12.

(48) David Crystal (2000), op. cit., P.15.

(49) David Crystal (2000), op. cit., P.19.

(50) Michael Krauss (1992), op. cit. P.4.

(51) David Crystal, op. cit., P.20.

(52) M. Dale Kincade (1991), "The Decline of Native Languages in Canada", In Robins and Uhlenbeck (eds.), PP. 3 - 160.

(53) David Crystal (2000), op. cit., PP. 20 - 21

(54) Stephen A. Wurm (1998), "Methods of Language Maintenance and Revival, with selected cases of language endangerment in the world", In Matsumura (ed.), P. 192.

(٥٥) **عماد الشدياق**: اللغة الأم.. مخاوف وتحديات، المستقبل – الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩ – العدد ٣٢٣٢ – رأى و فكر – ص ١٩.

(56) David Crystal (2000), op. cit., P. 21.

(٥٧) **د. حسيب شحاتة**، مرجع سابق.

(58) James A. Bauman (1980), "A Guide to Issues in Indian Language Retention", Washington: Center for Applied Linguistics.

(59) Akira Y. Yamamoto, "Endangered Languages" (2009), op. cit., PP. 32 - 33.

(٦٠) **عماد الشدياق**، مرجع سابق.

(61) Johan Van Hoorde (1998), "Let Dutch die? Over the Taalunie's dead body", InfoNT 2 (Conférence des Services de Traduction des Etats Européens, The Hague), P. 6.

(62) David Crystal (2000), op. cit., P. 22.

(٦٣) **كارى ليدرسن**، مرجع سابق.

(64) David Crystal (2000), op. cit., P. 22.

(٦٥) **د. صـادق عبـد الله أبـو سـليمان**: انقـراضُ العربيـةِ الفصيحـةِ وَهْـمٌ أم حقيقـةٌ؟، دراسـة مقدمـــة إلى المؤتمـر السـنوى لمجمع اللغـة العربيـة بالقاهـرة، ٢١ أبريل – ٢٥ مايو/ ٢٠٠٨م.

(66) David Crystal (2000), op. cit., P. 23.

(67) David Crystal (2000), op. cit., P. 24.

(68) Preamble to the proposal to establish the Foundation for Endangered Languages in the U.K, Nicholas Ostler, June, 1995.

(٦٩) (وردت هذه الكلمات فى المقدِّمة العامَّة والحيثيات الخاصَّة بمشـــروع اقتراح إنشـاء مؤسسة اللغات المهدَّدة فى المملكة المتحدة، نيكولاس أوستلر، يونيو ١٩٩٥).

المبحث الثالث:

(١) **د. محمد داود**: اللغة والهوية، ص: ٨–٩.

(٢) **د. محمد داود**: اللغة والهوية، ص: ٧.

(٣) **د. محمد داود**: جدلية اللغة والفكر، ص: ٢٣٩ – ٢٧٣.

(٤) **مازن مبارك**: نحو وعى لغوى.– دمشق، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م، ص:٢٠.

(5) UNESCO, http://www.unesco.org.

(٦) **د. عبد الله بن إبراهيم العسكر**: أهمية تدوين التاريخ الشفهى، مجلة الدرعية، العددان «٣٩»، «٤٠».

(٧) **نبيل جورج سـلامة**: التراث الشفوى فى الشـــرق الأدنى ومنهجية حمايته .– دمشق: وزارة الثقافة السورية، «١٩٨٦».

(8) David Hanige, “Oral Historiagraphy”, 1st.ed. University of Texas, Auston, 1983, P.20.

(٩) **رجب سـعد السـيد**: اللغات أيضًا تنقرض (ميدل إيست أونلاين)، جريدة الصباح، ٢٣ يونيه ٢٠٠٤، ص: ١٢.

(10) Linguistics Expert Warns of Language Extinction, Science Daily, March 4, 2007.

(١١) **رجب سعد السيد**، مصدر سابق.

(12) Moseley, Christopher (ed.). 2010. Atlas of the World’s Languages in Danger, 3rd edn. Paris, UNESCO Publishing. http://www.unesco.org.

(١٣) المرجع السابق نفسه.

(١٤) **د. حسيب شحاتة**: مدخل إلى ظاهرة اللغات، الحوار المتمدن، العدد ١٩٩٥، ٢/ ٨/ ٢٠٠٧.

(١٥) **د. سرور قارونى**: فهم ثقافة الآخَر من خلال لغته وأهميته فى التواصل الإنسانى، من ورقة مُقدَّمة إلى المؤتمر الدولى الأول «الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر»، ٢٣ فبراير ٢٠٠٧ – ٢١.

(١٦) د. حسيب شحاتة، مرجع سابق.

(١٧) **د. عدنان باحارث**: مركزية اللُّغَة العربية فى الهوية الإسلامية، ٢٤/ ٨/ ١٤٢٧هـ: http://www.bahareth.org/index.php?browse=article&id=10234

(١٨) المرجع السابق نفسه.

(١٩) المرجع السابق نفسه.

(20) David Crystal (2000), "Language Death", Cambridge University Press, P.25.

(٢١) **د. جميل حمداوى**: الأمازيغية باعتبارها لغة الأم، جريدة المنعطف، الملحق الأمازيغى، المغرب، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٨م، العدد: ٣٢٣٧، ص: ٦.

(٢٢) **اليونسكو**: التعليم فى عالم مُتعدِّد اللغات، ٢٠٠٣، ص: ١٥-١٦.

(٢٣) **د. جميل حمداوى**، مرجع سابق.

(٢٤) **محمد بدوى**: اللغة بيتنا، جريدة الحياة، العدد: ١٥٧٤٠، ٩ مايو ٢٠٠٦، آفاق ص: ١٨.

(٢٥) **عماد الشدياق**: اللغة الأم.. مخاوف وتحديات، المستقبل – الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩ – العدد ٣٢٣٢ – رأى و فكر – ص ١٩.

(٢٦) **محمد بدوى**، مرجع سابق.

(٢٧) المرجع السابق نفسه.

(٢٨) **هل تموت اللغة؟**، الساحة العربية، http://www.elsaha.co.

(29) Akira Y. Yamamoto, "Endangered Languages", In «Indigenous People Today ... Living in Two Worlds», U.S. Department of State, June 2009, Volume (14), Number (6), P. 30.

(30) http://www.america.gov/publications/ejournalusa.html

(٣١) لُغَة «شاميكورو» Chamicuro (أو شاميكولو Chamekolo)، لغة يتم التحدُّث بها فى منطقة «لاجوناس» Lagunas بالبيرو Peru. ذكر أطلس اللغات المُهدَّدة بالانقراض الذى نشرته مُنظَّمة الأُمَم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أنه لا يوجَد سِوَى ثمانية أشخاص يتحدَّثون بهذه اللغة وأنها مُهدَّدة بالانقراض إلى حَدٍّ خطير.

(32) Kodiak Daily Mirror, August 20, 2006.

(٣٣) قبائـل الكويكـوى أو الخواخـوا Khoikhoi تُعْتَـبر من السُّـكّان الأوائل لجنوب أفريقيا وناميبيا.

(34) Koch, Eddie, and Siven Maslamoney, 1997, "Words That Click and Rustle Softly Like the Wild", Mail & Guardian (Braamfontein), September 1997, P.28.

(35) Daniszewski, John, 1997, "Teachers Tries to Rescue Language Spoken By Jesus", Los Angeles Times, 29 March 1997, AL.

(36) Malouf, David, 1985, "The Only Speaker of His Tongue", In Antipodes: stories, Sydney: Random House.

(٣٧) **د. جميل حمداوى**، مرجع سابق.

(٣٨) **د. حسيب شحاتة**، مرجع سابق.

(٣٩) **ناهـل الدخيـل**: الإنسـان بـين اللغـة واللسـان، صحيفـة الفـرات اليوميـة، الثلاثاء/ ١١/ ٨/ ٢٠٠٩.

(40) Akira Y. Yamamoto (2009), op. Cit., P.34.

(41) David Crystal, op. cit., P.24.

(42) Akira Y. Yamamoto (2009), op. cit., P.34.

(43) David Crystal (2000), op. cit., P.25.

(٤٤) المرجع السابق نفسه.

(٤٥) ابن جِنى، الخصائص.

الفصـل الثانـى

كيف تموت اللغة ؟!
(تعددت الأسباب والموت واحد)

- العوامل التى تُهَدِّد أمن الشعوب واستقرارها
- العوامل التى تُهَدِّد هُوِيَّة الشعوب الثقافية

كيف تموت اللُّغَة؟!
تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدٌ

- كيف تموت اللغة؟! إن البشر لا ينقطعون عن الكلام، إلّاَ أن السؤال الجوهرى هنا هو: الكلام بأية لغة؟ لقد حاول كثير من العلماء تحديد سبب مُعيَّن لموت اللغة، إلَّا أن كل هذه المحاولات اتَّسمت بالجَدَلِيَّة، والواقع يؤكِّد أنه لا يُمْكِن إرجاع موت اللغة إلى سببٍ واحد[1]؛ ذلك لأن هناك عديدًا من العوامل التى يُمْكِن أن تؤدى إلى تدهور اللغة؛ ومن ثَمَّ إلى موتها، ومن الحصافة ألَّا نُعمِّم هذه العوامل على كل اللغات؛ فَلِكُلِّ لغة ظروفها الخاصَّة التى تختلف عن غيرها، وما يؤثِّر فى لغة قد لا يؤثر فى أخرى؛ فقد تموت لغة بسبب أن مجموعة قويَّة من البشر استطاعت اجتياح مجموعة أخرى، وفرضت لغتها؛ إمَّا حَرْبًا، وإمَّا هجرةً، وإمَّا عَبْر هيمنة دين أو ثقافة، وهناك باحثون يهتمون بموقف المهزومين من «الغرباء»، وكيف حدثت الهيمنة اللغوية؟ وما الذى يَبْقى من «آثار» اللغة المغلوبة؟ ودلالات الهُجْنَة واختلاف السياقات؟ ولكن بعضهم يتأمَّل كيف أن الأبناء، ربما بعد أجيال، صاروا غرباء عن لغة أسلافهم، بل قد يُعادونها، ويُسْرِفون فى تأكيد انتسابهم للغة التى اكتسبوها بوصفها لغتهم الأم الوحيدة[2].

ومن هنا قسَّم «ديفيد كريستال» David Crystal فى كتابه «موت اللغة» Language Death العوامل المعَرقِلَة لاستمرارية اللغة وقدرتها على البقاء إلى قسمين:

(١) عوامل مُهدِّدة لأمن الشعوب واستقرارها.

(٢) عوامل مُهدِّدة لهُويَّة الشعوب الثقافية.

العوامل التى تُهَدِّد أمن الشعوب واستقرارها:

تموت اللغة بموت آخِر فرد من جماعة المتحدِّثين بها؛ لذا كان العامل الأساسى المساعِد على موت لغةٍ ما هو كل ظرف يُشكِّل تهديدًا مُباشِرًا لأمن وحياة بعض أو كل أفراد الجماعة المتحدِّثة بهذه اللغة.

فكم من لغةٍ ضَعُفَت! وكم من لغةٍ اندثرت بفِعْلِ ظروف مُعيَّنة أثَّرت سَلْبًا على أمن واستقرار أفراد الجماعات اللغوية! بل أوْدَت فى النهاية بحياتهم، وبالتالى بحياة لغتهم[٣]؛ فتقلُّص عدد مُتكلِّمى اللغة باعث على انقراضها.

وتَرْجِع الأسباب التى تؤدى إلى الانخفاض الهائل والخطير فى أعداد المستخدمين للغةٍ ما إلى ما يأتى:

- **أولًا: الكوارث الطبيعية:**

ومنها الزلازل، والأعاصير، والانفجارات البركانية، ومُختلَف التغيُّرات الطبيعية التى بإمكانها أن تكتسح بل تُبيد بسهولة المجتمعات الصغيرة فى المناطق المعزولة؛ ففى السابع عشر من يوليو لعام (١٩٩٨م) تعرَّض الساحل الشـرقى من مقاطعة «ساندواون» Saundaun فى بابوا غينيا الجديدة، لزلزالٍ عنيف بَلَغَت قُوَّتُهُ (٧,١) رختر، وأسفر عن خسائر كبيرة فى الأرواح، قدِّرَت بما يزيد على ألفى ومائتى (٢٢٠٠) شخص، كما أدَّى إلى نزوح ما يزيد على عشـرة آلاف (١٠,٠٠٠) شخص إلى مراكز الرعاية وغيرها من البقاع الأخرى، وهكذا تسبَّب الزلزال فى تدمير العديد من القرى كقرية «سيسانو» Sissano و«واروبو» Warupu و«أروب» Arop و«مالول» Malol التى كان يتحدَّث أهلها أربع لغات مختلفة.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: هل ستتمكَّن هذه المجتمعات (وبالتالى لغاتها) من الصمود أمام هذا النزوح وهذا التشتُّت القسرى؟[٤]

والجواب: الأمر ليس سهلًا؛ فالتشتُّت الجغرافى أدى إلى انتشار الأقلية التى تتكلَّم لغة ما فى مساحات شاسعة من تراب تسود فيه لغة أخرى تتكلَّمها الأغلبية، وهذا من شأنه أن يُحدَّ من قدرة اللغة الضعيفة على المقاومة؛ فلا يُمْكِن للغةٍ أن تعيش إلَّا إذا كانت مُتمركزة بقوة فى تراب محدود (وطن).

- **ثانيًا: الظروف المناخية والاقتصادية:**

قد لا يتعرَّض الموْطِن الخاص بلغة ما لخطر الخراب والدمار، لكنه يكون غير مُلائم للحياة؛ وذلك نظرًا لعدم استقرار الأحوال المناخية وسوء الأحوال الاقتصادية، وبخاصَّة المجاعات والقحط والجفاف ونحو ذلك.

ففى أيرلندا تسبَّبت الآفات الزراعية ما بين عامى (١٨٤٥م) و(١٨٤٦م) فى إتلاف عديد من المحاصيل، مما أسفر عن مجاعة راح ضحيتها مليون شخص، ما بين عامى (١٨٤٥م) و(١٨٥١م)، ثم بدأت سلسلة من الهجرات إلى مناطق أخرى، وانخفض عدد السكان من (٨) ملايين نَسَمَة وفق إحصاء عام (١٨٤١م) إلى (٥ , ٦) ملايين نَسَمَة عام (١٨٥١م).

لقد نالت هذه المجاعة أكثر ما نالت من المجتمعات الريفية التى كانت بها اللغة الأيرلندية هى اللغة الأساسية المتحدَّث بها، ولا شك أن هذا قد عجَّل بتدهور اللغة الأيرلندية فى ذلك الوقت.

أمَّا فى العصر الحديث، وبخاصَّة فى أفريقيا، فتُشير الإحصاءات إلى أن الحروب الأهلية Civil Wars تُعَد من العوامل المساعدة على تدهور اللغة إلى جانب المجاعات[٥].

فوفق تقديرات وكالات الأمم المتحدة أثَّرت مَوْجَة الجفاف التى اجتاحت الساحل فى شرق أفريقيا وجنوبها ما بين عامى (١٩٨٣م) و(١٩٨٥م) على (٢٢) مليون شخص فى أكثر من عشـرين دولة، وفيما بين عامى (١٩٩١م) و(١٩٩٢م) تسبَّبت إحدى الموجات المماثِلة فى الصومال فى وفاة رُبْع مجموع الأطفال تحت سنِّ الخامسة، وفى عام (١٩٩٨م)، ووفق إحصاءات برنامج الغذاء العالمى التابع للأمم المتحدة، تعرَّض (١٠٪) من مجموع سكان السودان البالغين (٢٩) مليون نَسَمَة إلى خطر الموت جوعًا، وبخاصَّة فى الجنوب، زاد الأمر خطورةً وتعقيدًا بسبب الحرب الأهلية الدائرة هناك، وقد أثَّرت هذه الظروف الاقتصادية السيئة على مجموع اللغات المتحدَّث بها فى أجزاءٍ عِدَّة من السودان والبالغ عددها (١٣٢) لغة حيَّة – وفقًا لتقديرات أحد الجداول الإثنولوجية لعام (١٩٩٦م) – منها (١٧) لغة يتحدَّثها أقل من ألف (١٠٠٠) شخص، و(٥٤) لغة يتحدَّثها أقل من عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) شخص.

■ **ثالثًا: الأمراض المجلوبة من مناطق أخرى:**

ويعود بنا ذلك إلى الحِقْبَة الاستعمارية المبكِّرة، فعند مَجيء المستَعْمِرين الأوروبيين الأوائل إلى الأمريكتين، جلبوا معهم من الأمراض ما تسبَّب فى وفاة (٩٠٪) من مجموع السكان المحليين.

وإذا أخذنا سكان وَسَط المكسيك مثالًا سنجد أن عددهم بلغ عام (١٥١٨م) أكثر من (٢٥) مليون نَسَمَة، وعند قدوم الإسبان تناقص هذا العدد حتى وصل إلى (١,٦) مليون نسمة بحلول عام (١٦٢٠م). وتُشير

بعض التقديرات إلى أن سكان العالم الجديد ربما كانوا مئة مليون نَسَمَة قبل احتكاك الأوروبيين بهم، وقبل مُضى مئتى عام انخفض هذا العدد ليصل إلى مليون نسمة فقط، إنها كارثة بكل ما تحمله الكلمة من معنى!

لقد فاقت هذه الكارثة فى الخسائر التى أحدثتها فى الأرواح كُبْرَى الكوارث فى العالم، كالطاعون الأسود «Black Death» الذى تفشَّى فى أوروبا فى القرن الرابع عشر وراح ضحيته (٢٥) مليون نسمة، وفاقت كذلك الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين خَلَّفَتَا عددًا كبيرًا من القَتْلَى وصل إلى (٤٠) مليون نسمة[٦].

- ولا يقتصر الأمر على الأمراض الخطيرة فحَسْب، وإنما قد يكون للأمراض الأقل خطورة نفس الأَثَر الفتَّاك على المجتمعات التى لم يكن لديها، ولم تكتسب أيَّة مناعة ضِدَّها، لقد ذكرت العديد من التقارير أن هنالك أمراضًا كالإنفلونزا - وحتى نزلات البرد العادية - قد أدَّت إلى وفاة عديد من الجماعات المحلية فى عديد من البلدان، لِذا اُعْتِبرَت الأمراض عاملًا أساسيًّا فى تدهور اللغة فى كثير من الحالات، والمثال على ذلك لغة بوسِكوور «Pucikwar» المنْقَرِضَة التى انخفض عدد المتحدِّثين بها فى جُزُر أندامان Andaman Islands إلى (٢٤) شخصًا فقط عام (١٩٨١م)[٧].
- ومن الأمراض الخطيرة ذات الأَثَر البالغ مرض الإيدز (نقص المناعة) الذى يفوق فى خطورته على المجتمعات - وبالتبعية اللغات - غيره من الأمراض الأخرى؛ حيث تَذْكُر إحدى الإحصاءات الصَادرة عن برنامج الأمم المتحدة المشَترك للإيدز أن عدد الإصابات بفيروس الإيدز حول

العـالم قد وصـل إلى (٣٥) مليون شـخص فى نهاية عـام (٢٠١٣م)، منيت الدول النامية وحدها بـ (٩٥٪) من مجموع الإصابات والوفيات:

- (٧, ٢٤) مليونًا فى جنوب الصحراء الأفريقية.
- (٨, ٤) ملايين فى آسيا والباسيفيك (المحيط الهادى).
- (٦, ١) مليون فى أمريكا اللاتينية.

وهذه المناطق مُجْتَمِعَة تحوى أكثر من ثلاثة أرباع لغات العالم[٨].

والجدير بالذكر فى هذا السياق أن أفريقيا واقعة تحت تأثير ضغوط سياسية واقتصادية قاسية، وتعانى من ظروف بيئية ومعيشية مُتدنية للغاية، تجعل من وباء الإيدز أمرًا يفوق فى خطورته اندثار التنوع اللغوى والتراث الثقافى، أضف إلى ذلك أن كثيرًا من شباب الدول الأفريقية عازفون عن تعلُّم لغتهم الأم ويُفضِّلون عليها الإنجليزية أو الفرنسية؛ حرصًا على زيادة فرص العمل المتاحة لهم، سواء داخل ديارهم أو خارجها[٩].

- ويُعَد مرض السُّل من الأمراض الخطيرة كذلك؛ حيث تسبَّب ارتفاع نسبة الإصابة به إلى وفاة (٣٠٪) من مَرْضَى الإيدز. وكانت البلدان الأفريقية هى الأكثـر تَضـرُّرًا من هذا المرض، ومنها بوتسـوانا Botswana، وسـوازيلاند Swaziland، وناميبيا Namibia وزيمبابوى Zimbabwe؛ حيث قضى المرض على رُبْع السكان البالغين من العمر ما بين (١٥) و(٥٠) عامًا.
- ومما لا شـك فيه أن حـدوث المجاعات وتفشِّـى الأمـراض فى أى بلدٍ من البلدان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأحوال الاقتصادية - كما ذكرنا آنفًا فى الحالة الأفريقيـة - وهنـاك ما لا يُحْصَى من الحالات المسَّجلة الناتجـة عن تعرُّض سـكان عديـد مـن المناطق لظـروف كانـت سـببًا مُبـاشرًا فى تهديـد أمنهم

واستقرارهم نتيجة لاستنزاف أراضيهم اقتصاديًّا من قِبَل الدُّخلاء، والمثال على ذلك ظاهرة التصحُّر «Desertification» (تَحوُّل الأراضى الخصبة إلى صحراء)، والتصحُّر هو تدهور الأراضى فى المناطق الجافة وشِبْه الجافة وشِبْه الرطبة نتيجة لعوامل مختلفة، منها التقلُّبات المناخية، والأنشطة البشرية التى تستنزف الموارد الطبيعية، وأكثر هذه الأنشطة شيوعًا هو:

(١) الإفراط فى الزراعة Over – Cultivation.

(٢) الرَّعْى الجائر (المفْرِط) Overgrazing: ويَحْدُث بتمكين أعداد كبيرة من الحيوانات من التغذى على بُقْعَة محدودة من المراعى لإنتاج كمية كبرى من اللحوم، مما يؤدى إلى تدهور التربة الذى يُرافقه تقليل ثباتها وقابليتها للتجريف بفعل عوامل التعرية من الرياح والأمطار.

(٣) زراعة المحاصيل النقدية Cash–Cropping: وهى المحاصيل التى تُباع نقدًا فى السوق كالقطن وغيره من المحاصيل، مما يُقلِّل من مساحة الأراضى المخصَّصة بالأساس لإنتاج المحاصيل الغذائية اللازمة للسكان.

(٤) إزالة الغابات Deforestation: وتُطْلَق على جميع الأعمال والأنشطة التى تؤدى إلى زوال الغابات؛ وذلك نتيجة قطع الأشجار لاستخدام الأخشاب فى الأغراض الصناعية والإنشاءات، أو نتيجة لحرق الأشجار أو إزالتها لاستغلال أراضى الغابات فى زيادة مساحة الأراضى الصالحة للزراعة أو لغرض البناء.

(٥) سوء أساليب الرَّى.

وهكذا يؤثِّر التصحُّر تأثيرًا مُفجعًا على الحالة الاقتصادية للبلاد؛ حيث يؤدى إلى فقدان الأرض لخصوبتها وقدرتها على الإنتاج؛ ومن ثَمَّ قدرتها

على دعم الحياة الحيوانية والبشـرية، وقد تكرَّرت هذه الظاهرة كثيرًا فى القارة الأفريقية على طول الساحل فى السبعينيات والثمانينيات، وهذا يؤدى بدوره إلى زيادة الفقر وتراجع مستوى المعيشة، مما اضطر الناجين من السكان إلى النزوح والهجرة إلى مناطق أكثر أمنًا من أَجْلِ كَسْب العَيْش.

وعندما يجد الناجون طريقهم إلى المراكز السكانية الآمنة يفقدون هويتهم الثقافية Cultural identity شيئًا فشيئًا فى ظِلِّ بيئة من الفقر، وكى يتمكَّنوا من العيش فى كنف المجتمع الجديد، عليهم اكتساب أكبر قَدْر مُمْـكِن من لغة هذا المجتمع أو واحدة من «اللغات الكريولية» Creole المسْتَخْدَمة فى المنطقة كلغة للتفاهم المشتَرك Lingua Franca، وتصبح لغتهم الأصلية مُجرَّد لغة عِرْقيَّة Ethnic Language، فلا تَصْمُد لأكثر من جيل- هذا إن نَجَا أبناء ذلك الجيل[١٠].

- **رابعًا: الظروف السياسية:**

فى بعض أجزاء من العالم، قد تكون الظروف السياسية لبلدٍ ما هى السبب الرئيس فى هلاك شعب هذا البلد وزواله، ومن العوامل المؤدية إلى ذلك الحروب الأهلية والصراعات الخارجية؛ والمثال على ذلك الاجتياحات والمعارك المسلَّحة التى تعرَّضت لها العديد من الجماعات التى تَقْطُن جُزُر المحيطين الهادى والهندى أثناء الحرب العالمية الثانية، والتى كان من نتائجها هلاك هذه الجماعات، مما عرَّض لغاتها لخطر الموت والزوال، ومثال على ذلك لغة بوسِكوور «Pucikwar» المنْقَرِضَة التى كان يُتَحدَّث بها

فى جُزُر أندامان Andaman Islands التى تقع فى خليج البنغال وتَسْكُن هذه الجزر قبائل لم تحتك بباقى العالم إلا مؤخَّرًا [١١].

وقد يكون من آثار الحرب أيضًا فقدان السِّجلات الأرشيفية للغة؛ ففى «فانيمو» Vanimo (عاصمة سانداون فى بابوا غينيا الجديدة) تسبَّب القتال الدائر بين اليابانيين والجيوش المتحالفة فى الحرب العالمية الثانية فى إتلاف جميع المواد الخاصَّة باللغات المحليَّة التى جمعها أعضاء الإرساليات الدينية على مدى سنوات طويلة[١٢].

هذا، وقد تكون العداوات الطويلة المدى ذات الدوافع العِرْقِيَّة والدينية من العوامل المؤثِّرة كذلك على أمن الشعوب وسلامتها وعلى لغاتها بالنتيجة، كما هى الحال فى عِدَّة أجزاء من القارة الأفريقية، وقد يصل الأمر فى بعض الحالات إلى إمكانية تعرُّض الشعوب إلى خطر الإبادة الجماعية «Genocide». وقد أُطْلق عديد من المزاعِم حول إمكانية تعرُّض شعبى النوبة فى السودان والأوجونى «Ogoni» فى نيجيريا لمثل هذا المصير[١٣]. فقد تَنْقَرِض اللغة الأم انقراضًا تامًّا ومباشرًا بإبادة الجماعة التى تتكلمها، إذا كانت ضعيفة ومُنتمية إلى أقليَّة، وهناك حالات لا تَقْضِى فيها الإبادة على اللغة قضَاءً نهائيًّا، ولكنها تتسبَّب فى تدهورها؛ لأنها تُقلِّص من عدد الذين يتكلمونها[١٤].

كما يَصْعُب فى بعض المناطق فصل العوامل السياسية عن الاقتصادية، أو تحديد ما إذا كان الأمر راجعًا إلى عوامل سياسية أم اقتصادية؛ فقد

أُرْجِع زوال عِدَّة لغات فى كولومبيا مثلًا إلى مجموعة من الظروف العدائية هناك[١٥]، فهناك تياران مختلفان فى هذا المقام:

الأوَّل: وهذا يُلْقِى ضوءًا قويًّا على وجود تاريخ من الصـراع العسكرى «Military Conflict» تسبَّب فى إبادة عديد من المجتمعات المحلية، فمن المعلوم أن هناك نحو ثلاثين لغة قد انقرضت منذ قدوم الاستعمار الإسبانى إلى كولومبيا، أما الآن فيُعَد الصـراع أكثر تعقيدًا، نظرًا لتعدُّد أطرافه مُمثَّلة فى القوات النظامِيَّة، وشِبْه العسكرية (وهى قوات فى وظيفتها وتشكيلاتها تُشابه القوات العسكرية النظامية، ولكنها لا تخضع لنفس المكانة، مثل قوات حرس الحدود)، وقوات العصابات الثورية «Guerrilla» والإجرامية (التى يتمثَّل نشاطها فى تجارة المخدرات) والتى تقوم بتنفيذ عملياتها فى المناطق الريفية؛ ويتم إقحام أعضاء الجماعات العِرْقِيَّة فى هذه الصـراعات، وعادة ما يكونون مَوْضِع رِيبَة وشك، حيث يتم اتهامهم من قِبَل إحدى هذه القوات – مثلًا – بالعمالة لغيرها من القوات والتعاون معها ضِدَّها.

أمَّا التيار الثانى: فيُركِّز على استغلال المنظَّمات واستنزافها – سواء داخل البلاد أو خارجها – للمجتمعات الصغيرة، وذلك باستخدام أفراد هذه المجتمعات فى أعمال السُّخْرَة وإجبارهم على الهجرة من المناطق الريفية إلى الحَضَرِيَّة[١٦].

أيًّا كانت الأسباب فالنتيجة واحدة؛ ألا وهى:

مَوْتٌ جماعى للشعب وتَفسُّخ مجتمعى ولغوى على المدى القصير.

تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدٌ!

العوامل التى تُهَدِّد هُوِيَّة الشعوب الثقافية:

قد تعيش جماعة لغوية ما على كامل أراضيها ويتمتَّع أعضاؤها بموفور الصحَّة والعافية، وعلى الرغم من ذلك تظل اللغة التى يتحدَّثونها عُرْضَة لخطر الانحسار، ومن ثَمَّ الموت والزوال لتحلَّ محلَّها لغة أخرى(١٧).

لقد أشار أستاذ العلوم السياسية الأمريكى الراحل «صمويل هنتنجتون» Samuel Huntington فى أطروحته المثيرة للجدل حول صراع الحضارات إلى أن العالَم يتوجَّه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هى الحدود القتالية، ومن المقولات التى تعكس التوجُّه ذاته ما قاله السياسى الفرنسى «بينوت» Pinot – وهو وزير سابق فى الحكومة الفرنسية – فى تصريحٍ له:

«لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تُعوِّضها بإمبراطورية ثقافية».

وهذا يعنى أن المدخل الحقيقى للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية.

ولما كانت اللغة أهم هذه المقوِّمات الرمزية، يَسْعَى النظام العالمى الجديد منذ أَمَد فى تكريس هيمنة لغات مُعيَّنة، ويُروِّج لها باعتبارها لغات العِلْم والعمل، حتى بات يُعتقد أنها سِرُّ التقدُّم(١٨).

لقد حاول الإنجليز والأمريكان ـ ويحاولون دائمًا ـ أن يمدوا اللغة الإنجليزية عبر الثقافة، والاستعمار، والتبشير، والاستشراق، والاستغراب، والأيديولوجيا، والغزوات، والاقتصاد، والسياسة، والعلوم، بدءًا من

أصحاب الثـورة الميكانيكية وخُطباء البرجوازية الذين بشَّـــروا بنهاية لغوية للإقطاع قبل سـقوطه فى براثن الصـراع الإنتاجـى، وانتهاءً بالخُطب العتيدة لتونـى بليـر Tony Blair ذات النزعـة الأنجلوفونيـة الواضحة، والتى تسـعى إلـى ضرورة إعادة إنتاج الزمن السياسـى الجديد فى ضـوء معطيات الهيمنة التكنوثقافية للغرب السياسى اللغوى!

والفرنسيون حاولوا أن يُفَرْنِسوا العالَم على طريقتهم!!

لقد تحوَّل استعمارهم السياسى والعسكرى إلى استعمار ثقافى، ليقينهم أن الثقافة هى الوسيلة الأكثر فاعلية فى مقاربة الوجدان.

وأصبحت الفرانكفونية علامة تجارية من علامات الثقافة المعاصِرة، ومواسم عالمية يحتفى بها نصف العالَم الناطق بها، وسط أجواء احتفالية يحضرها القادة السياسيون والحزبيون والأكاديميون وحتى رجال الدين، وتُطْبَع من أجلها الكتب، وتُقام الولائم الشعرية وحلقات الدرس التى تؤكِّد حيوية هذه اللغة فى تحسين النطق الثقافى وتحسين السلالات الإثنوجرافية لعالم ما بعد العولمة، وفى إعادة تأهيل المواطن العالمى لثقافات الحداثة وما بعدها![١٩]

والإسـبان والبرتغاليـون مَـدُّوا قراصنتهـم منـذ «كريسـتوفر كولومبـس» Christopher Columbus لنشـــر اللغـات الأيبيريـة Iberian Languages قبـل الثقافـات، حتى بَدَت هذه اللغات أشـبه بالمصانع التى تنتـج الأفكار وأنماط السلوك والعادات، وتفرض شروطها على اللغات المحلية مهما تعدَّدت[٢٠].

وهنا تَجْدُر الإشارة إلى مفهوم الهيمنة الثقافية أو التمثُّل الثقافى «Cultural Assimilation» ويُعرف بأنه هَيْمنَة ثقافة ما على ثقافة أخرى، بحيث تأخذ الأخيرة فى فقدان هويتها وصفاتها شيئًا فشيئًا؛ نتيجة لتَبنِّى أصحابها سلوكيات وعادات اجتماعية جديدة عليهم، وقد تَحْدُث الهيمنة الثقافية نتيجة لعوامل عدة، منها[٢١]:

(١) الاستعمار.

(٢) القوة الاقتصادية للثقافة المهَيْمِنَة.

(٣) النفوذ السياسى.

(٤) الوضع الثقافى.

أوَّلًا: الاستعمار

- **مساع دؤوبة لفرض واقع لغوى جديد:**

تُعَد اللغة عند الأُمَم من عوامل النهضة أو الانحطاط؛ فنهضة لغة الأُمَّة نهضة لها، وانحطاطها أو زوالها مُنْذِر بانحطاط أهلها.

لذا، سَعَى المستعمِرون إلى إضعاف لغات الأُمَم التى استعمروها، مُحاولين إذابة المهزومين والقضاء على مظاهر استقلالهم، والحفاظ على اللغة من مظاهر الاستقلال، ولذا فرضوا لغاتهم على تلك البلاد لإذابتها وقطع صلتها بتراثها.

كما صنعت فرنسا فى بلاد المغرب العربى؛ حيث جعلت الفرنسية لغة التعليم والوظائف والسياسة والحياة، وحتى بعد استقلال بلاد المغرب العربى (تونس، الجزائر، المغرب) عرض رئيس فرنسا الأسبق «ميتران»

François Mitterrand على بلاد المغرب العربى إسقاط كل الديون التى عليهم لفرنسا مقابل الإبقاء على الفرنسية لغة التعليم هناك(٢٢).

- وقد أشـار د.«عمر السـيد عبد الفتاح» فى ورقته البحثية التى شـارك بها فى مؤتمـر تفاعـل الثقافـات الأفريقية بالقاهـرة – والمعَنْوَنَة بــ «وَضْع اللغات الأوروبية فى أفريقيا» – إلى أن القارة الأفريقية عانت من الاستعمار الأوروبى لفترات طويلة، والذى تمثَّل فى الاستعمار الفرنسى، والبريطانى، والبرتغالى، والألمانى، وغيره من أشكال الاستعمار الأوروبية، والتى وفدت على القارة بمُختلَف مشـاربها وخلفياتها الثقافية، واللغوية، والاجتماعية، والسياسية، وعـلى الرغم من مرور نحو نصف قرن على تحـرُّر هذه الدول الأفريقية من الاسـتعمار الأوروبى، فـإن آثاره لا تـزال واضحة على السـاحة الأفريقية، وتتجـلى فى التَبَعِيَّـة السياسـية أو الهيمنـة الاقتصادية، والـتردِّى الحضارى والثقافى الذى يُميِّز معظم دول القارة.
- ويعتبر الأَثَر اللغوى من أبرز الآثار التى خلَّفها الاستعمار فى القارة؛ فقد رحل الاستعمار وخلَّف وراءه اللغات الأوروبية التى ترسَّخت داخل المجتمعات الأفريقية لتُجابه لغاتها المحلية، والتى عانت من التهميش ولم تَنَل حظها من الدعم والتشـجيع، وهو الأمر الذى زاد من تعقيد المشهد اللغوى الأفريقى بلغاتـه الكثيرة، فجاءت هذه القوى الاسـتعمارية بثقافاتها ولغَاتها على واقع لغـوى أفريقى مُعقَّد من الأسـاس؛ حيث تتَّسـم القارة الأفريقيـة بالتعدُّدية اللغوية الشديدة، حيث يصل عدد لغاتها إلى (٢٠٣٥) لغة.
- ولقد عملت القُوَى الاسـتعمارية على بَسْـط نفوذها وفرض ثقافاتها ولغاتها عـلى المجتمعات الأفريقية؛ ممـا أفرز وضعًا لغويًّا جديـدًا، وصارت الدول

الأفريقيـة تُصنَّف تصنيفًا لغويًّـا وثقافيًّا جديدًا وفقًا للغة المسْـتَعْمِر؛ فصار لدينـا الدول الأفريقيـة الفرانكفونيـة للناطقين بالفرنسـية، والأنجلوفونية للناطقـين بالإنجليزيـة، والسـلوفينية للناطقـين بالبرتغالية، وهكـذا مزَّق الاستعمار المزيج اللغوى الأفريقى، وحتى بعد رحيله لم يتم السعى من أجل أن تنال اللغات الأفريقية مكانتها التى سُلِبَت، فلم تَلْقَ الاهتمام والدعم بل ترسَّخت أكثر فيها اللغات الأوروبية وزادت مكانتها[٢٣].

- ومـن الأمثلة الأخـرى التى يتجـلَّى فيها آثـار الاسـتعمار ونتائجه الخطيرة الأَثَر فى ثقافة الشـعوب، ما نَتَج عن غزو الرومان لوسـط أوروبا وشرقها وجنوبها من تغلُّب لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لفرنسـا وإسـبانيا وإيطاليـا وغيرهـا، عـلى الرغم مـن قِلَّة الرومـان المغيرين على هـذه البلاد بالنسبة لسكانها.

وكذلك نجم عن استعمار الإنجليز لأمريكا الشمالية وأستراليا انتشار اللغة الإنجليزية فى هذه الأرجاء، وأيضًا نجم عن استعمار الإسبان فى أمريكا الجنوبية أن أصبحت الإسبانية لغة معظم دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وغيرها[٢٤].

ومن الجدير بالذكر أن أوروبا لم تفقد، خلال القرون الثلاثة الأخيرة، أكثر من عشر لغات، فى حين أدَّى استعمار بلدان هذه القارة لعِدَّة مناطق فى العالم إلى فرض لغاتها على الشعوب المستعمَرة وانقراض ما يزيد على (١٥٪) من اللغات المحلية، ففى البرازيل، على سبيل المثال، انقرض أكثر من ثلاثة أرباع اللغات المحلية، (حوالى ٥٤٠ لغة) منذ بداية الاستعمار

البرتغالى فى عام (١٥٣٠م). وفى أستراليا، لم يُبْق الاستعمار الأوروبى فى نهاية القرن الثامن عشر إلَّا (٢٠) من أصل (٢٥٠) لغة محلية[٢٥].

■ **الهيمنة اللغوية ونتائج كارثية:**

إن الذى يَنْتُج عن غَلَبة لغة على لغة وحلولها محلها، أن تذوب شخصية الأُمَّة صاحبة اللغة المغلوبة تدريجيًّا فى الأُمَّة الغالبة، وتصبح ـ بعد أن كانت لها مقوِّماتها وخصائصها وهى على لغتها الأصلية - تصبح مُنْدَمجَة فى أمَّة أخرى، وقد فقدت ما كانت تحمله فى ذاكرتها من الأفكار والمعتقدات، وتراها بعد ذلك بمنظار فكر اللغة الأخرى الذى لابُدَّ أن يُغاير فكر اللغة الأولى فى كثير من المعانى والتصورات.

ويترتب على هذه النتيجة أن تُقطع الأُمَّة - التى استبدلت لغتها - عن تراثها وأصلها، فتنشأ أجيال فاقدة الهوية، لا تراث ولا انتماء، وهذا ما يُيسِّر احتواء هذه الأجيال والتحكُّم فى توجيهها لتصبح كيانًا آخر يُحقِّق مصالح المستعمِر.

إن الجيوش العسكرية التى تتَّخذها الأُمَم لنشر سيطرتها وبَسْط سلطانها تسبقها جيوش لغوية، تحمل هذه الجيوش لغة الأمَّة الغازية وتُبَشِّـر بأفكارها وتذيع مبادئها وترسم شخصيتها، ولقد كانت هذه الجيوش اللغوية عظيمة الأثر فى بث فكرها والدعوة إليه بين القوم الذين وفدت إليهم؛ فقبل أن تجىء الجيوش العسكرية استطاعت جيوش اللغة الأجنبية أن تُهيِّئ لها أتباعًا وأنصارًا يحملون فكرها ويدافعون عنه ويدعون إليه فوق فخرهم بهذه اللغة وميلهم إلى أهلها[٢٦].

وهذا ما فطن إليه المستعمِر الأوروبى؛ حيث قال الحاكم الفرنسى مُوجِّهًا جيشه الغازى لبلاد الجزائر:

«عَلِّموا لغتنا وانشروها حتى نَحْكُم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقةً».

وقد كشفت بعض الدراسات عن وجود علاقة قوية وجاذبية، خاصَّةً بين هجرة الأدمغة العربية إلى أوروبا وأمريكا، وبين استخدامهم اللغة الأجنبية التى تتحدَّث بها هذه البلدان الغربية، ومن المعلوم – من الناحية النفسية – أن الأمور المشترَكة بين الناس تُعَد وسيلة جيِّدة للتواصل فيما بينهم، سواء قصد هؤلاء التواصل فيما بينهم أو لم يقصدوا، واللغة – بلا شك – أعظم أداة للتواصل الإنسانى، ولهذا كثيرًا ما ترتبط المساعدات الخارجية الممنوحة من بعض الدول المتقدِّمة بفرض اللغة الأجنبية[٢٧].

ثانيًا: القوَّة الاقتصاديَّة للثقافة المهَيْمِنَة:

يَظْهَر تأثير العامِل الاقتصادى عندما تتَّصِل جماعة لغوية بجماعة لغوية أخرى تتكلَّم لغة مختلفة، وتكون هذه الجماعة أقوى اقتصاديًّا وأكثر تقدُّمًا من الجماعة اللغوية الأولى.

ففى هذه الحالة سنجد أن معرفة لغة الجماعة الأقوى اقتصاديًّا ستُحقِّق منافِع لأفراد الجماعة اللغوية الأضعف، والتى لا يحصلون عليها إذا لم تتحقق لهم هذه المعرفة؛ فالحصول على الفوائد المالية، والحصول على السلع المرغوبة، والخدمات، والوظائف، والمنافع الاقتصادية الأخرى يُعتبر نتيجة لمثل هذه المعرفة.

ويُظْهِر هذا بوضوح للجماعة الأضعف اقتصاديًّا أن لغتهم فى طريقها لتصبح بغير نفع فى تغيير الحالة الاقتصادية المتردية التى يعانون منها، ويجعلهم هذا الإدراك يفقدون احترامهم للغتهم شيئًا فشيئًا، مما يؤدى إلى الزيادة التدريجية فى استعمالهم لغة الجماعة الأقوى اقتصاديًّا حتى فى المواقف غير المتَّصِلَة مباشرةً بالمنافع الاقتصادية المقترنة باستعمال تلك اللغة والسيطرة عليها، ويكون هذا على حساب لغة الجماعة اللغوية التى تقع تحت مثل هذا التأثير، والذى يُمْكِن أن يؤدى فى النهاية إلى تدهور هذه اللغة.

ثالثًا: النفوذ السياسى:

يُمثِّل النفوذ السياسى عاملًا مُهمًّا فى انتشار لغة ما على حساب لغة أخرى، وقد يتَّخذ هذا النفوذ أشكالًا ودرجات كثيرة، بدءًا من الضغط بأنواعه المختلفة وانتهاءً بالقهر والاستعمار، وفى كل الحالات فإن الطرف الأقوى من حيث النفوذ السياسى يُشجِّع على تبنِّى لغته من قِبَل مُتكلِّمى اللغات الأضعف[٢٨]؛ فاللغات المهدَّدة فى بقائها أكثر من غيرها، هى تلك التى لا تُمارس سلطة على دولة أو حكومة فى تراب خاص بها، فكل لغة لا تتوفَّر لها سلطة سياسية ووَضْع مُعْتَرَف به تكون مُهدَّدة فى بقائها.

رابعًا: الوَضْع الثقافى:

يُمثِّل الوَضْع الثقافى أكثر القُوَى خطورة على مصير اللغة وطبيعتها؛ ويتمثَّل ذلك عندما تكون هناك مُنافَسة من لغة يكون أصحابها أقوى ثقافيًّا وحضاريًّا ولديهم لغة مكتوبة ذات تراث أدبى ثرى، أو يكونون حاملين لعقيدة راسخة

وقويَّة، أو ذوى حضارة تليدة ذات تاريخ طويلٍ مُدوَّن، أو أفراد أُمَّة مُتحضِّـرة حديثة، أو يملكون ثقافة أكثر تعقيدًا من الناحية التِقَنِيَّة، فى مقابل لغة غير مكتوبة، أو مكتوبة ولكنها ذات تراث فقير نسبيًّا، وعادةً ما يؤدى هذا الأمر إلى الاقتباس الكلى أو الجزئى لكثير من عناصر ثقافة مُتكلِّمى اللغة الأقوى ثقافيًّا من قِبَل مُتكلِّمى اللغة الأضعف ثقافيًّا، والذين يفقدون أثناء تلك العملية كثيرًا من عناصر ثقافتهم التقليدية، ما لم يفقدوها كلها، أو أنها على الأقل تتغيَّر أو تتعدَّل بشكل عميق، وهذا الأمر قد يؤدى إلى إحدى النتائج الآتية[٢٩]:

(١) قد تندثر لغة الجماعة اللغوية الأضعف ثقافةً وتحل محلَّها لغة الجماعة اللغوية الأكثر ثراءً من الناحية الثقافية، وبذلك تفتقد هذه اللغة بشكلٍ تام.

(٢) قد تهبط لغة الجماعة اللغوية الأضعف ثقافةً للقيام بأدوار ووظائف دُنيا هامِشيَّة من الناحية الثقافية، أو تتحوَّل لبعض الاستعمالات الخاصَّة.

(٣) قد تتأثَّر لغة الجماعة اللغوية الأضعف ثقافةً – إلى حدٍّ بعيدٍ وخاصَّة فى مفرداتها، وإلى حدٍّ ما فى تركيبها أيضًا – بلغة الجماعة اللغوية الأكثر ثراءً من الناحية الثقافية.

(٤) قد تفقد لغة الجماعة اللغوية الأضعف ثقافةً، عددًا من خصائصها ذات الجذور العميقة فى الثقافة التقليدية، وتصبح فى كثير من أساليبها عبارة عن تقليد للغة الجماعة اللغوية الأكثر ثراءً من الناحية الثقافية، ولا تعود مرآة تعكس للعالم الرؤية التقليدية المتميِّزة لمتكلميها الأصليين ولا تعبِّر عن ثقافتهم التى ضاعت، ولكنها تعكس ثقافة الجماعة اللغوية الأكثر ثراءً من الناحية الثقافية، والذين أثَّروا فى متكلميها[٣٠].

■ **ولكن هل يُسهم القرب المكانى فى تسهيل عملية التوجيه الفكرى والثقافى؟**

الجدير بالذِّكْر أن القُرْب المكانى لا يُعَد من العوامل المهدِّدة للثقافة، وبخاصَّة فى القرن العشـرين الذى اتَّسعت فيه دوائر التأثير والنفوذ، وأصبحت «الثقافة الاستهلاكية» Consumer Culture الغربية هى المتَبنَّاة فى جميع أنحاء الكرة الأرضية، والأسباب معروفة جيدًا؛ فلقد أسهم التحضُّـر Urbanization بصورة رئيسة فى نشوء مجتمعات المدُن التى عملت كمناطق جَذْب للمجتمعات الريفية، كما أن الثورة التى حَدَثت فى عالم النقل والمواصلات قد سهَّلت على أهل الريف عملية الوصول إلى تلك المدُن، ومن ثَمَّ الاحتكاك بالمجتمع الاستهلاكى - ذى التوجُّه الأمريكى تحديدًا - وهذا الاحتكاك يؤدى بدوره إلى حدوث حالة من التجانس أو الاندماج فى المجتمع الجديد، ومما يُسهِّل هذه العملية كثيرًا تعلُّم اللغة المهيمنة Dominant Language - كالإسبانية أو البرتغالية فى أمريكا الجنوبية، والسواحلية فى أجزاء كثيرة من شرق أفريقيا، ولغتى «الكيشووا» Quechua (التى تتحدَّثها قبائل الإنكا Inca) و«الأيمارا» Aymarà (التى تتحدَّثها قبائل الأيمارا) فى البلاد الأَنْديَّة Andes ، أما الإنجليزية فهى فى جميع أنحاء الكرة الأرضية.

ولكن قد يَحْدُث الاحتكاك (بصورة غير مباشرة) حتى دون أن يَتْرُك سكان المجتمعات الريفية - باستثناء المجتمعات التى تعانى من عُزْلَة تامَّة - مَوْطِنَهم؛ فوسائل النقل التى تنقل أهل الريف إلى المدُن هى نفسها التى يعودون بها إلى مجتمعاتهم مُحمَّلين بمُختَلف المنتجات الاستهلاكية، ويُعَد هذا فى حَدِّ ذاته ترويجًا لهذه المنتجات، وفى الوقت نفسه إشاعة للقِيَم الاستهلاكية، مِمَّا يُحْدِث نوعًا من التَبَعِيَّة لمجتمعات المدن.

إن تَمَرْكُز القوة «Centralization of power» فى هذه المجتمعات يُهدِّد استقلالية أفراد المجتمعات المحلية، وهذا يُنمِّى لديهم الشعور بالاغتراب «Alienation»؛ وبدلًا من أن يكونوا هم المتحكِّمين فى مصائرهم يصبحون خاضعين لقوى خارجية لا تَمُت لذاتيتهم بصلة، فكيانهم يعتمد على صُنَّاع قرار لا ينتمون إليهم، ويتجاهلون احتياجاتهم المحلية تجاهلًا تامًّا، والنتيجة الحَتْمِيَّة هى تسلُّل لغة الثقافة المهيمنة إلى كل مكان مدعومة بالضغط اليومى المسْتَمِر الذى تُمارسه وسائل الإعلام، وبخاصَّة التِّلْفاز[٣١]. وهى القوة الإعلامية التى وصفها «مايكل كراوس» Michael Krauss بعبارة:«Cultural nerve gas» (غاز الأعصاب الثقافى) نظرًا لتأثيرها السلبى الذى يُمْكِن أن يكون من أخطر العناصر المهدِّدة لثقافة المجتمعات المحلية[٣٢]، والذى يمكن أن يؤدى بدوره إلى تلاشى «المعارف التقليدية» Traditional Knowledge لهذه المجتمعات. ويؤكِّد «شيلر» Schiller على هذه النقطة مُشيرًا إلى التهديد الذى يُمْكِن أن يواجهه العالم بأَسْرِهِ إذا استمر هذا الاندماج الثقافى، إذ يقول:

«تُواجه الثقافة المحلية «Local Culture» فى كل مكان سَيْلًا من الإغراءات الممثَّلة فى الرسائل الإعلانية التى تبثُّها شبكات الإذاعة التجارية»[٣٣].

- **مَهْمَا تعدَّدت أسباب الهيمنة فالنتيجة واحدة ألا وهى:**

سيادة لغة الثقافة المهيمنة لتصبح لغة التعامل المستخدَمة، بل تتَّخِذ شكل اللغة «الفُصْحَى المرموقة» Standard Language أو «الرسمية» Official Language فى المجتمع.

العولمة الثقافية وصراعات غير متكافئة:

فى كتابه «مَحْكِيَّة هنا: رحلات بين لغات مُهدَّدة»[٣٤] تحدَّث «مارك آبلى» Mark Abley عن اشتداد المقاومة التى تُبديها مئات اللغات ضد جائحة المدِّ الأنجلوفونى، وخاصة بعد أن أقرَّت مجلة «مراجعة اقتصاديات الشـرق الأقصـى»The Far East Economic Review ، وهى دورية موثوق بها وتختص بتحليل اقتصاديات الشرق الأقصى - أن اللغة الإنجليزية قد صَارت اللغة الأولى فى آسيا كبرى قارات العالم مساحة وسكانًا ومستقبلًا واعدًا، ولسان التفاهم والتوحيد بين شعوب آسيا ولغة الفرص الاقتصادية.

وينطبق هذا الوصف على القارات الأخرى أيضًا، فبعد التفرُّد الأمريكى فى الهيمنة على العالم وفرض عولمة لا يُخْفِى تركيزها الاقتصادى والسياسى تأثيراتها الثقافية والقِيَمِيَّة، كادت اللغة الإنجليزية تفرض رديفًا - أو حتى بديلًا - لسائر اللغات الأخرى. لقد قرَّر المفكِّر السويسـرى البارز «جان زيجلر» Jean Ziegler أن:

«ثورة الاتصالات لم تنتج القرية الكوكبية بمعايير التفاعل الثقافى والإنسانى، وإنما وفق آلية التلاطم، كأننا فى محيط تتلاطم أمواجه، لا يستطيع أحد أن يرى الآخر إلَّا من خلال رغبته فى البقاء الذاتى».

لا شك أن التلاطم يُنهك كل المتلاطمين، إلَّا أن الموجة الأقوى تمحق الموجات الضعيفة أو تزيدها وهنًا على وهن، وقد توافق أغلب العلماء على أن لغات قليلة سوف تصمد أمام الغزو الحضارى والثقافى الذى يسعى إلى فرض النمط الثقافى الأمريكى على سائر الأمم، ويتم هذا فى سياق

إصرار أمريكى على اختراق الأديان، والقوميّات، والثقافات، والمفاهيم، والعادات، والتقاليد، واللغات الوطنية وتجاوزها، وصولًا إلى الأفراد فى كل مجتمع، من أجل إعادة صياغتهم وتشكيلهم وقولبتهم، بحيث يتحوَّلون إلى مُستهلكين ومُنتجين خاضعين تمامًا لتوجيه وتحريك المركز الأمريكى، فتصبح تبعيتهم الكُليَّة لهذا المركز فكريًّا، وثقافيًّا، وقِيَميًّا، وسلوكًا، وذوقًا، عادة يومية وأسلوب حياة.

لقد سَبَق لعالم أنثروبولوجى بارز هو «كلود ليفى ستراوس» Claude Lévi-Strauss أنْ قَرَع أجراس الخطر منذ عِدَّة عقود، وخاصَّة فى كتابه «عالم واحد وعِدَّة أصوات»، إلى خطورة التعامل الأوروبى مع باقى العالَم انطلاقًا من «المركزية الأوروبية» التى تعتبر أن أوروبا وامتدادها البشرى الحضارى فى شمال أمريكا وأستراليا ونيوزيلندا هى العالم، بينما باقى الأُمَم مُجرَّد فائض بشرى وثقافى وحضارى، بل وصل الأمر ببعض الغربيين إلى حَدِّ اعتبار الأُمَم الأخرى هباءً بشريًّا، أو غبارًا بشريًّا، أو نُفايات بشرية!!!

(لقد حَذَّر «ستراوس» Strauss فى وقت مُبكِّر من خطورة هذه النزعة الاستعلائية على ثقافات العالم ولغاته، وتضاعفت هذه الخطورة مرَّات ومرَّات فى ظل عولمة تستخدم كل سبيل لأَمْرَكة العالم، عبر نظام اقتصادى وتجارى يخدم هذا الهدف، مدعومًا ومَحْمِيًّا بضغط من قوة عسكرية طاغية لا تتورَّع عن البطش، وانتشار مخابراتى وإعلامى واسع لا يتورَّع عن تدمير المجتمعات)[٣٥].

ومما لا شك فيه أن العولمة الثقافية هى أشد أنواع العولمة خطرًا؛ ذلك لأن الفكر هو المؤثِّر الأول فى سلوك الإنسان وفى حياته، فالإنسان أسير أفكاره، قبل أن يكون أسيرًا لنظام سياسى أو اقتصادى، كما أن النجاح فى نشر وفرض العولمة الثقافية كفيل بإزالة أية كوابح أو عوائق فى سبيل سيادة العولمة الاقتصادية والسياسية.

ويؤكِّد الدكتور «حسن حنفى» أن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية إنما هى مُقدِّمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية، والاستقلال الوطنى، والإرادة الوطنية، والثقافة الوطنية، فهى تعنى مزيدًا من تَبَعيَّة الأطراف للمركز، تجميعًا لقُوَى المركز وتفتيتًا لقُوَى الأطراف(٣٦). ففى ظل العولمة تتلاشى الحدود والخطوط الفاصلة بين الدول والكيانات السياسية سَعْيًا لتوسيع الحدود واحتواء العالم، وذلك من خلال إقصاء الخصوصيات الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، بحيث تذوب الثقافات كلها فى ثقافة الأقوى ماديًّا، ويندثر التراث الثقافى والمكوِّن الحضارى للأُمَم والشعوب الأخرى(٣٧).

- إن اللغـة هـى أخـصُّ خصائص الهويـة الثقافية، وإنهـا لتُسْـتَهْدَف من قِبَل الأعداء كما تُسْـتَهْدَف الأخـلاق والأديان، ومن هذا المنطلق أدرك كثير من العلـماء والمفكِّرين قيمة اللغـة وأثرها على عِزَّة الأُمَّـة وقوَّتها، فهذا الأديب «مصطفى صادق الرافعى» – رحمه الله تعالى – يقول:

«ما ذلَّت لغة شعبٍ إلَّا ذَلَّ، ولا انحطَّت إلَّا كان أمره فى ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يَفرِض الأجنبى المستَعْمِر لغته فرضًا على الأمَّة المسْتَعْمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم بعظمته فيها، ويَسْتَلْحِقهم من ناحيتها، فيَحْكُم عليهم أحكامًا ثلاثة

فى عملٍ واحد: أما الأوَّل، فحَبْس لغتهم فى لغته سجنًا مؤبَّدًا، وأما الثانى، فالحكم على ماضيهم بالقتل مَحْوًا ونسيانًا، وأما الثالث، فتقييد مُستقبلِهم فى الأغلال التى يصنعها، فأمْرُهم من بعدها لأَمْرِهِ تَبَعٌ»[٣٨].

وماذا عن اللغة العربية؟!

العربية أمام تحديات خطيرة:

تبوأت اللغة العربية إبَّان الفتح الإسلامى مكانة مرموقة بين لغات العالم، وارتبطت بقوة المسلمين، فكانت لغة العلم حتى القرن الخامس الهجرى، ومرت - بعد ذلك - بمراحل من الغزو الثقافى واللغوى، بل تعرَّضت للاضطهاد اللغوى أيام التُّرْك والاستيطان الأوروبى، ومع كل ذلك ظلت العربية صامدة فى كثير من المواقع، ولكنها خسرت فى مواقع أخرى؛ فقد خسرت فى تركيا وماليزيا، حيث اسْتُبْدِلَت الحروف اللاتينية بالعربية.

ولا يخفى أن العربية الآن فى عصر العولمة، تواجه تحديات خطيرة جدًّا، تتمثل فى تيار الإنجليزية الجارف، وتتمثل مظاهر العولمة اللغوية فى العالم العربى فيما يلى[٣٩]:

- التداول بالإنجليزية فى الحياة اليومية.
- كتابة لافتات المحال التجارية بالإنجليزية.
- التراسل عبر الإنترنت والهواتف النقالة بالإنجليزية.
- اشتراط إتقان الإنجليزية للتوظيف.
- كتابة الإعلانات التجارية بالإنجليزية.
- كتابة قوائم الطعام فى المطاعم والفنادق بالإنجليزية.

- لغـة الخطـاب للمُضيفات بدرجـة رجال الأعـمال فى الطائـرات العربية بالإنجليزية «طيران الاتحاد نموذجًا».

هذا على المستوى المدنى، أما على المستوى الرسمى، فقد كفل كثير من التشريعات الحكومية فى البلاد العربية موقعًا متفوقًا للغة الإنجليزية، من حيث اعتبارها اللغة الأجنبية الأولى فى النظم التعليمية فى البلدان العربية التى احتلتها إنجلترا، وكذلك الأمر بالنسبة للفرنسية فى البلاد العربية التى احتلتها فرنسا.

وتتمثل هيمنة اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية والفرنسية فى العالم العربى فيما يلى:

١- تعليمها فى مراحل الطفولة المبكرة.

٢- استخدامها لغة رئيسة فى التعليم الجامعى، ولا سيما فى العلوم الطبيعية، والطبية، والحاسوب، والعلوم الإدارية، والاقتصاد.

٣- اسـتخدامها لغة رئيسـة فى مدراس اللغات؛ إذ تُـدَرَّس بها جميع المواد، حتى التربية الوطنية!

٤- اعتمادهـا لغة رسـمية فى المعامـلات التجاريـة والقانونية التـى تنفذها الدولة والشركات والمؤسسات العامة والخاصة.

أين نحن من طوفان المعلومات والمعرفة العلمية؟ وما دورنا - بوصفنا عربًا - فى العالم؟ أين العرب؟ وما جدوى تعلم اللغة العربية فى هذا العصـر، عصر المعلومات والعولمة؟! وأين الجامعة العربية؟ وماذا سيفعل الشباب بعد تخرجهم فى الجامعة، حيث لا عمل، ولا وظائف، ولا زواج، ولا حياة؟!

ماذا عن ثروات العرب البترولية؟ ومَن المستفيد منها؟ وأين نحن فى عصر العولمة والأمركة؟ وما موقفنا من المشروع الأمريكى «الشرق الأوسط الجديد»؟

ومع حالة الاستنفار التى يتخذها المثقفون والأكاديميون، إلا أن ما يُبْذل فى خدمة العربية لا يزال قاصرًا عن الحد المطلوب، وليست الحكومات العربية بكافلة للعربية ما كفلت أمريكا وإنجلترا للإنجليزية، ولعل العراق كان آخر قلاع العربية قبل أن يلحق بفلسطين، فقد خسرت العربية حصنًا من حصونها كان يصون العربية ويكفل بتشريعاته حمايتها.

وأيضًا وَضْع جنوب السودان بعد فصله عن السودان، وقد أعلن أن لغته الرسمية هى الإنجليزية.

وبالرغم من السوداوية والتشاؤم اللذين يسودان نفوس اللغويين والمفكرين العرب؛ فإنهم يتفاوتون فى رؤيتهم لمستقبل العربية، فبعضهم يركن إلى الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] دون عمل، كأنما يقول: «**دع العربية وشأنها، فإنها محفوظة!**».

وفريق آخر له رؤية الأمل مع العمل، حيث يرى هذا الفريق أنه يجدر بنا أن نعيد النظر فى قراءتنا للصراع الثقافى الرهيب فى إطار العولمة. لقد خصَّص المفكر الأمريكى «صمويل هنتنجتون»Samuel Huntington فى كتابه «صدام الحضارات» جزءًا مُهمًّا تناول فيه اللغة من حيث إنها عنصر مهم من عناصر الحضارة ومُكوِّناتها، ولما كان الرجل يتحدث عن الصراع الحضارى عامة؛ فإنه كان يعنى الصراع اللغوى على نحو أخصّ، ولـمَّا كان هدف كتابه

أصلًا لفْت النظر إلى «خطر» الحضارة الإسلامية القادم، فقد احتلت اللغة العربية جانبًا كبيرًا من هذا التصور؛ إذ هى مُكوِّن مهم من مُكوِّنات الحضارة الإسلامية، وعامل رئيس من عوامل التوحُّد بين المسلمين. ولـمَّا كانت فكرته قائمة على أن توزيع اللغات وتزايد انتشارها أو تناقصه مرتبط بتوزيع القوى؛ كان طبيعيًّا أن يتوقع تزايد قوة العرب والمسلمين(٤٠).

ويأتى رأى الأديب الإسبانى «كاميلو خوسيه سيلا» Camilo José Cela الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م، ليُثير كثيرًا من الجدل فى الأوساط الغربية ولا سيما لدى دعاة العولمة؛ ومفاد هذا الرأى أن لغات العالم تتجه نحو التناقص، وأنه لن يبقى إلَّا أربع لغات قادرة على الحضور العالمى، هذه اللغات هى: الإنجليزية، والإسبانية، والعربية، والصينية. وقد بنى «كاميلو خوسيه سيلا» رأيه على استشـراف مستقبلى ينطلق من الدراسات اللسانية التى تعاين موت اللغات وتقهقرها واندثارها(٤١). ويتخذ الدكتور «عبد السلام المسدى» من رأى «كاميلو خوسيه سيلا» منطلقًا لتناول القضية؛ إذ يؤمِّل أن تكون العربية واحدة من اللغات العالمية التى سيُكْتَب لها البقاء، ويرى أن اللغة العربية قد تشكل – فى طموحاتها المستقبلية– أخطارًا حقيقية على دُعاة العولمة الثقافية وسياساتهم التهميشية، وذلك مردود إلى جملة أسباب هى:

احتمـال تزايـد الـوزن الحضارى للغـة العربية فـى المسـتقبل المنظور فضـلًا عن البعيد؛ فاللسـان العربى هو اللغة القوميـة لحوالى ٣٠٠ مليون شـخص، وهو يمثل – إلى جانب ذلك – مرجعية اعتبارية لأكثر من مليار

مسلم غير عربى كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فإن لم يتقنوها – لأنها ليست لغتهم القومية – فإنهم – فى أضعف الإيمان – يناصرونها ويحتمون بنموذجها.

ولكن العربية تخيف أيضًا بشىء آخر هو ألصق بالحقيقة العلمية القاطعة، وأعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة، فللمرة الأولى فى تاريخ البشرية – على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به – يُكْتب للسان طبيعى أن يُعمّر حوالى سبعة عشر قرنًا، محتفظًا بمنظومته الصوتية، والصرفية، والنحوية، فيُطوِّعها جميعًا ليواكب التطور الحتمى فى الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثى من داخله.

إن اللسان العربى حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حىٌّ على الجذور التى استلهم منها الغرب نهضته الحديثة فى كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية.

لكن كل هذه الآمال مرهونة ببعث جديد للإنسان العربى نحو الحضارة والتقدم.

ولما كانت العولمة تسعى إلى أمركة كل شىء، ولما كان خطاب «هنتنجتون» Huntington يشير ضمنًا إلى تعاظم خطر العربية، فإنه كان طبيعيًّا أن يتواطأ الخطاب الثقافى والسياسى الأمريكى مع أداته الإعلامية ليخلق صورة مفتعلة من الصراع بين الحضارة الغربية والإسلام، وتبرز أمثلة هذا التواطؤ فى دلالة كلمة «الإرهاب» التى جعلها الغرب مُعبِّرة عن المسلمين والإسلام، وحدَّد دلالتها بأنها الاعتداء على المدنيين الآمنين، فى حين أن

دلالة الإرهاب فى السياق الإسلامى تعنى أن يكون للمسلمين قوة ردع تمنع المعتدى من العدوان على المسلمين، وهذا واضح من سياق الآية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال: ٦٠].

إن العربية تشهد الآن ما يمكن أن نسمِّيه «نزيفًا لغويًّا» فى ظل خطاب العولمة، بكل ما يملكه ذلك الخطاب من نفوذ سياسى واقتصادى تدعمه آلة إعلام جبَّارة، من الفضائيات، والهواتف المحمولة وشبكة المعلومات الدولية Internet... إلخ؛ حيث تمارس تلك الآلة الإعلامية عملية غسل للأدمغة، بطريقة مُنَظَّمة، ومنهجيَّة مُحْكَمَة، بحيث لا تظهر فى الصورة تلك القوى المهيمنة، بل لا يُشار إليها، وكأنَّها قابعة فى بُعْدٍ غير منظور من العالم، تخطِّط للأحداث وتُدير الأمور من خلال آلة للتحكُّم عن بعد!

بينما نحن ماضون فى ترديدنا الببغائى لكلمات وتعبيرات ذلك الخطاب المعَوْلَم، وكأنَّنا فى حالة غياب عن الوعى وفقدان للذاكرة والهوية، ولا عزاء للعرب والعربية!! (٤٢)

اللُّغَة من الانحسار إلى الزوال:

يتقلَّص دور اللغة الأم فى حياة المتحدِّثين بها عندما تفقد اعتبارها لديهم، لأنها فى نظرهم تتموضع خارج السُّلْطَة وخارج الحياة، وهى مَدْعَاة للتهميش والإبعاد عن النجاح، ولا شك أن أى شعب يتوقف عن استعمال لغته فى الأنشطة الحيوية ويستعيض عنها لغةً أخرى، فإنه قد دَقَّ أول مسمار فى نعشِها،

ومعروف عند المتخصصين أن لغة الثقافة المهَيْمَن عليها تمُـرُّ بثلاث مراحل رئيسة فى رحلتها من الانحسار إلى الزوال، وهذا يَنْطَبِق على كل اللغات فى كل مكان.

- **المرحلـة الأولى**: تبدأ بالضغط الواسـع والمكثَّف عـلى الناس لإجبارهم على التحـدُّث باللغة المهَيْمِنَـة Dominant Language، وقد يَحْـدُث هذا الضغط نتيجة لأسباب سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وقد يتَّخذ هذا النوع من الضغط أشكالًا عِدَّة منها:

(١) الحَثُّ والتحفيز على التحدُّث باللغة المهيمِنَة، وإصدار توصيات بغية تعزيز هذا التوجُّه، أو فى شكل قوانين مُلْزِمَة تسنُّها الحكومة أو إحدى الهيئات الوطنية (القومية).

(٢) الضغط من داخل المجتمع نفسه مُمثَّلًا فى التيارات والتوجُّهات التى تُشكِّل جزءًا من هذا المجتمع، والتى تنادى بضرورة مُوَاكَبَة الروح العصرية حتى فى اللغة، فضلًا عن التأثير الذى يُمْكِن أن تُمارِسه جماعة الأقران Peer Group فى هذا الشأن[٤٣]. فالإنسان المعاصر مقياسه لدى كثير من الناس أنه الذى يُجيد اللغة الأجنبية (الإنجليزية) ويُتقنها بالدرجة الأولى[٤٤].

(٣) الضغط غير الواضح الاتِّجاه أو النَّزْعَة؛ فقد يكون نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الاجتماعية السياسية والاجتماعية الاقتصادية التى لا يُمْكِن تمييزها أو فهمها بشكلٍ كامل.

ولكن أيًّا كان مصدر الضغط، فإنه ينتهى بنا إلى المرحلة الثانية.

- **المرحلة الثانية**: نشوء الثنائية اللغوية (الازدواجية اللغوية) «Bilingualism» فى المجتمع؛ حيث يتزايد استعمال أفراده للغة الجديدة إلى جانب لغتهم القديمة، ثم تأخذ هذه الثنائية اللغوية فى الأفول شيئًا فشيئًا (الضعف التدريجى) مع عدم قدرة اللغة القديمة على الصمود أمام الجديدة وإعطائها الفرصة للانتشار والشيوع على الأَلْسِنَة، وهذا يقودنا إلى المرحلة الثالثة.
- **المرحلة الثالثة**: يتزايد إتقان جيل الشباب للغة الجديدة واندماجهم فيها لدرجة تجعلهم ينظرون إلى لغتهم الأولى على أنها عاجزة لا تُناسب احتياجاتهم الجديدة ولا تستطيع التعبير عنها، وعادة ما يكون هذا مَصْحوبًا بالشعور بالإحراج والخجل حيال استعمال اللغة القديمة سواء من جانب الآباء أو الأبناء. هذا ويَقِلّ تدريجيًّا استخدام الآباء للغة القديمة فى التواصل مع أبنائهم أو حتى فى التحدُّث بها أمامهم؛ وعندما يُولَد جيل آخَر من الأبناء يجد الجيل الذى يسبقه من البالغين (الرَّاشِدين) أن فُرَص استخدام اللغة القديمة فى التواصل مع الجيل الجديد أصبحت أقل، أمَّا الأُسَر التى لم تتوقَّف عن استعمال اللغة القديمة فلا تجد مَنْ تتواصل معه من الأُسَر الأخرى باللغة نفسها، ويؤدى هذا الوضع إلى استخدام تلك الأُسَر للغتها استخدامًا خاصًّا بها دون غيرها مِمَّا يُسْهِم فى نشوء «اللهجات الأُسَرِيَّة» Family Dialects. فالأبناء خارج المنزل لا يتحدَّثون إلى بعضهم البعض بلغتهم الأولى، وعلى مَدَى جيل - أو حتى عقْد فى بعض الأحيان - يدور صراع غير متكافئ داخل الأسرة بين لغة قومية تَلْقَى من أهلها صُنوف الإهمال والتهميش، ولغة أخرى عالمية وافدة

بكل سـطوتها الثقافيـة وقوتها الاقتصادية، فتَنْحَسِـر الأولى وتتراجع أمام الثانية مُفْسِحَة لها المجال لبَسْط نفوذها وفَرْض هيمنتها.

وهنا تَهْوى الثنائية اللغوية التى من المفْتَرَض أنها ظاهرة صِحِّيَّة وضرورة يستدعيها الانفتاح على الثقافات الأخرى، وهذا ما يَضَع اللغة القومية على حافَّة الانقراض، وقد أشارت «إنجلاند» England وكثيرون غيرها إلى تفاوت السرعة التى يُمْكِن أن تَحْدُث بها هذه العملية؛ فلكل لغة ظروفها الخاصَّة كما ذكرنا آنفًا(٤٥).

ظاهرة التهجين اللغوى وتأثيرها المدمِّر على اللغة الأم:

تَـجْدُر الإشارة فى هذا السياق إلى خطورة انتشار ظاهرة «التهجين اللغوى» كما أطلق عليها د. «زهير الصباغ»، أستاذ علم الاجتماع فى جامعة بيرزيت، وتتمثل هذه الظاهرة فى تهجين أفراد الجماعة اللغوية لغتهم المحْكِيّة أو المكتوبة بكلمات ومفردات تنتمى إلى لغة أجنبية أخرى، وتتم هذه الظاهرة بشكلٍ واعٍ ومُتعمَّد عن طريق المحاكاة، أو بشكل غير واعٍ وغير مُتعمَّد، ويعتقد مَنْ يمارسها بأنها نوع من الرُّقى الحضارى، ويصبح فى نظرهم مَنْ لا يمارسها غارقًا فى غياهب التخلُّف(٤٦).

وقد لاحظ «كويسى كوا براه » Kwesi Kwaa Prah، أستاذ عِلْم الاجتماع فى جامعة غانا، وجود هذه الظاهرة لدى بعض الغانيين، فكتب يقول:

«ويرجع ذلك لوجود حالات من البشر، يدَّعون، بعد غيابهم لسنتين أو ثلاث فى أوروبا، بأنهم لا يستطيعون التحدُّث باللغة الأُمِّ ... إن استخدام اللغة الغربية فى أفريقيا هو أمر ذو قيمة؛ حيث إن الكثير من الأفارقة والذين

يستخدمون اللغة الأم، يُحوِّلون خطابهم وينشرون فى لغتهم مفردات وتعابير إنجليزية أو فرنسية، وذلك لإظهار مستواهم الثقافى الرفيع»[٤٧].

إن ظاهرة تهجين الخطاب المحكى والمكتوب هى ظاهرة منتشرة وموجودة فى كافة المجتمعات المسْتَعْمَرة سابقًا ولاحقًا؛ حيث فرض المستعمِرون لغتهم وثقافتهم على المستعمَرين، وقاموا فى الوقت ذاته بتهميش اللغة والثقافة المحلية.

ولنأخذ مثالًا آخر من الفلبين التى استعمرتها إسبانيا لمدة (٣١٣) سنة (١٥٨٥م- ١٨٩٨م) والولايات المتحدة لمدة (٤٨) عامًا (١٨٩٨م- ١٩٤٦م) [٤٨]. وخلال فترتى الاستعمارين، تم فرض لغة المستعمِر على مدارس الفلبين، ونتيجة لاستعمار الفلبين لمدة (٣٧٠ سنة) استطاع الاستعمار، خاصة الأمريكى، فرض لغته على الشعب الفلبينى، وتَبْرُز اليوم ظاهرة تهجين الخطاب المحكى فى لغة «التاجَلوج» Tagalog إحدى اللغات الوطنية المهيمِنة فى الفلبين، وتشير الشاعرة الفلبينية «رُوث مَبانجلو» Ruth Mabanglo إلى الممارسة الشائعة فى الفلبين، وهى دمج مفردات إنجليزية داخل لغة «التاجَلوج» Tagalog الفلبينية، وتحويل الخطاب منها للإنجليزية لدرجة تطوير لغة مُغايرة تُدْعَى «تاجلش» Taglish أو «إنجلوج» Englog [٤٩]. (وهذه الأسماء عبارة عن مزج لغة التاجلوج باللغة الإنجليزية). وهنا تَكْمُن الخطورة الكبرى؛ فالمشكلة ليست فى معرفة لغة أجنبية، بل فى تهجين اللغة الأم بمفردات وتعابير ومصطلحات مُستعارَة من لغة أجنبية، حتى تذوب فيها وتصبح لغة هجينة مُشوَّهة لا تمت للغة الأم بصلة.

ولا يقتصر التهجين اللغوى على إقحام مفردات وتعابير من لغة أوروبية داخل الخطاب المحكى والمكتوب للغة من العالم الثالث، بل يتعدَّاه إلى تهجين لغة أوروبية بلغة أوروبية أخرى.

يقوم بعض الكنديين من أصول فرنسية، فى مقاطعة الكيبيك Québec فى كندا Canada، حيث اللغة الأم هى الفرنسية، بتهجين لغتهم الفرنسية بالإنجليزية(٥٠).

ومما لا شك فيه أن الجدال حول اجتياح المفردات الإنجليزية للغة الفرنسية ليس جديدًا، خصوصًا فى البلدان ثنائية اللغة، على غرار كندا مثلًا؛ حيث تشنُّ مقاطعة الكيبيك منذ وقت طويل نضالًا شرسًا ومُستبسلًا فى سبيل حماية هويتها الفرنسية من التهجين الإنجليزى. وصحيح كذلك أن الفرنسية تتضمَّن عَدَدًا هائلًا من الكلمات من أصول متنوعة، وأن الفرنسية والإنجليزية لغتان لم تكف إحداهما عن التأثير فى الأخرى منذ ما يزيد على ألف عام. ولكن بعيدًا عن التبادل والتلاقح الطبيعى اللذين يُشكِّلان جزءًا

لا يتجزَّأ من تطور اللغات المختلفة وعملية إحيائها الدائمة من جهة، والكفاحات اللغوية ذات الطابع القومى أو الانغلاقى الكاره للأجانب من جهة أخرى، والأكيد أيضًا أن نزعة تقليد الأمريكيين - فى فرنسا تحديدًا وفى العالم عمومًا - باتت تدرك يومًا بعد يوم مستويات خطيرة من التأزم تكاد تحاذى الإذلال(٥١).

وتظهر عملية تهجين الخطاب العربى فى كافة المجتمعات العربية كونها كانت مُستعمَرات سابقة، فهى تظهر فى المشْرِق العربى وفى المغرب العربى، ولا يخلو مجتمع من ممارستها.

وفى هذا الصدد يُشير عالم اللغة العربية الفلسطينى «إلياس عطا الله» إلى ظاهرة التهجين اللغوى وهيمنة اللغة الإنجليزية على خطابنا العربى وذلك بين بعض الجامعيين العرب؛ فقد لاحظ «عطا الله» وجود هذه الظاهرة أثناء زيارته للقاهرة وعمان، وعبَّر عن نقده لها بالكلمات الآتية:

«... المثير للشفقة لا للقلق، هم أولئك الذين يتحدَّثون بغير العربية من أبناء السَّـراة وطلبة الجامعات وغيرهم من بعض الشـرائح المجتمعية، ولكُلٍّ دافعه المرفوض... كنت أتخيَّل أنَّ أبناءنا الجامعيين فى العواصم العربية – ولم أزُرْ إلا القاهرة وعمّان – يتحدَّثون العربية بينهم، وكم كانت الإنجليزية «الفُصْحَى» لغة الحوار فى جلساتهم! شىء ما مأزوم فينا، ولعلَّ الأمر عارض، وهذا ما أرجوه.. أمَّا إن كانت وراءه أزمة خُبُوٍّ انتمائىٍّ أو جهل بالعربية، فهذه هى الطامَّة... ونحن المسؤولون أوَّلًا وأخيرًا»[٥٢].

وتصل عملية التهجين اللغوى بالبعض إلى التبنى الكلى للغة الإنجليزية واستخدامها كلغة للتخاطب الأُسَرِى. وكتب «على درويش» – أستاذ الترجمة فى جامعة ميلبورن Melbourne بأستراليا – ما يلى فى وصف هذه الظاهرة:

«هناك مَنْ يَزْعُم أن اللغة العربية آخذة فى الانحسار والتراجع فى الوطن العربى. ولعلَّ فى هذا الزعم شيئًا من الصحة، فثمة طائفة من الناس تعتقد أن التشدُّق بلغة أجنبية هو السبيل الوحيد إلى الرُّقى الاجتماعى والوصول إلى مراكز مرموقة فى مجالات شتَّى، فتجدهم ينصرفون عن اللغة العربية ويرسلون أبناءهم إلى مدارس أجنبية ويتحدَّثون معهم بلغة أجنبية، فتجد الأب والأم يُحادثان ابنهما بلغة إنجليزية أو فرنسية منقوصة محدودة فى أغلب الأحيان، وكأن أبويه «شكسبير» و «شارلوت برونتى» أو «فولتير» و «مارى أنطوانيت»!

ولكن هذا لا يعدو كونه نزوة وزيغًا وانحرافًا لا يتخطَّى طبقة قليلة مُتْرَفة مُتْخَمة من المجتمع، أو فئة موسرة من النُّخب المثقَّفة أو المستثقفة أو المسْتَلَبة، أو طائفة مُنعمة مُستنعمة من البشر»[٥٣].

لا تقتصر هذه السلوكيات على بعض العرب، فظاهرة التبنى الكلى للغة المسْتعمِر تنتشر بين عديد من المستعمَرين سابقًا، خاصة الطبقات الوسطى التى نشأت تحت سقف أحد المشاريع الاستعمارية. فبعض الأفارقة من البرجوازية الصغيرة ما زال يتبنَّى لغة المستعمِر بالرغم من انحسار المستعمِر عن بلدهم.

ويروى لنا العالِم الغانى «كويسِى» Kwesi عن بعض هؤلاء، فيقول:

«... **يوجد العديد من أعضاء النُّخَب الأفريقية والذين - كالأب والأم - يتحدَّثون اللغة الأم ولكنهم يُصِرُّون على مخاطبة أبنائهم فقط بالإنجليزية، والفرنسية، أو البرتغالية، ونتيجة لهذه الممارسات سينشأ أولادهم عديمى المقدرة على التخاطب بلغة أجدادهم**»[٥٤].

ويظهر بوضوح أن الضَّرر الذى يُحْدِثه هذا السلوك الاجتماعى يتقاطع مع المؤثِّرات السلبيَّة التى يُخطِّط المستعمِرون لإحداثها لدى الشعوب المستعمَرة، وهى سلخها عن لغتها وموروثها الثقافى وفرض لغة المسْتعمِر وثقافته[٥٥].

- **وهنا سؤال مُستحق يطرح نفسه:**

هل يُمْكِن إيقاف عملية تدهور اللغة؟ أَمْ أن هذا أمر مستحيل؟

يَعْرِف الجميع تمام المعرفة - سواء القُوَى العالمية أو كل مُهْتَمٍّ بمستقبل اللغات المهدَّدة بخطر الانقراض - أن العوامِل التى تُسْهِم بشكلٍ رئيس

فى تشكيل **المرحلة الأولى** من عملية تدهور اللغة هى عوامل خارجة عن السيطرة ويستحيل منعها؛ **أمَّا المرحلة الثالثة** – بالنسبة لمعظم اللغات – فهى مُتأخِّرة للغاية ولا يُمْكِن عمل أى شىء حيالها. **أما المرحلة الثانية** – مرحلة نشوء الازدواجية اللغوية – فهى التى يُمْكِن أن نجِد فيها الفرصة الحقيقية لإحراز تقدُّم فى إبطاء تدهور اللغة، أو إيقافه أو حتى تحريكه فى الاتجاه المعاكِس عَمَّا هو عليه(٥٦).

على مَن تقع المسؤولية؟

يَرَى «ستيفن وورم» Stephen Wurm أن العديد من اللغات التى تواجه خطر الزوال اليوم كان من الممْكِن ألَّا تصل إلى ما وصلت إليه لَوْلا مَوْقِف الاستعلاء من معظم المتحدثين بلغات المدُن الكبرى مِمَّن يحتكون بهم من أصحاب اللغات القومية الذين لديهم اعتقاد راسخ بأن التحدُّث بلغة واحدة «الأحادية اللغوية» Monolingualism أمر طبيعى، وهو الذى يجب أن يسود بين أصحاب اللغات المحلية، وهذه اللغة بالطبع هى لغتهم، إنهم بذلك يضعون أصحاب هذه اللغات أمام خيارين:

إمَّا أن يستعملوا لغتهم المدَنِيَّة المتَحضِّرة، أو أن يَخْسروا تلك الامتيازات التى يُمْكِن أن يَحْصُلوا عليها إذا ما أتقنوا هذه اللغة، عِلمًا بأنها هى لغة الثقافة التى تَحْظَى بكامل الهيمنة والنفوذ فى مجتمعهم. ومع هذا الموْقِف الذى يتَّخِذه المتحدِّثون باللغات الكُبْرَى، ومع تلك الضغوط الثقافية والاجتماعية المفروضة على أصحاب اللغات المهدَّدة نتيجة لهذا الموْقِف،

فإن احتمال تمسُّكهم بلغتهم إلى جانب لغة أخرى سيكون بعيدًا؛ لا شك وأنهم سيُرجِّحون كفَّة اللغة المهيمِنة على حساب لغتهم الأصلية(٥٧).

وهنا تَدْخُل اللغات فى امتحان القُوَّة أمام هيمنة نمط الدولة «الأُحادِيَّة الكُلِّية»، والتى وضعت من أهدافها عَصْـر اللغات الأضعف، وكأنها نَبْتة صغيرة يَدْهسها وَحْشٌ هائل مُسلَّح بأدوات الحرب ومنطق التجارة والإدارة والسيطرة على الطبيعة؛ فإما أن تكون قوية، ممتدة فى الزمن، ومن ثَمَّ تقدر على الصمود والتجدُّد، كالعربية مثلًا، وإمَّا أن تكون ضعيفة، كاللغات الأفريقية غير المكتوبة، فتكون مُرشَّحة للموت فى مواجهة اللغات الاستعمارية.

- **مـا الذى نفهمه من ذلك؟ هل تُسْـهِم الازدواجية (الثنائية) اللغوية بشـكلٍ أساسى فى تدهور اللغة؟ أَمْ أنها ظاهرة صِحيَّة إيجابية؟**

يرى «ديفيد كريستال» David Crystal فى كتابه «موت اللغة» Language Death أن الازدواجية اللغوية ضرورة يستدعيها الانفتاح على الثقافات الأخرى، وأنها مَصْدَر قوَّة لمن يمارسها؛ فهى تمنح المرء آفاقًا عقلية أوسع، وأبعادًا معرفية أكبر، ومرونة أكبر فى التفكير وتفهُّم أكبر للفروق الاجتماعية ولِقيَم التسامح(٥٨).

لذا، تنطوى المرحلة الثانية من تدهور اللغة (نشوء الثنائية اللغوية) على قدر كبير من الأهمية؛ فمن المفترض أن تُشكِّل الثنائية اللغوية نمطًا للتعايش بين اللغة المهَيْمِنَة واللغة المهَيْمَن عليها .. تعايش دون مُجابَهَة .. تَصَاحُب فى الوجود دون مُواجَهة. ويُمْكِن تحقيق ذلك – من حيث المبدأ – نظرًا لأن الدور الذى تقوم به كل لغة مختلف كُلِّيًّا عن الآخَر. فتتمتَّع اللغة المهيمنة

بالجاذبية لأنها تُسهِّل عملية التحرُّك خارج نطاق المجتمع المحلى؛ حيث يتطلَّع أفراد المجتمع المحلى إلى الوصول إلى آفاق عقلية جديدة، وتحقيق مستويات معيشية أفضل والسعى إلى عَيْش تجربة حياتية جديدة، إن اللغة المهيمنة ضرورة وليست ترفًا؛ لأنها بمثابة جِسْر للتواصل بين عالميْن.

وبالمقارَنة، تلعب اللغة المهَيْمَن عليها دورًا آخَر مختلفًا تمامًا، فهى لا تملك من المقوِّمات ما يجعلها لغة عالمية مُشْترَكة للتواصل والتفاهم بين شعوب أو ثقافات العالم المختلفة؛ فوظيفتها الأساسية هى التعبير عن هُوِيَّة المتحدِّثين بها باعتبارهم أفرادًا ينتمون إلى مجتمع مُعيَّن. وتتَّسِم هذه اللغة – على عكس اللغة المهيمنة – بأنها ذات توجُّه داخلى (غير مُنْفَتِحَة) أى أنها لا تُشجِّع أو تُسهِّل من عملية التواصل بين المتحدِّثين بها وبين أفراد المجتمعات الأخرى التى تقع خارج حدودهم، ولكنها تقوم بدورها على أحسن وجه؛ من حيث تقوية الروابط الأُسَرِيَّة، والحفاظ على العلاقات الاجتماعية والصِّلات التاريخية، مِمَّا يمنَحهم إحساسًا بهويتهم، وبذاتهم، وبتاريخهم، وهو ما تَعْجَز اللغة المهيمنة عن القيام به؛ حيث إن لها هويتها الخاصَّة بها؛ إنها تُعبِّر عن هوية وثقافة وتاريخ المتحدِّثين بها دون سواهم. وبناءً على ذلك فإن اللغات المهَيْمَن عليها بالنسبة للمُتحدِّثين بها هى الوحيدة القادرة على ترسيخ هويتهم بكافة انتماءاتهم المحلية.

ولكن كى يتحقَّق هذا التعايش بين اللغتين، يجب أن تختفى كلمة«هَيْمَنَة» Domination من قاموس الوجود اللغوى، **وكى تُحقِّق الثنائية اللغوية النتائج المرْجُوَّة منها يجب أن تكون العلاقة بين اللغتين تكامُليَّة وليست صراعًا ...**

وأن يُنْظَر إلى هذه الظاهرة بصورة أكثر إيجابية باعتبارها مَصْدَر قوَّة لمن يُمارسها بدلًا من أن تُرَى رمزًا للضعف أو الخضوع.

إن تشجيع مثل هذه المواقف الإيجابية تجاه الثنائية اللغوية أمر مهم للصحة اللغوية، ولكن مع كل ذلك يجب ألَّا نغفل مَوْقِف أهل اللغة أنفسهم من لغتهم: كيف ينظرون إليها؟ وبماذا يشعرون عند استعمالها؟ فلا يُمْكِن ضمان عملية الحفاظ على اللغة الأُم عند استعمالها إلى جانب أخرى دون أن تُشكِّل الأخيرة أدنى تهديد لها إلَّا إذا تحقَّق الآتى:

(١) تمسُّك أهل اللغة بلغتهم، واعتزازهم بها واعتبارها مَصْدَرًا لفخرهم.

(٢) شعورهم بالسعادة الغامرة عند الاستماع إلى غيرهم وهم يتحدَّثون لغتهم ويستعملونها بشكلها الصحيح.

(٣) حِرْصهم على استعمال لغتهم قَدْر الإمكان وبأعلى درجات الدِّقَّة والإبداعية.

(٤) تهيئة الفُرَص للمزيد من العناية بنشر لغتهم وتداولها.

ومما لا شَكَّ فيه أن تحقُّق هذه الأمور كفيل بحماية اللغة الأُم من خطر التدهور والزوال؛ لأنها ستَضْمَن ثبات اللغة عند المرحلة الثانية (الثنائية اللغوية) واستمرارها فى قوة وفاعلية لفترة طويلة، وبالتالى حمايتها من الوصول إلى المرحلة الثالثة.

وبالمقابِل، نجد أن غياب مثل هذه الأمور من شأنه التعجيل بانتقال اللغة إلى المرحلة الثالثة؛ لأنها لن تَصْمُد أمام اللغة الأخرى نظرًا لعدم قدرتها

على التعايش معها؛ فأنى لها أن تَصْمُد وهى لا تَلْقَى من أهلها إلَّا الاحتقار والتهميش، بل السخرية والتدمير؟![٥٩]

من المهم أن نُجيد اللغات، وأن نتعرَّف على ثقافة الآخَر، ولكن دون أن تكون هذه اللغات بدائل لِلُغَةٍ هى الهُوِيَّة، وهى الأصالة، وهى التاريخ، وليس مقبولًا ولا منطقًا معقولًا أن نُفاخر مُكابرين مَزْهُوِّين كالطواويس بأن لغتنا ميِّتة لا تواكب العَصْـر، وكأنها أَصْبحَت مَرْمِيَّة بالتخلُّف ... وحين ينظر الغريب إليها هكذا، فهو أَمْرٌ قد نفهمه على ما فيه من إغاظة ... أمَّا أن نتعامل - نحن أبناءها - معها هكذا، فهذا هو العُقوق مُجسَّدًا، والهوان لأنفسنا لا محالة.

«إن كل انفتاح على العالَم يَفْرِض أوَّلًا ثقة راسخة وطيدة بالنَّفْس. واللغة تعبير عن هذه الثقة، فهى الجنْسِيَّة نفسها، هى الوطن حَيًّا مُنظَّمًا فى ذاتِ كل مِنَّا»[٦٠].

العَدَاءُ لِلُّغَة .. صوره وأشكاله:

يُشكِّل العداء للغة جزءًا لا يتجزأ من عملية الإخضاع والهيمنة؛ فلقد وضعت القُوَى الاستعمارية موضوع اللغة فى مكانه الأسْمَى؛ لمعرفتها بأن اللغة وسيلة لأهداف مُتعدِّدة، أهمها رَبْط المستعمرات بالدولة المسْتَعْمِرَة حاضرًا ومُستقبلًا رَبْطًا لغويًّا، وبالتبعية يحدث ربط ثقافى وفكرى، وكذلك سياسى واقتصادى، وهذا واضح الآن حتى بعد الخروج العسكرى وحصول هذه المستعمرات على استقلالها، فقد أصبحت لغاتها هى اللغات الرسمية، لغة التعامل فى الداخل، ولغة التعامل مع العالم الخارجى، كما أنها لغة الثقافة.

■ **فرنسا وعداء صارخ تجاه العربية:**

تأتى فرنسا فى مُقدِّمة الدول التى استماتت وتستميت فى سبيل نشر لغتها حتى بعد حصول الدول التى استعمرتها على استقلالها، ويتمثَّل ذلك فى منظمة الفرانكفونية (الصوت الفرنسى) وهى ليست فى الحقيقة منظمة ثقافية فحَسْب بل سياسية أيضًا، حتى أن الرئيس الفرنسى الأسبق «فرانسو ميتران» François Mitterrand قال عنها:

«الفرانكفونية ليست هى اللغة الفرنسية وحَسْب، فإذا لم نتوصَّل إلى الاقتناع بأن الانتماء إلى العالَم الفرانكفونى سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا يُمثِّل إضافة، فإننا سنكون قد فشلنا فى العمل الذى بدأناه منذ سنوات»(٦١).

وعلى سبيل المثال، عندما أحكمت فرنسا قبضتها على الجزائر، أخذت تَدْعَم هذا الاتِّجاه عن طريق مجموعة من القوانين والأنظمة الفرنسية العدائية التى تهدف إلى القضاء على اللغة العربية، فكان قانون يوليه (١٨٢٤م) بتحويل الجزائر من أرض مُحتلة إلى «ملكية فرنسية» ثم أصدرت مرسومًا آخر فى مارس (١٨٤٨م) ينص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وتبع ذلك المقاومة من غالبية الجزائريين. وفى هذا الصدد، لابُدَّ من ذِكْر الشيخ «عبد الحميد بن باديس» رحمه الله (١٨٨٤م-١٩٤٠م) وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١م)؛ فقد كان من ضمن الجهود الفرنسية لمواجهة هذا التيار العربى الإسلامى أن أصدر وزير داخلية فرنسا فى مارس (١٩٣٨م) قرارًا بمنع تعليم اللغة العربية فى الجزائر، ونَصَّ على أن اللغة العربية تُعتبر لغة أجنبية، وتم تأسيس المدارس الرسمية الفرنسية لتحقيق المشـروع الفرنسى الذى يهدف إلى حرمان اللغة العربية من حق الوجود

الرسمى، وكانت فرنسا قبل ذلك قد مَهَّدت الأرضية بتهميش جهاز التعليم الشعبى (الكتاتيب وتحفيظ القرآن) وتحطيم جهاز القضاء، والاستيلاء على أراضى وأموال الأوقاف، أى ممارسة سياسة «تجفيف المنابع»[٦٢].

ومن الوسائل الأخرى فى سبيل القضاء على الدين الإسلامى واللغة العربية قام الفرنسيون بارتكاب مجزرة الكبكب (الساطور) بمدينة «أبشة» Abéché فى تشاد عام (١٩١٧م)، حيث جَمَع المستعمِر قرابة أربع مئة من علماء المسلمين من داخل المنطقة وخارجها، وقطع رؤوسهم بالساطور، لأن كل واحد من هؤلاء عبارة عن مكتبة إسلامية عربية كاملة. وكما قال «فيليارد» G. Villiard، وهو مُؤرِّخ وباحث اجتماعى فى المعهد الفرنسى لأفريقية السوداء: «**إن موت أحد العلماء الكبار هو فناء مكتبة كاملة**».

ولم تكن تلك الحادثة هى الوحيدة من نوعها، وإنما قام المستعمِر بحوادث مُماثلة أخرى قَتَل فيها العلماء، أشهرها مذبحة «كانم» Kanem عام (١٩٤٠م)، ومذبحة «فاريا» Varia عام (١٩١٧م)، وغيرها، وقد راح ضحية هذه المذابح آلاف الأبرياء من المسلمين[٦٣].

- وعن التعليم كذلك، وقف مُفتِّشو الأكاديمية الفرنسية للتعليم فى الجزائر ضد قرار إدخال اللغة العربية فى التعليم إلى جانب الفرنسية، وعلَّلوا معارضتهم بكون اللغة العربية – فى زعمهم – ليست لغة واحدة، وإنما هى مجموعة من اللغات: اللغة العربية العاميَّة، واللغة العربية القديمة Classic Arabic (لغة القرآن الكريم ولغة التراث الإسلامى) أى اللغة العربية الفُصْحَى، واللغة العربية الحديثة Modern Arabic، وهى لغة الصحافة

ووسـائل الإعـلام، وقالوا: إن اللغـة العربية العاميَّة لا يمكن تدريسـها فى المـدارس؛ لأنهـا لغة ليسـت لها ضوابط تضبـط مفرداتها مـن قواعد نحوية وصَرْفيَّـة وغيرها، أمَّا اللغة العربيـة القديمة فهى لغة ميتة ـ وفق زعمهم – كاللاتينية، وبالتالى ليسـت صالحة للتدريس فى المدارس، وأمَّا اللغة العربية الحديثـة، فهـى لغة أجنبية ولا يجوز تعليمها فى مدارس الدولة الفرنسـية فى الجزائر؛ لأن هذا يتناقض مع القوانين الفرنسـية التى تعتبر اللغة الفرنسـية هى اللغة الوطنية والرسمية فى جميع أقاليم العالم الفرنسى(٦٤).

وقد عكس النظام التعليمى الفرنسى فى كل المستعمرات الفرنسية سواء فى الجزائر أو غيرها سياسة الاندماج Assimilation، أى التذويب الثقافى والقضاء على ما يربط المستعمَر بثقافته، خاصَّة إذا كان المجتمع مُسْلِمًا ويعرف العربية؛ فمن صف الحضانة إلى التعليم المتوسط والعالى – إن أمكن – يتم تعليم الطالب اللغة الفرنسية وتاريخ فرنسا وجغرافيتها وأنظمتها، ومسـرحيات «راسين» Racine و«موليير» Molière وأشعار «كلوديل» Claudel، أى لا تختلف عما يتعلَّمه الطالب فى فرنسا، هذا فضلًا عن الإصرار على أن يكون كل موظفى الإدارة فى المستعمرة من خريجى المدارس الفرنسية، وهذا معناه أن التعليم الفرنسى ـ لا التعليم العربى ـ هو الذى يصل بالإنسان إلى الوظائف الرئيسة المرموقة (نفس هذا النظام اتبعته البرتغال فى موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو)(٦٥).

ولم تبدأ فرنسا فى إدخال اللغة العربية فى المدارس الابتدائية إلَّا عام (١٩٥٧م)، أى بعد قرن وسبعة وعشرين عامًا من دخول الاحتلال الفرنسى

إلى الجزائر عام (١٨٣٠م)، وذلك بعد استفحال الثورة الجزائرية، فى محاولة منها لامتصاص الغضب(٦٦).

وكان من آثار هذه السياسات الجهنمية العدائية فصول الصـراع الثقافى واللغوى التى استمرت وما زالت فى الجزائر، ورغم سياسة التعريب التى تبنتها حكومات الاستقلال، خاصَّة فى التعليم والصحافة والعلوم الاجتماعية، فإن اللغة الفرنسية ما زالت حتى اليوم مُسَيْطِرَة على تدريس العلوم الأساسية والتقنية فى الجامعات وعلى تسيير قطاعات الاقتصاد الوطنى المهمة مثل البنوك، وشركات التأمين والصناعة، والعلاقات المالية والاقتصادية بين الجزائر والعالم الخارجى(٦٧).

وهكذا أوجدت فرنسا مَنْ يُفكِّر بالفرنسيَّة ويتكلَّم بها، بل مَنْ يُفكِّر بالفرنسية ويتكلَّم بالعربية، وهذا أخطر على الوحدة الوطنية من الذى يفكر بالعربية ويتكلم الفرنسية، ولعَلَّ الأثر السيِّئ لهذا الوضع هو وجود جيل مُنْقَسِم، بعضه يُفكِّر بالفرنسية ويسير على منوالها، وبالتالى ينطق بها إلى جوار جيل حَصل على الثقافة العربية، ممّا جعل التحاور بينهما غير موجود أصلًا، وخلق صراع بين أبناء الوطن الواحد؛ أنصار العربية وأنصار الفرنسية، خاصَّة وأن أنصار الفرنسية احتلوا مركز الصدارة فى الأجهزة الإدارية(٦٨).

- **الإنجليزية والروسية وفصل آخر من فصول العداء تجاه العربية:**

ومن السياسة الفرنسية فى الجزائر إلى السياسة الإنجليزية فى السودان، حيث منع الإنجليز أثناء استعمارهم السودان انتشار اللغة العربية والدين الإسلامى، وحاصروهما فى شمال البلاد وجنوبها، بينما قاموا بتشجيع

وتنشيط توسُّع البعثات التبشيرية الكَنَسِيَّة الأجنبية فى تعليم اللغة الإنجليزية وتنصير السودانيين، وقد جاء فى مذكرة رسمية للسكرتير المدنى للإدارة البريطانية بشأن اللغة فى جنوب السودان ضرورة تنفيذ سياسة تهيئة موظفين لا يتكلمون العربية، وأن تكون الإنجليزية هى لغة المكاتب (الإدارة). وتم عَقْد مؤتمر للغات المحلية فى بلدة الرجاف جنوب السودان أَوْصَى باستخدام اللغات المحلية؛ وعُيِّن الخبير اللغوى د. توكر Dr.Tucker مستشارًا لإنتاج الكتيبات الملائمة بهذه اللغات، ونصَّت المذكرة على استخدام اللغة الإنجليزية ـ لا العربية ـ فى الاتصال بالأهالى عندما يتعذَّر استخدام اللغات المحلية.

الجدير بالذكر أنه بعد انفصال جنوب السودان وفقًا للاستفتاء الذى أُجْرِى فى التاسع من يناير لعام (٢٠١١م) أعلن الرئيس «سلفا كير» Salva Kiir – بعد التصديق وإجازة الدستور الجديد لدولة جنوب السودان – أن اللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية للدولة.

ومن السودان إلى أذربيجان، حيث كان للعربية – اللغة المتوحِّدة مع الإسلام عقيدةً – دور مُتميِّز فيها وفى طبقات المجتمع الأَذُرِّى، بَيْدَ أن وقوعها على تخوم العالم الإسلامى إلى جانب الإمبراطورية الروسية جعلها عُرْضَة لهجمات الآخرين العسكرية والدينية، ومحاولات الرُّوس فى العهدين القيصرى والشيوعى تذويب ثقافة المجتمع الأذرى ليَسْهُل عليهم تطويعه. ولَعلَّ أول المحاولات وأخطرها – كما يؤكِّد المحُقِّق الكرباسِى – تغيير الحروف العربية من أبجدية اللغة الأذرية، خاصة وإن الأذرية تُكْتَب

باللغة الفارسية ذات الأبجدية العربية مع زيادة ثلاثة حروف هى: الباء المُثلَّثة والجيم المثلثة والكاف الفارسية؛ حيث قام الحُكم الشيوعى بتبديل الحروف الفارسية والعربية إلى اللاتينية (١٢٣٨هـ - ١٩٢٠م) ثم تَمَّ تحويلها إلى الخط الروسى (سيريليك، أوكريلى) عام (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م). وهذا يُنْبِئُ عن إدراك الآخر لأهمية لغة الضاد فى شد لحمة المسلمين، وعليه فإن أية دعوة لإلغاء اللغة العربية من قاموس الشعوب هى فى واقعها دعوة للفصل بين المجتمع والدين، ودعوة لإبعاد المسلمين عن القِيَم والمُثُل التى سطرها القرآن الكريم الذى نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء: ١٩٥] [٦٩].

- **العداء الذاتى للغة هو الأشد فتكًا والأخطر أثرًا:**

إن اللغة ركن من أركان الهوية الثقافية، تشترك مع العقيدة والتراث فى بناء الذات، ففى هدمها هدم للذات، ولا يتحقَّق الاندماج الثقافى بصورةٍ كاملة إلَّا عندما يَفْقِد الإنسان إحساسه بذاتيته وشعوره العميق بانتمائه العرقى؛ فحينها فقط ستكون اللغة الجديدة بالنسبة له (لغة الثقافة المهيمنة) هى البديل والملاذ [٧٠].

وعلى ذلك فإن تشجيع أصحاب اللغات المهدَّدة على اتِّخاذ مواقف إيجابية تجاه لغاتهم من أهم الخطوات التى يجب البَدْء بها لإنجاح عملية الحفاظ على هذه اللغات.

لقد أصبح من المؤكد أن اللغات تتدهور وتَضْعف عند فُقْدَان مثل هذه المواقف الإيجابية، ولكن للأسف هى مفقودة بالفعل فى العديد من الحالات؛ لأن الجَوّ العام السائد ـ السياسى بصفةٍ خاصَّة ـ يُساعِد على ذلك، والمثال على

ذلك معظم الحكومات الأفريقية التى ترى «التعدُّدية اللغوية» (التنوُّع اللغوى) Linguistic Diversity خطرًا يُهدِّد الوحدة الوطنية National Unity ويُعيق مهمة بناء الأُمَّة. والأقَلِّيات Minorities هى ما يَشْغَل هذه الحكومات نظرًا لوجود تاريخ طويل من الصـراعات العِرْقيَّة فى المنطقة، وعادةً ما يَحْكم هذه البلدان أناس ينحدرون من أصول عِرْقيَّة Ethnic Origins مختلفة. لِذا يُعامَل أى اقتراح من قِبَلِهِم لتَقْوِية الوَضْع العِرْقى لجماعة مُعينة أو تعزيز الولاء لها بشىء من التوجُّس والرِّيبة، وبخاصَّة تلك الاقتراحات التى تَدْعو إلى دَعْم لغات الأقليات Minority Languages وتعزيزها، وذلك نظرًا لارتباط اللغة الوثيق بالهوية (وهذا عكس ما يُرَاد، لأن الهدف هو مَحْو الهوية العرقية وليس تعزيزها). ولا شَكَّ أن تمتُّع لغات الأقَلِّية بوَضْعٍ لغوى هو ما يُثير قلق وتخوُّف السلطات الحاكمة، وهذا لاستحالة التنبُّؤ بالنتائج التى يُمْكِن أن تترتَّب على ذلك، سواء على المسْتَوَى الاجتماعى أو السياسى، وهناك عديد من الحالات المشهورة للغات تم استخدامها كسلاح لمقاومة النُّظُم السياسية المسْتَبِدَّة، أو كأداة ووسيلة لنقل المعلومات سِرًّا وقت الحرب. (٧١)

لقد أدرك تُجّار الرَّقيق الأوائل الدور القوى الذى تقوم به اللغة كأداة للتحريض على التمرُّد وتفجير الثورات، فعَمَدوا إلى شَحْن السُّفُن المتَّجِهَة إلى أمريكا بأُناسٍ (رَقيق) ذوى أجناس مُختلِطة وخلفيات لغوية مختلفة، بهدف إحباط أى محاولة من قِبَلِهِم لتحقيق أى تواصل فِعْلى فيما بينهم، وللسبب ذاته تمَّ احتجاز قبائل هندية من خلفيات لغوية مختلفة فى مَحْمِيَّات لإجبارهم على تعلُّم الإنجليزية(٧٢). وإلى الآن ما زال العَالَم يَزْخَر

بالخرافات حول لغات الأقلِّيّات؛ ففى أحد التقارير مثلا تكلَّم أحد ضُباط الجيش الكولومبى عن لغة شعب الإمبيرا Embera (قبيلة من الهنود الحُمْر) بشكلٍ إن دَلَّ على شىء فإنما يدل على كراهية عميقة لهذا الشعب؛ حيث قال إن أبناء هذا الشعب لم يبنوا لغتهم إلا لإرباك البِيض وجَعْل الأمور تختلط عليهم(٧٣).

ولكن هذا البُغْض وهذه الكراهية العَلَنِيَّة للغات الأقلية لا تُوجَد فى كل مكان؛ ففى أمريكا الجنوبية مثلًا لا تُشكل اللغات المحلية أدنى تهديد للوحدة الوطنية؛ إن الموْقِف تجاه اللغات الأقلية هناك يَعْكِس نوعًا من اللامبالاة وعدم الاهتمام أكثر منه بُغْضًا وَعَدَاءً لهذه اللغات(٧٤). فالعَدَاء قد يتخِذ أيضًا أشكالًا غير مُباشِرة، كأن يتم تهميش اللغة على المسْتَوى الرَّسْمِى، أى عدم استعمالها فى الميادين الرسمية مثل:

١- المكاتِب المحلية التابعة للخدمة المدَنِيَّة (دوائر الحكومة كلها باستثناء الجيش) والمصَارِف المحلية.

٢- وسائل الإعلام.

٣- التعليم العالى: فى الوقت الحاضر مثلًا لا تُستخدَم أى من اللغات المحلية فى أفريقيا والتى يُقدَّر عددها بنحو (٢٠٣٥) لغة وفق أحدث التقديرات (عِلْمًا بأن هذا العدد غير ثابت لأن هناك لغات تُكْتَشف ولغات تندثر) ـ كلغة للتعليم فى المدارس الثانوية هناك(٧٥).

وهكذا تأخذ اللغة فى الانحسار بمرور الوقت حتى تختفى من جوانب الحياة المهمة فيما عدا الجانب الدِّينى الذى عادةً ما يكون أبعد من أن يتأثَّر بالتدهور اللغوى. ومع هذا التدهور قد تكون اللغة حاضرة وبقوَّة فى بعض

الميادين كالفنون الشعبية والفولكلور، ولكنها لا تَحْظَى بمكانة مرموقة فى المجتمع. وقد ناقش العالم اللغوى الاجتماعى الأمريكى «جوشوا فيشمان» Joshua Fishman فى أحد مؤلَّفاته هذا الوَضْع اللغوى ووَصَفَهُ بـ «الشَّعْبَنة اللغوية» Folklorization of Language – أى حَصْـر استخدام اللغات المحلية فى المجالات التى لا تَحْظَى بالكثير من الأهمية(٧٦).

ولا شَكَّ أن غياب اللغة فى أى مجال يعنى فُقْدانًا للمفردات اللغوية المستخدَمة فى هذا المجال، وضياعًا لأنماط الخطاب Discourse Patterns وللمجال الأسلوبى كذلك، ومن هنا كان تهميش اللغة مؤشِّرًا على تدهورها إلى أن تُصْبِحَ مُجرَّد شكل من أشكال السلوك الذى لا يَألفه إلَّا كل مُتحمِّسٍ، أو كل مُتخصِّص فى اللغة، أو كل باحث عن الأشياء الغريبة النادرة(٧٧).

وقد يكون هذا نذيرًا بزوال اللغة على المدَى الطويل حتى تلك التى يُقدَّر مُتحدِّثوها بأعدادٍ ضخمة؛ فقد يَضْعُف وَضْع اللغة فى المجتمع بمرور الوقت حتى يصل الأمر إلى درجة انعدام الرغبة فى استعمالها، ومثال على ذلك لغتا «الكوشوا» (أوالكيشووا) Quechua و«الأيمارا» Aymarà اللَّتَان يتحدَّث بهما الآن ـ بكل تنوُّعاتهما (لهجاتهما) Varieties ـ ما يزيد على مليون شخص فى أمريكا الجنوبية، إلَّا أن الهجرة السُّكانِيَّة من المناطق الريفية إلى المدُن الساحلية فى بيرو قد ساعدت على انخفاض هذا العدد إلى حَدٍّ كبير، عِلْمًا بأن لغتهم قد تحوَّلت إلى الإسبانية فيما يُعْرَف بـ «التحوُّل اللغوى» Language Shift(٧٨). كان من الممْكِن ألا يصل الوَضْع إلى هذه الدرجة من الخطورة إذا تمسَّك سكان المناطق الريفية بلغتهم وحافظوا

عليها بكل ما أوتوا من قوة، ولكن – على العكس من ذلك – كان مَوْقِفهم تجاه لغتهم غاية فى السلبية وعدم الاكتراث، وهذا ما يُسْهِم بشكلٍ كبير فى تدهور أى لغة؛ فاللغات المحلية فى نظر أصحابها ليست إلَّا علامة على التخلُّف والتراجع الحضارى، بل عائقًا أمام تحسين الوَضْع الاجتماعى.

وإذا كانت هذه نظرتهم إلى لغتهم فمن المؤكَّد أن ثقتهم ستنعدم فيها وفى إمكاناتها، وقد ترسَّخت هذه القناعات السلبية لديهم لدرجة أن أى جهد مبذول من جانب السلطات أو أيَّة مُحاوَلة هادفة لاقتراح مشروعات مُجْتمعِيَّة، أو اتخاذ إجراءات وقائية لحماية اللغة أو وَضْع سياسات لغوية رسمية قد يُقابلها المجتمع المحلى بفتورٍ تام، أو بشىء من الشَّك والرِّيبة أو عداء واضح(٧٩).

وهكذا فإن العداء الخارجى ليس هو الأخطر على اللغة، إذ الأشد خطرًا وفَتْكًا بها هو «العداء الداخلى» أو ما نُطْلِق عليه «الانتحار اللغوى» أو ما أسماه الدكتور «عبد السلام المسدى» «آليَّة النَّسْف الداخلى التى تُهدِّد اللغة بالانفلات الذاتى على يَدِ أبنائها»(٨٠).

- السؤال المهم الآن: كَيْفَ ترسَّخت هذه الرُّؤى السَّلْبيَّة لدى أصحاب اللُّغات المحَليَّة؟ وما هو مَصْدرها؟

من المعروف أن لكل فِعْل رَدَّة فِعْل؛ فإنَّ المرْءَ لا يُولَد بهذه المشاعر السلبية تجاه لغته، فلقد أثبت الواقع وفى كل الحالات أن المؤجِّج الرئيس لهذه المشاعر هو الثقافة الأقوى برُقيِّها الحضارى، وسطوتها الاقتصادية وهيمنتها الدولية، تلك الثقافة التى يَصِم أصحابها غيرهم من أهل الثقافات المحلية الأخرى بالحماقة والجهل، والبربرية والهمجية (وذلك على الرغم

من تحقيق أصحاب هذه الثقافات لإنجازات فنية عظيمة فى الماضى، كشعبى «المايا» Mayas و«الأزتيك» Aztecs مثلًا)، كما يَصمون لغاتهم بالتخلُّف، والرَّجْعية، والعجز، والدونية، حتى ليصل الأمر إلى حَدِّ وَصْف المبشّـرين لها بأنها «من صُنْع الشيطان»[٨١]. فمُباشرةً بعد ترسيخ السيطرة العسكرية، يقوم الاستعمار (صاحب الثقافات المهيمنة) بهدم البِنْية الاقتصادية الاجتماعية القائمة داخل المسْتَعْمَرة الجديدة، ويستخدم من أجل ذلك سياسة خسيسة قوامها النهب والقمع والبطش والعنف المتواصل. ويُسيطر الاستعمار، خلال مرحلة حكمه، على اقتصاد المستعمرة فيحوِّله إلى اقتصاد تابع وأسير ليخدم المصالح النَّهْبَوِيَّة الاستعمارية، وتظهر التَّبَعيَّة لمركز الاستعمار ليس فقط فى الجانب الاقتصادى السياسى، بل أيضًا فى جوانب أخرى، أهمها الوعى الاجتماعى الذى يُسهم الاستعمار فى إعادة صياغته وتشكيله، بحيث يُكرِّس التبعية ـ من خلال الدونية ـ حتى بعد مرحلة تحرُّر المستعمَرين سياسيًّا.

ويرتكز الوعى الاجتماعى الذى يتشكَّل داخل المستعمَرة على هيمنة ثقافة ولغة المستعمِرين على المستعمَرين، ويقوم المستعمِرون، فى الوقت ذاته، بتبخيس الإنسان المستعمَر والحَطّ من قيمته الإنسانية، كما يقومون بتهميش كل من اللغة أو اللغات المحلية، والموروث الثقافى والتراثى المحلى للمُستعمَرين، وبعد مُدَّة تصبح لغة وثقافة المستعمِر هى اللغة المهيمِنة فى مدارس المستعمَرين ومناهجهم، وفى الإدارات الاستعمارية

والقوانين، وَتطْغَى لغة الاستعمار على أسماء الشوارع وأحيانًا كثيرة على جغرافية المستعمَرة(٨٢).

وهنا تجرى عملية تفكيك وهَدْم البِنْيَة اللغوية الثقافية للمُستعمَر لتُستبدَل بالبِنْيَة اللغوية الثقافية للمُستعمِر، وقد أكَّد «فرانز فانون» Frantz Fanon ذلك فى كتابه «الجلد الأسود والأقنعة البيضاء» حيث يقول:

«كل شعب مُستعمَر ـ تَمَّ تنمية ودعم مُركَّب الشعور بالنَّقْص داخل جوهره من خلال القضاء على أصالته الثقافية ودفنها ـ يجد نفسه وجهًا لوجه أمام لغة الأُمَّة جالبة المدَنيَّة، أى: أمام ثقافة الدول المستعمِرة. ويتم رفع المستعمَر فوق مكانته بقَدْر تبنِّيه للمعايير الثقافية للدولة المستعمِرة»(٨٣).

ويَظْهَر من ذلك أن الرسالة الثنائية التى يودُّ المستعمِرون إدخالها لوعى المستعمَرين هى أن لغة وثقافة المستعمِرين هى الأرقى حضاريًّا، والأفضل والأكثر تطوُّرًا؛ وأن لغة وثقافة المستعمَرين تتسم بالتخلُّف والانحطاط، والدونية والتهميش، وعليهم الابتعاد عنها وتبنى لغة وثقافة المستعمِرين.

وعندما تتواصل التبعيَّة، والهيمنة، والتبخيس، والتهميش، طيلة سنين عديدة، يتأثَّر وعى غالبية المستعمَرين، ويقوم جزء كبير منهم باستدخال مشاعر الدونية وبالتماهى مع المستعمِر الذى يصبح مثالًا يحتذون به. ويتم هذا الأمر بشكل واع وأيضًا بشكل لا واع، وتصبح الظاهرة الاستعمارية فى نظرهم ظاهرة حضارية ويعكس هذا التطوُّر وهذه الاستكانة ما يُمْكِن تسميته بذهنية الإنسان المستعمَر.

وتتملَّك الدونية الإنسان المستعمَر والمقهور، وتستحوذ على مشاعره وتفكيره ووعيه الاجتماعى، وتُشكل نظرة الإعجاب الدفين بالمستعمِر

وثقافته جزءًا مُهمًّا من هذه الدونية، وفى مرحلة ما، يتملَّكه إحساس بسَلْبِيَّة هذه المشاعر والأفكار، فيحاول إخفاءها وتغطيتها بتبنى مَوْقِف مُتعالٍ على غيره من المقهورين، ويبحث عن نقاط التمايز والاختلاف عنهم لا عن نقاط الالتقاء والتوحُّد والتضامن معهم.

ويأخذ المستعمَر فى محاكاة المستعمِر؛ فيُقلِّد أنماط مَلْبسه ولغته وثقافته وبعضًا من عاداته، ويتبنّاها لتصبح جزءًا من وعيه وسلوكه الاجتماعى، ويتم كل ذلك بعد وصول المستعمَر إلى قناعة أن عملية محاكاة المستعمِر وثقافته الاستعمارية سوف ترفع من مكانته وتُحوِّله من مُستعمَر مقهورٍ ودُونٍ إلى مرحلة أرقى قد تُلامِس مستوى المستعمِر الحضارى[٨٤]. ويصف الكاتب البرازيلى «باولو فريرى» Paulo Freire عملية تقليد المستعمِرين بأنها تصل إلى مرحلة الاغتراب الثقافى التى تظهر فى المحاكاة واللباس والكلام، وكلما أصبح مَنْ تمَّ غزوهم ثقافيًّا أكثر اغترابًا عن روحيَّة ثقافتهم وعن ذاتهم، ازدادت رغبتهم فى أن يكونوا مثل الغزاة، يسيرون مثلهم، ويلبسون مثلهم، ويتكلَّمون مثلهم[٨٥].

- **ممارسات قمعية لا إنسانية من أجل تحقيق مبدأ التبعية..**

لقد وصل الأمر بأصحاب الثقافات المهيمنة (المستعمِرين) إلى إدخالهم العديد من الممارَسات اللاإنسانية بهدف تجريم استعمال اللغات المحلية، وهذا ما حَدَث فى كينيا التى استعمرتها بريطانيا من عام (١٩٢٠م) إلى (١٩٦٣م)[٨٦] حيث أنشأت السلطة الاستعمارية البريطانية مدارس

استعمارية فى كينيا بهدف تثقيف وتدريب بعض أبناء المستعمَرة؛ ليصبحوا إداريين صغارًا لمساعدة.

- جهاز الحكم الاستعمارى.

ويتذكَّر الكاتب الكينى «نجوجى وا ثيونجو» Ngugi wa Thiong'o كيف مُنِعَ من التكلُّم بلغته «الجيكويو» Gikuyu (لغة من لغات البانتو يُتحدَّث بها فى كينيا الغربية) داخل المدرسة، وكيف كان يجرى مُعاقبة المخالفين، ويروى لنا بعضًا من تلك التجارب المؤلمة التى ترجع إلى سنوات دراسته، عندما كانت الإنجليزية هى المعيار الرئيس فى التعليم فيقول:

«من أكثر التجارب المهينة التى كان يُمْكِن للمرء التعرُّض لها أن يتم الإمساك به مُتَلبِّسًا بالتحدث بلغة «جيكويو» على مَقْربة من المدرسة. وكان يُحْكَم على الجانى بُعقوبةٍ بدنية ـ من ثلاث إلى خمس ضربات بالعصا على الأرداف ـ أو بأن تُعلَّق حول عُنُقه لَوْحَة معدنية منقوش عليها كلمات مثل «أنا أحمق» ونحو ذلك من الكلمات المهينة. وفى بعض الأحيان كانت تُفْرَض عليه غرامات مالية لا يقْدِر على سدادها»[٨٧].

وحتى بعد مغادرة الاستعمار تَبْقَى فى بعض المستعمَرات مدارس تتبع النهج ذاته، فتواصل فَرْض لغة المستعمِر على طلبتها، وهى بذلك تُساعِد فى تواصل الغزو والهيمنة الثقافية للمُستعمِر، هذا ما حَدَث للعرب فى لبنان الذى استعمرته فرنسا فى الفترة (١٩١٩م – ١٩٤٣م) [٨٨]. ويتذكَّر الفنان «مارسيل خليفة» ما يلى عن إحدى تلك المدارس:

« (عمشيث) مثل أى ضَيْعَة فى جبل لبنان، كانت فيها الإرساليَّات الأجنبية هى واجهة الناس ليتعرَّفوا على الحياة. دَخَلْتُ مدرسة ألفرير وبدأت التعرُّف إلى اللغة الفرنسية قبل التعرُّف إلى العربية، وأذْكُر بأننا كُنَّا ننال عقوبة (سينيال) إذا ضُبِطْنا ونحن نتكلَّم العربية...» (٨٩).

وهذه الممارسات القَمْعِيَّة لا ترتبط بالإنجليزية والفرنسية فحَسْب؛ بل شاعت – على سبيل المثال – سياسات القمع الإسبانية والبرتغالية فى أمريكا اللاتينية؛ أمَّا فى اليابان فقد تم حظر استعمال لغة «الأينو» Ainu(٩٠).

- **حضور أدبى مُعبِّر عن حجم الكارثة..**

إن التاريخ الاستعمارى يزخر بنماذج عدَّة لمحاوَلات عدائية مُتعمَّدة استهدفت أصحاب اللغات المحلية، وقد نجحت هذه المحاولات بالفعل فى أغلب الحالات وحقَّقت ما كانت ترمى إليه من إضعاف لغات هؤلاء القوم، بل القضاء عليها، وهنا شَعَر المؤلِّفون المسرحيون بضرورة التعبير عن مثل هذه الكارثة مُستخدِمين لغة درامية تُناسب حجم الكارثة؛ فتحدَّثوا عن أشياء من قبيل «الاغتيال اللغوى» و«الإبادة اللغوية». ومن هؤلاء الكتَّاب «هارولد بينتر» Harold Pinter الذى استطاع بأسلوبه القوى التعبير عن مثل هذا العَدَاء، وذلك على لسان بعض شخصيات مسرحيته «Mountain Language» أو «لغة أهل الجبال»؛ ففى الفصل الأول منها يُخاطِب أحد الضُّباط مجموعة من النساء بفظاظة وغِلْظَة مُحذِّرًا إياهن:

«والآن اسمعن هذا؛ أنتن من أهل الجبال، هل سَمِعْتُن؟ لغتكن ماتت، إنها محظورة، غير مسموح لَكُنّ باستخدام لغتكن الجبلية فى هذا المكان، لا يُمْكِنكن التحدُّث بلغتكن إلى رجالكن، ليس مسموحًا به، هل فهمتن؟ إن

التحدُّث بها يُعَد خروجًا على القانون، تستطعن فقط التحدُّث بلغة العاصمة، تلك هى اللغة الوحيدة المسموح بها فى هذا المكان، وستُعاقبن أشد عقاب إذا ما حاولتن استخدام لغتكن الجبلية هنا، هذا مرسوم عسكرى، إنه القانون. لقد ماتت لغتكن ولم يَعُد لها وجود»[٩١].

يا لها من لهجةٍ فَظَّة تُعبِّر عن اغتيال مُتعمَّد للغة القوم!!

- وأيًّا ما كانت الآليات المستخدَمة لتنفيذ مثل هذه الممارسات القَمْعِيَّة، فلقد كانت النتيجة واحدة ألا وهى:

(١) الشعور المتنامى للمرء بالنَّقْص والدونية Inferiority.

(٢) شعوره بالخَجَل والإحراج حيال استعمال لغته الناتج عن الشك فى قدرتها على مُواكبة التطوُّرات التى يَشْهَدها العالَم.

(٣) إحجامه عن استعمال لغته خَشْيَة أن يُقابَل هذا بالتنديد والشجب والاستنكار[٩٢].

وهذا ما يؤكِّده «جريجورى أندرسون» Anderson Gregory مدير معهد اللغات الحيَّة بقوله:

«ما دام الناس يشعرون بأنهم مُحْرَجون، مُقيَّدون، ومُنْتَقدون لأنهم يستخدمون لغة ما، فمن الطبيعى أن يرغبوا فى التوقُّف عن مُمارسة ما يُسبِّب رَدّ الفِعْل السلبى هذا»[٩٣].

(٤) رغبة طبيعية من قِبَل الآباء فى تجنيب الأبناء التعرُّض لتجربةٍ مُماثِلة.

وإذا ترسَّخت لدى الناس القناعة بأن لغتهم ـ لغة آبائهم وأجدادهم ـ هى السبب فى قهرهم وإذلالهم، أو أن عدم قدرتهم على إجادة وإتقان اللغة المهيمنة هو سبب تأخُّرهم عن إحراز أى تقدُّم اجتماعى، فليس بمستغرب

أن تتولَّد لديهم مشاعر النفور من أيَّة مُحاوَلة للحفاظ على اللغة أو أن تَنْعَدِم لديهم الرغبة فى دَعْم أى مشـروع يهدف إلى الإبقاء على استعمال اللغة حتى لو اقتصـر ذلك على بعض الأماكن (كالمدارس مثلًا).

وعندما يُعزِّز هذا الاتِّجاه مَوْقِف الشباب أنفسهم وقناعاتهم التامَّة بأن لغتهم لا تَصْلُح لأن تكون لغة للعصـر الحديث أو أنها تقف عائقًا أمام إحرازهم مكانة اجتماعية مرموقة، وعندما يَصِمُون المسنِّين بالجهل والتخلُّف لتمسُّكهم بلغتهم، فلابُدَّ أن تنتشر هذه القناعات السَّلْبِيَّة بين أفراد المجتمع بكل فئاته خاصَّة وأن الشباب يُمثِّلون الفئة الكبرى فى أى مجتمع(٩٤).

■ **مُجْمَل القول..**

إن الهويَّة الثقافية هى الحصيلة المشترَكة من الدين، واللغة، والمعرفة، والعمل، والفن، والأدب، والتراث، والقِيَم، والتقاليد، والأخلاق، والتاريخ، والوجدان، ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من المقوِّمات التى تتمايز فى ظلها الأُمَم والمجتمعات، وليست هذه العناصر ثابتة بل مُتحرِّكة ومُتطوِّرة دائما باعتبارها مشروعًا مُستقبليًّا يُواكب مُستجدّات العصـر؛ وهى قابلة للتأثير والتأثُّر. وكما يوجَد قَدْر إنسانى كبير مشترك من الثقافة، نتيجة التواصل والتفاعل بين ثقافات الأُمَم المختلفة – يوجَد قَدْر خاصٌّ يحفظ هويَّة مجتمع من المجتمعات، وتُمثِّل اللغة أَخَصّ خصائص الهوية الثقافية.

إن عملية إحلال لغةٍ أخرى فى مُجتمعٍ يَسْتَشْعِرُ عداوةً لأهلها لا يُمْكِن أن تنجح، ففرْقٌ بين تعلُّم لغةٍ أجنبية لغرضٍ ما فى ظِلِّ المحافظة على اللغة الوطنية، وبين تعلُّمها للتنازل عن هذه اللغة الوطنية إلى غير رَجْعَة؛ فالتعلُّم فى ظِلِّ المحافظة مرغوب فيه، أمَّا التنازل فهو المرفوض والمحارَب دَوْمًا(٩٥).

لِذَا، فمن الخطأ الشديد أن نُعمِّمَ الحُكْمَ فى جميع حالات موت اللغة، وأن نتَّهم جميع اللغات الكُبْرَى المهيمنة – التى كانت أيضًا لغات الاستعمار، كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية – بأنها «لغات قاتلة» Killer Languages، بمعنى أنها المسؤولة عن انقراض اللغات الأخرى فى شتَّى أنحاء العالم، وذلك لتفاوت درجة تأثير هذه اللغات على غيرها من اللغات الصُغْرَى قوَّةً وضَعْفًا باختلاف المكان، وكذلك اختلاف الموْقِف العام تجاهها. ففى أستراليا مثلًا، تسبَّب تواجد الإنجليزية ـ سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ـ فى إحداث دمار لغوى كبير وَضَعَ (٩٠٪) من اللغات هناك على حافَّة الانقراض، ولكن لا «ذَنْبَ» للإنجليزية فى ذلك؛ فمن غير المعقول أن يكون التواجد العادى أو الطبيعى لإحدى اللغات المهيمنة فى منطقة مُعينة هو السبب فى القضاء على (٩٠٪) من مجموع لغاتها، إن هذا ليس سببًا كافيًا لتعرُّض هذه النسبة الكبيرة للانقراض، وهذه الحقيقة تؤكِّد أن أسباب انقراض اللغة نِسْبِيَّة، وبالتالى فإن النتيجة نِسْبِيَّة، ودليل على ذلك أن الرُّوسيَّة ظلَّت لزَمَنٍ طويل هى اللغة المهيمنة فى دُوَل الاتحاد السوفيتى السابق، ومع ذلك قُدِّرَ عدد اللغات المحلية التى انقرضت مُتأثِّرة بهذه الهيمنة بنحو (٥٠٪) فقط من مجموع هذه اللغات[٩٦].

ليس هنالك ما يَعيب أن يَرْغَب المرء فى تعلُّم لغة أخرى غير لغته، وليس عَيْبًا كذلك أن يَرَى فيها الوسيلة التى تُمَكِّنه من الارتقاء بمستواه العِلْمى أو الاجتماعى، ولكن العيب – بل العار – هو التخلى عن لغته والتضحية بها.

ونحن لا نَهْدُف هنا فى هذا السياق إلى إثناء الناس عن تعلُّم اللغات الكُبْرَى، بل نؤكِّد أنه ينبغى ألَّا يكون هناك تعارُض بين اللغتين الأصلية (الأُم) والمتعلَّمَة (الثانية)؛ فتعلُّم لغة جديدة لا يستوجب حدوث مُواجَهَة بينها وبين القديمة، أو نُشوب صراع بينهما ينتهى ببقاء الأَقْوَى، الأمر ليس كذلك. إن الفخر الذى يَشْعُر به المرء عند تمكنه من تعلُّم لغة جديدة يجب ألا يُزَعْزِع ثقته بلغته أو فخره واعتزازه بها كَوْنَها تُعبِّر عن هويته وذاته وتاريخه، فإذا ترسَّخ هذا الشعور لدى أى إنسان تجاه لغته، فلن يكون تهديدها بالأمر الهَيِّن(٩٧).

- والآن بعد بيان أعراض الضَّعْف اللغوى وتحديد الأسباب المُمْكِنَة للوفاة ؛ فهل ستكون منا الاستجابة الإيجابية والفورية تجاه هذا الوَضْع اللغوى المتَردِّى؟!
- هل سنحاول بكل ما أوتينا من قوَّة وإمكانات مادِّيَّة ومَعْنويَّة انتشال اللغة من بَحْر الضياع والوصول بها إلى بَرِّ الأمان؟!
- وكل ذلك لا يجدى ولا ينفع إلا أن يكون قبل فوات الأوان!!

والسؤال المحورى والمستحق الآن: مِنْ أَيْنَ نَبْدَأ ؟؟

هوامش الفصل الثانى

(1) Dorian, Nancy C. (1981), Language Death: the life cycle of a Scottish Gaelic dialect, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, P. 69.

(٢) **محمـد بـدوى**: اللغة بيتنـا، جريدة الحيـاة، العـدد: ١٥٧٤٠، ٩ مايو ٢٠٠٦م، آفاق ص ١٨.

(3) David Crystal (2000), Language Death, Cambridge University Press, P. 70.

(4) David Crystal (2000), op. cit., P. 71.

(5) David Crystal (2000), op. cit., P. 71.

(6) David Crystal (2000), op. cit., P. 72.

(7) Annamalai, E. (1998), Language Survival in India: Challenges and responses, in Matsumura (ed.), P.18.

(8) Aids Epidemic Update (United Nations: UNAIDS), June 2013.

(٩) **د. نبيل على: الإنترنت**: مقبرة اللغات أم بستانها؟!!، مجلة العرب، العدد: ٥١٣، ٨/٢٠٠١.

http://www.alarabimag.com/ArticlePRN.asp?ID=5827.

(10) David Crystal (2000), op. cit., PP. 74 - 75.

(11) Annamalai, E. (1998), op. cit., P. 23.

(12) Landweer, M. Lynn. (1998), Indicators oF Ethnolinguistic Vitality: Case Study of Two Languages - Labu and Vanimo, In Ostler (ed.), P.65.

(13) Brenzinger, Mathias (1998), Various Ways of Dying and Different Kinds of Deaths: Scholarly Approaches to Language Endangerment on the African Continent, In Matsumura (ed.), P.91.

(١٤) **د. عبـد الهادى بوطالب**: الحقـوق اللغوية: «حق اللغة فى الوجـود والبقاء والتطور والنماء والوحدة» .- ط١ .- دار الكتاب، ٢٠٠٣م، ص ٣٥.

(15) Seifart, frank (1998), Situations of the Indigenous Languages of Colombia, especially Chimila, Ogmios 9, pp. 8 – 10.

(١٦) **د. محمـد داود**: اللغة والسياسـة فى عالم ما بعد ١١ سـبتمبر – القاهرة: دار غريب، ٢٠١٤، ص٩٧.

(17) David Crystal (2000), op. cit., PP. 76 - 77.

(١٨) **د. حـلام الجليلالـى**: اللسـان العربـى وتحديـات العولمـة، مجلـة المعرفـة، العدد ٤٥١، راجع بتوسـع «المسـتقبل»، آل غور، ترجمة د. عدنان جرجس، سلسـلة عالم المعرفة - رقم (٤٢٤) ٢٠١٥م.

(١٩) **د. محمد داود**، مرجع سابق.

(٢٠) **على حسن الفواز**: العربفونية، ثقافة بلا حدود، ١٤٢٧ هـ:
http://www.thkafa.com.

(21) David Crystal (2000), op. cit., P. 77.

(٢٢) **د. محمد داود**: اللغة والهوية، ص ٢٦-٢٧. د. محمد داود، اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر، ص ٤٥.

(٢٣) **مى كمال الدين**: أفريقيا متسـامحة دينيًّا والاسـتعمار فَرَض لغاتـه، صدر عن مؤتمر تفاعل الثقافات الأفريقية، القاهرة، مايو ٢٠١٠م.

(٢٤) **حبيـب أبو قيس**: عِلَّـة اهتمام الأُمَـم بلغاتها، مجلة البيان السـعودية، عدد: ١٧، ص ٦٧.

(٢٥)**عبد المجيـد ميلاد**: الفجوة اللغوية فى عصـر المعلومـات، صدر بجريدة «الصباح» فى ٣ يناير ٢٠٠٦م.

(٢٦) **حبيب أبو قيس**، مرجع سابق.

(٢٧) **د. عدنان باحارث**، مركزية اللُّغَة العربية فى الهوية الإسلامية، ١٤٢٧ هـ:
http://www.bahareth.org/index. php?browse=article&id=10234.

راجع : د. محمد داود: اللغة والهوية. د. محمد داود، اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر، ص ٤١ - ٥٠.

(٢٨) **د. عمر عبد الفتاح**: اللغات الأفريقية وتحدياتها فى عصر العولمة، إصدارات الهيئة العامة للاستعلامات، آفاق أفريقية، العدد: ٢٩.

(٢٩) **د. عمر عبد الفتاح**، مرجع سابق.

(30) Heine, Bernd and Nurse, Derek (2000): African Languages: An Introduction, P.51.

(31) David Crystal (2000), op. cit., PP. 77 - 78.

(32) Krauss, Michael (1992), The World's Languages in Crisis, Language 68, P. 6.

(33) Schiller, Herbert I. (1969), Mass Communications and American Empire, New York: Kelley, P. 113.

(34) Mark Abley (2003), Spoken Here: Travels Among Threatened Languages, Hynman.

(٣٥) **د. خيـر الديـن عبد الرحمن**: خطـورة تتضاعف فـى ظل العولمة، جريدة الأسـبوع الأدبى، العدد ١٠٠٦، تاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٠٦م.

(٣٦) **الربيعـى، فلاح خلـف على**: «آثار العولمـة الاقتصادية على الهويـة الثقافية»، مجلة علوم إنسانية: www.uluminsania.net

(٣٧) **د. عمر عبد الفتاح**: مرجع سابق.

(٣٨) **مصطفـى صادق الرافعى**: وحى القلـم.- ط٣ - القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٧م، ٣/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٣٩) **وليـد العناتـى**: العولمـة اللغويـة، مجلة البصائـر، جامعـة بتـرا: الأردن (ع٢، م٦)، ٢٠٠٤م.

(٤٠) **صمويل هنتجتون**: صدام الحضارات؛ ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خلف.- ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر، ١٩٩٨م، ص٩٨: ١٠٦.

(٤١) **د. عبـد السـلام المسـدى**: العولمة والعولمـة المضـادة.- القاهرة: مطابـع لوتس، ١٩٩٩م، ص٣٩.

(٤٢) **د. محمد داود**: اللغة والهوية.- القاهرة: دار المنار، ٢٠١٣م، ص٢٨ - ٣٨.

(43) David Crystal (2000), op. cit., P. 78.

(٤٤) **د. سـرور قارونى**: فهـم ثقافة الآخر من خلال لغته وأهميته فى التواصل الإنسـانى، مـن ورقـة مُقدَّمة إلـى المؤتمر الدولـى الأول «الطفل بيـن اللغـة الأم والتواصل مع العصـر»،٢١-٢٣ فبراير ٢٠٠٧.

(45) David Crystal, op. cit., P. 79, (England, Nora C. (1998)).

(٤٦) **د. زهيـر الصباغ**: التهجين اللغوى للخطـاب العربى، مجلة التراث والمجتمع، العـدد: (٤٢)، شـتاء ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦، إصـدارات مركـز دراسـات التـراث والمجتمع الفلسطينى.

(47)Kwesi Kwaa Prah, "Education, Mother-Tongue Instruction, Christianity and Development of an African National Culture", (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society), www.casas.co.za.

(48) Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia (1996 USA, Grolier incorporated.

(49) Labrador, Roderick Niro. «The poems of Ruth Mabanglo», (www.hawaii.edu).

(٥٠) د. **زهير الصباغ**، مرجع سابق.

(٥١) **جمانة حدَّاد**: «الجدال يحتدم بين حُماة الفرنسية ومؤنجليزيها»، ملحق النهار الأدبى، ٤/ ٥/ ٢٠٠٣، (www.joumanahaddad.com).

(٥٢) د. **إلياس عطا الله**: «فكرة عجز العربية عن مواكبة الطفرة التكنولوجية فِرْيَة قديمة»، حاوره: عادل سالم/ تجمع الأدباء والكُتَّاب الفلسطينيين، (www.arabs48.com).

(٥٣)**على درويش**: «لغة أجنبية وأصوات عربية: ظاهرة الاستغراب الفكرى واللغوى فى اللغة العربية الحديثة»، (www.elaph.com).

(54) Kwesi Kwaa Prah, op. cit.

(٥٥) د. **زهير الصباغ**: مرجع سابق.

(56) David Crystal (2000), op. cit., P. 79.

(57) Wurm, Stephen A. (1998), Methods of language Maintenance and Revival, with selected cases of language endangerment in the world. In Matsumura (Ed.), PP. 193 -4.

(58) David Crystal (2000), op. cit., P. 45.

(59) David Crystal (2000), op. cit., PP. 80 - 81.

(٦٠) د. **خير الدين عبد الرحمن**: مرجع سابق.

(٦١) **بن سالم حميش**: الفرانكفونية والفرنسية، المستقبل العربى، عدد (٢٠٠)، مايو ٢٠٠٠، ٣٣-٤٥.

(٦٢) **ساجد أحمد عبل**، الشيخ عبد الحميد بن باديس: الوعى القومى العربى، عدد (٢٥)، إبريل ٢٠٠٠م، ص ٦٢.

(٦٣) **على محمد قمر**: التحديات التى تواجه اللغة العربية فى تشاد، ندوة اللغة العربية فى تشاد، ٢١/ ٢٤ يناير ٢٠٠١م.

(٦٤) المرجع السابق نفسه.

(٦٥) د. **محمد عبد الغنى سعودى**: مكان اللغة العربية ومكانتها والتحديات التى تواجهها فى أفريقيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة.

(٦٦) **على محمد قمر**، مرجع سابق.

(٦٧) **عبد الحميد عبدوس**: الصراع اللغوى والتعريب فى الجزائر، مُقابلة مع «تركى رابح عمامرة»، المستقبل العربى، العدد: (٢٣٨)، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٩٣ ـ ٩٥.

(٦٨) د. **محمد عبد الغنى سعودى**، مرجع سابق.

(٦٩) د. **نضيـر الخزرجـى**: غمامة الضاد تسـقى التخـوم وتعمى الخصـوم، راديو دجلة، ٢٣ مارس ٢٠١٠: (www.radiodijla.com).

(70) David Crystal (2000), op. cit., P. 81.

- هناك حقيقة لا يعرفها الكثيرون وهى أن اللغات الأمريكية الهندية (الأصلية) قد تم اسـتخدامها لتحقيق مثل هذه الأهداف، فأثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، عمل أعضاء ما لا يَقِل عن سبع عشـر قبيلة عُملاء سِرِّيين لصالح القوات الأمريكية فـى أوروبـا والباسـيفيك (المحيـط الهـادى)، بما فى ذلـك عدد ضخم مـن قبيلة «النافاجـو» الذين عملـوا لصالح القوات البحرية الأمريكية أثنـاء الحرب العالمية الثانية، وكانت مهمتهم نقل المعلومات باسـتخدام لغة شَفْرِيَّة Coded Language مُشْتَقَّة من لغتهم وبالتالى لا يفهمها سواهم.

(71) David Crystal (2000), op. cit., P. 82.

(72) Kinkade, M. Dale. (1991), The Decline of Native Language in Canada. In Robins and uhlenbeck (eds.), P. 157.

(73) Seifart, Frank (1998), op. cit., P. 9.

(74) Adelaar, William F. H. (1998), the Endangered Situation of Native Languages in South America, In Matsumura (ed.), P. 9.

(75) Brenzinger, Mathias (1998), op. cit., P. 95.

- يرى «ديفيد كريستال» أن أصحاب اللغات الكبرى من المؤمنين بالأحادية اللغويـة لا ينظـرون إلـى فكرة التحـدُّث بلغتيـن (الثنائيـة اللغوية) بشـكلٍ إيجابى؛ إنهم فقط لا يُدْرِكون الدَّوْر الإيجابى الذى يُمْكِن أن تلعبه. الفكرة هنا كما يطرحها «كريستال» هى أن الثنائية اللغوية ليست جزءًا من توجُّههم العقلى؛ فهم ليسوا ضد الثنائية اللغوية فى حدِّ ذاتها، ولكن كونهم جزءًا من تراث استعمارى طويل ساهم بشكلٍ كبير فى تشكيل هذا التوجُّه العقلىّ.

(76) Fishman, J. A. (1987), Language Spread and Language Policy for Endangered Languages, In proceedings of the Georgetown University Round Table on Language and Linguistics, Washington: Georgetown University Press

(77) David Crystal (2000), op. cit., P. 83.

(78) Adelaar, William F. H. (1998), op. cit., P. 6.

(79) David Crystal (2000), op. cit., P. 84.

(٨٠) **د. عبد السلام المسدى**: العرب والانتحار اللغوى، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ١ يناير ٢٠١١، ص ٢٦.

(81) David Crystal (2000), op. cit., P. 84.

(٨٢) **د. زهير الصباغ**، مرجع سابق.

(83) Fanon, Frantz (1967), Black Skin, white Masks, Translated by «Charles Lam Markmann», (New York: Grove press), P. 19.

(٨٤) **د. زهير الصباغ**، مرجع سابق.

(٨٥) **باولو فريرى**: نظرات فى تربية المعذبين فى الأرض .- رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص١٤١.

(86) Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia, op. cit.

(87) Ngugi Wa Thiong'o (1986), Decolonising the Mind: The politics of Language in African Literature, London: Currey / Portsmouth, NH: Heinemann, P.11.

(88) Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia, op. cit.

(٨٩) **مارسيل خليفة**: «عندما تصبح أغانينا تقريرًا سياسيًّا تتوقَّف عن إعطاء فعاليتها»، حوار مع «مارسيل خليفة»، مجلة ألحان، العدد (٢٩)، ١٩/ ٩/ ١٩٨١، ص ٣٧.

(90) David Crystal (2000), op. cit., P. 85.

(91) Pinter, Harold (1998), Mountain Language, London: Faber.

(92) David Crystal (2000), op. cit., P. 85.

(٩٣) **كارى ليدرسن**: الأيرلندية لغة تحارب الزمن ولغات أخرى انقرضت:
http://www.aljarida.com/news/print_news/324015

(94) David Crystal (2000), op. cit., P. 85.

(٩٥) **د. صادق عبد الله أبو سليمان**: انقراض العربية الفصيحة وهَمْ أم حقيقة؟، دراسة مقدمة إلى المؤتمر السنوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢١ أبريل - ٢٥ مايو/ ٢٠٠٨م.

(96) Krauss, Michael (1992), op. cit., P. 5.

(97) David Crystal (2000), op. cit., PP. 87 - 88.

الفصـل الثـالث

المخْـرَج مـن الأزمـــة

«أينما توجد لغة مستقلة توجد أُمَّة مستقلة
لها الحق فى تسيير شؤونها وإدارة حكمها».

فيختــه
الفيلسوف الألمانى

الطريق إلى إنقاذ اللغة

اللغة لصيقة بالإنسان من المهد إلى اللحد، إنها أشبه ما تكون بالرُّوح؛ إنها رُوح جماعية، وطاقة فاعلة تبعث الحياة فى المجتمعات والأُمَم بما تحمله من معارف وعلوم، فاللغة وعاء الثقافة والعلم والدين، إننا نعيش باللغة، وفى مرآتها تنعكس دواخلنا، وكما هى وعاء ثقافتنا، فهى سجل تاريخنا، وبها نُفكِّر ونتواصل.

ولكن الذى ينبغى تأكيده - هنا - هو أن أهمية اللغة لا تنحصر فى التواصل بين الناطقين بها، أو أنها وعاء للفكر العقائدى والثقافى، أو أنها آلية تفكير وإبداع فحسب، وإنما هى - أيضًا - هوية تختزل ماضى الأُمَّة بموروثها الحضارى والسيادى، وتقترن بأبنائها: تُجسِّد حاضرها من خلال العلاقة الجدلية بين هوان أبنائها وضعفها وقوة أهلها وقوتها، فاللغة الحية تحيا فى ظل قوم أقوياء لهم إسهام فى العلم والإبداع، وهى - أيضًا - تشير إلى ماهية الغد كيف يكون؟ وإلى أين يتجه؟

وتحتفظ اللغة - على تتابع العصور وتنوع الحضارات - بقيمتها المتفرِّدة؛ فهى تُمثِّل المظهر المادى للوجود الحقيقى للإنسان، فحين يَفْنَى الأفراد، وتندثر الجماعات، لا يَبْقَى منها ذو قيمة إلا ما حفظته اللغة.

لقد ربط «محمود درويش» فى جداريته بين ضياع اللغة والموت، فهو يرى «**أن الموت هو موت اللغة وعدم القدرة على النطق، حين كتب على ورقة الطبيب: لقد فقدت اللغة؛ أى: لم يبق منى شىء**»[1].

ولكـن فى ظـل العولمـة وهذه التحديـات التـى تُهدِّد وجـود كثير من اللغـات، كيـف يمكـن إنقـاذ اللغة ودعـم وجودها فـى موقـع التأثير فى مجالات الحياة المختلفة؟!

إن المهمة لم تعد سهلة فى زمن العولمة الذى لم يعد يُسْمَع فيه إلا صوت القويِّ! ذلك القوى الذى يسعى سعيًا حثيثًا إلى فرض نمطه السلوكى والرمزى على الأُمَم الأخرى.. ذلك القوى الذى يحارب من أجل إزاحة الحواجز اللسانية وتوحيد اللغات، وإقصاء أية لغة لا تُعضِّدها قوة ديموجرافية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية، وعلمية، وعسكرية هائلة[٣]، وبكل أسف تنجح مساعيه فى إزاحة كثير من اللغات!!

ولما كانت اللغة ترتبط بأهلها قوةً وضعفًا، فقد تختفى حينًا من الزمان؛ لضعف أهلها وهوانهم، لكن سرعان ما تعود وتُبْعَث من جديد حين يتوفَّر لها **قرار سياسى لتمكينها، وقرار اقتصادى داعم لها ولنشرها، وقرار علمى للتخطيط اللغوى على علم وبصيرة، ثم ترجمة هذه القرارات إلى تشـريعات لتفعيل بعث اللغة وإنقاذها.**

والشواهد على ذلك كثيرة، من أبرزها: عودة اللغة العبرية، فاللغة العبرية بُعِثَت بجهود الباحثين وأصحاب القرار بعد سبعة عشـر قرنًا من تقلُّص وظائفها، ومن ثَمَّ اختفاؤها وانطماس معالمها، وهى اليوم حيَّة على مستوى الخطاب التداولى والعلمىِّ والأدبىِّ، وأصبحت اللغة الأم لمجتمع لم تكن اللغة الأم لآبائه ولا أجداده.

إن كلمة الفصل فى إنقاذ اللغة ودعمها يرجع إلى أبناء اللغة ودورهم الثقافى والحضارى بين الشعوب الأخرى؛ فاللغة لا يمكن النهوض بها ما لم ينهَض أهلها؛ وذلك من كل الجوانب الأساسية لنمو وتطوُّر وتقدُّم الإنسان فى الجانب الاجتماعى، والتعليمى، والاقتصادى، ومن ثَمَّ الثقافى الفكرى له؛ فالعلاقة جدلية بين النهوض بالإنسان والنهوض باللغة.

خلاصة القول أنه يكاد يُجمع اللغويون على أن النهوض باللغة يتطلَّب حزمة من الإجراءات؛ هى:

١- رؤية اللغة بوصفها جزءًا من الثقافة (قرار علمى داعم).
٢- تمسُّك أهل اللغة بلغتهم واعتزازهم بها (قرار علمى وسياسى داعم).
٣- حصول اللغة المهدَّدة على شرعية حقيقية ووضع مؤثِّر فى أعين الجماعة المهيمِنة (قرار سياسى مُمَكِّن).
٤- اقتصاد قوى (قرار اقتصادى داعم).
٥- وجود قوى فى النظام التعليمى (قرار علمى وسياسى واقتصادى).
٦- الاستفادة من التكنولوجيا الرقميَّة (قرار علمى واقتصادى).

(١) رؤية اللغة بوصفها جزءًا من الثقافة (قرار علمى داعم)

«اللغة هـى الوعاء الـذى استودعه الشعب كل مـا أنجـزه مـن نفائـس الفكـر وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد».

هيـــــردر

تُعد اللغة مُكوِّنًا جوهريًّا لثقافة الجماعة اللغوية، وهى من أهم الركائز المكوِّنة للهوية.

وحين نتحدَّث عن علاقة اللغة بهوية الإنسان، فإننا نتحدث عن العلاقة بالذات الثقافية وشخصية الأُمَّة، الشاملة للمعتقدات والتصورات، والخصوصيات الشعبية، والجذور القومية، التى تخصُّ كل أُمَّة على حِدَة، فالثقافة بقِسْمَيْها المادى والمعنوى تعنى لكل أُمَّة: أفكارها وقِيَمها وعاداتها وأنماط سلوكها، وطريقة حياتها فى مُخْتلَف جوانب نشاطها الإنسانى.

ويعتقد الكاتب «دانيال بِيل» Daniel Bell فى معرض تقييمه للغة بوصفها أداة ثقافية تلعب دورًا فى صياغة الذات والهوية الجماعية للشعوب – أن لغات معينة تشمل:

«.. طرقًا مُمَيَّزة فى اختبار العالم وفى تعريف ذواتنا؛ فاللغة تُشكِّل – فوق كل شىء– الطرق المميِّزة لكينونتنا فى العالم، وتُشكِّل اللغة عندها أداة نقل لهوية شعب، والأداة التى تزوِّدنا بنظرة مُحدَّدة فى رؤية الأمور، وبالخبرة الحياتية والمشاعر، وفى الحصول على وجهات نظر مُحدَّدة فى الحياة[٤]».

وتُظْهِر هذه المكانة أن اللغة مع كونها وسيلة اتصال بين البشـر، فهى كذلك وعاء للثقافة، لذلك لا يستطيع مَن يستخدم لغة أخرى غير لغته الأم أن يقوم بنزع وتحييد شحنتها الثقافية؛ لأنها متداخلة مع اللغة. وأكَّد «كويسـى كوا براه» Kwesi Kwaa Prah، أستاذ علم الاجتماع فى جامعة غانا، وجود هذه الشحنة الثقافية العقائدية على الوجه التالى:

«تشكل اللغة رزمة ثقافية تزوِّد مستخدمها بأكثر من وسيلة اتصال. إنها تُشكِّل نافذة على ثقافة مُتحدِّثى اللغة. إنها تحوى صورًا من تاريخ أصحاب هذه اللغة، وهى الوسيلة الرئيسة للدخول إلى ثقافة معينة. إنها تُشكِّل مخزنًا للقِيَم، والمعتقدات، والمواقف، والميول، وعند التخاطب بلغةٍ ما، فإن المتحدِّث يدخل فى حوار مع أصحاب هذه اللغة»[٥].

اللغة والثقافة والهوية:

اللغة وعاء الثقافة، وكلاهما من أهم مُكوِّنات هوية الأمة، ومعلوم أن الهوية هى الخصائص المميزة التى تميز فردًا أو مجتمعًا عن غيره من المجتمعات، والملامح التى تعكس طريقة حياته وعاداته ومعتقداته، والقِيَم والمثُل والمفاهيم الحضارية التى عَبْرها تتميَّز شخصيته على ما سواها، ولعل أهم مظهر لتجسيد هذه الهوية هو اللغة، كونها تشكل العامل الأساسى فى تكوين الأمة، وربط نفوس الأفراد؛ لذلك يتشبَّث كل مجتمع بلغته، وتَبْقَى عالقة فى وعيه الجَمْعى، وتصبح هى لسان وجوده وعامل بقائه، ومظهر تميُّزه عن الآخر.

وقـد أشـار العديد من الكُتّاب والمثقفين إلى مـا تُمثِّله اللغة من أهمية فى تشـكيل هويـة الفـرد والمجتمع، بل وفـى حياة الفـرد اليومية أيضًا. ويشـير «طوليفسون» Tollefson إلى تلك الأهمية؛ حيث يقول:

«تُمثِّل اللغة حجر الزاوية فى تشكيل المجتمعات الإنسانية؛ فهى تؤثِّر على حياة الناس بشكل أكبر مما يدركه الناس أنفسهم؛ فللغة تأثير على الأسرة، والأصدقاء، والعمل، والبيت، وكذلك على الدخل»[٦].

ويركز «ماكجوبا» Makgoba على جانب آخر من جوانب أهمية اللغة وهو دورها فى الحفاظ على الهوية والثقافة؛ فيقول:

«إن اللغـة ثقافـة، وعـن طريق اللغـة فإننا نحمـل هويتنـا وثقافتنا، وعن طريقها أيضًا فإننا نحمل العلم والتقنية والتعليم والنُّظُم السياسية وتجارب التنمية الاقتصادية»[٧]

ولم يتوقَّف الأمر عند الكُتَّاب والمفكِّرين فقط، بل شمل كذلك المواطنين؛ فقد تنبَّه كثير من المواطنين الأفارقة للخطر الذى يُهدِّد هويتهم وميراثهم الثقافى والذى تُمثِّل اللغة حجر الزاوية فيه، فقد نشـرت جريدة «الأُمَّة اليومية» Daily Nation الكينية بعض الرسائل فى باب «خطاب إلى المحرِّر» تُنبِّه إلى هذا الأمر، ومن الرسائل التى نُشِرَت نورد الرسالتين التاليتين:

- يقول صاحب الرسالة الأولى:

«إن اللغة هى جذر فى شجرة ثقافة شعب؛ فهى ترعى القيم التراثية، وتنقلها من جيل إلى جيل آخر».

- ويقول صاحب الرسالة الثانية:

«إن المهْتَمِّين بشؤون الثقافة يؤكِّدون على أن بلدًا لا يحفظ ثقافته سرعان ما يفقد هويته كأُمَّة ... وإن أُمَّة لا ترى حاجة أو ضرورة للحفاظ على لهجاتها

ولغاتها الوطنية الأصلية هى أُمَّة يتعذَّر عليها الحفاظ على ثقافتها، طالما أن التربية الثقافية لا يمكن أن تُنقل إلا من خلال هذه اللغات»[٨].

وفى ضوء هذا الخطر يجب على المجتمعات - المتمسِّكة بهويتها والمدْرِكَة لحجم الخطر المحدق بها - التحرُّكُ لمواجهة تيار العولمة العاتى، ذلك التيار الذى يهدف إلى عولمة الثقافة بجعلها تصب شطر أهداف النظام العالمى الجديد؛ حيث تفرض نموذجًا لغويًّا معينًا، وآخر استهلاكيًّا يساعد على هيمنة الأقوياء وإضعاف طموح الأمم الأخرى ذات الحضارة العريقة، أو تلك التى تحمل بديلًا فكريًّا وثقافيًّا، كما يَحْدُث الآن لبعض دول العالم الثالث - العربية الإسلامية بخاصَّة.

اللغة المهَيْمِنَة والثقافة:

للعولمة تأثير خطير فى عناصر تشكيل الهوية الثقافية للأُمَّة، وعلى وسيلة التواصل التى هى اللغة؛ وفى هذا السياق يقول «كويسى» Kwesi:

«عندما تصبح اللغة المحْكِيَّة هى اللغة المهيمنة للمستخدم، فإنه عندها يصبح، فى الواقع، عضوًا فى ثقافة اللغة المهيمنة»[٩].

إن المتعلِّم للغة جديدة لا يستطيع أن يعزلها عن مضمونها الثقافى؛ إذ إن جوهر اللغة اجتماعى، فلابد أن يعيش تجربتها بالكامل، ممتزجًا بها، فقد أكدت الدراسات الميدانية أن الدارس الذى لا يحترم حضارة اللغة التى يتعلمها لن يستطيع التقدُّم فى تعلُّم هذه اللغة، فاللغة جزء من الثقافة، والثقافة جزء من اللغة، لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، ومن ثمَّ فإن اكتساب لغة أجنبية يعنى اكتساب ثقافة أجنبية، والخطورة تكمن فى ثقافة

اللغة المهيمنة، فإنها غالبة؛ مما ينشأ عنه تناقض واضح بين ثقافة لغته الأم، وثقافة اللغة المهيمنة التى تعلَّمها، حيث تؤثر على تفكيره ونمط سلوكه، بما يؤثر سلبًا على ثقافة اللغة الأم، ولعل هذا الأمر هو الذى دفع بعض دول أوروبا لاشتراط تعلم لغاتها القومية على الأجانب المهاجرين إليها.

اللغة والدفاع عن نفسها (الفرنسية واليابانية نموذجًا):

نحن أمام نموذجين فى العصر الحديث كلاهما شعر بخطر العولمة، فاتخذ التدابير اللازمة لحماية هوية الأُمَّة رغم تقدُّمهما وانتمائهما للعالم الأول، إن صَحَّ التعبير. النموذج الأول: اهتمام الدولة الفرنسية بلغتها، والثانى: جهود دولة اليابان حيال اللغة اليابانية.

- **النموذج الأول: الفرنسية:**

فى فرنسا بات الدفاع عن اللغة الفرنسية هدفًا رئيسًا فى الوقت الحاضر فى مواجهة العولمة، إدراكًا منها لأهمية اللغة فى تكوين شخصية الأُمَّة والمحافظة على هويتها، فاتَّخذت لنفسها سياسة لغوية ألزمت بها نفسها، فالأكاديمية الفرنسية تقوم بالشِّق العلمى فيما يتصل بالسياسة اللغوية، وتقوم الوكالة العامة لصياغة المصطلحات بصك المصطلحات البديلة للمصطلحات الأنجلوسكسونية، وتُنْشَـر هذه المصطلحات فى الجريدة الرسمية، كما يطلع عليها بواسطة الاتصالات (المينيتيل Minitel)، وتقوم المنظمة الفرانكفونية بالترويج للغة داخل البلاد وخارجها، وتقوم الجهة التشـريعية بإصدار القوانين والتعليمات المتعلقة باللغة، وتقوم الجهات التنفيذية المتعددة بالمراقبة وتطبيق القوانين بدقة[١٠].

■ **النموذج الثانى: اليابانية:**

فى اليابان حيث المجلس الوطنى للغة، وهو مُكوَّن من خبراء لغويين، وتُطبَّق قرارات هذا المجلس من قِبَل مجلس الوزراء فيما يَخُصُّ الإدارات الحكومية، وهذا المجلس هو الذى يُعنى بوضع السياسة اللغوية والتطبيقات المتعلقة بها، وقد طُلِبَ من المجلس سنة (١٩٩٣م) أن يُعِد دراسة للوصول إلى سياسة لغوية يابانية تفى بمُتطلَّبات العصر الحاضر من جميع النواحى، وإلى جانب ذلك تقوم وكالة الشؤون الثقافية بالاستجابة لرغبات الجماهير المتعلقة ببعض قضايا اللغة اليابانية، وذلك بإصدار الكتيبات التى تشرح هذه القضايا بلغة سهلة مُيسّرَة، كما تصدر سلسلة شعارها: «نحو استعمال جميل وغنى للغة اليابانية»، وهى تتكوَّن من أشرطة مرئية ومسموعة تشرح الجهود المبذولة لتعزيز إغناء هذه اللغة وتبين مواضع الجمال فيها، ومنذ عام (١٩٩٣م) تقوم هذه الجهة بعقد الندوات والمناقشات مع الجمهور حول السياسة اللغوية اليابانية، وفى هذه الاجتماعات تُشْرَح قرارات المجلس الوطنى للغة اليابانية، وتلتقى آراء المشاركين فى مختلف أنحاء اليابان لمعرفة اللغة المعاصرة ومعرفة سلوك اليابانيين اللغوى، والتغيُّر اللغوى للغة عبر الأجيال، كما يقوم بإجراء الدراسات المتعلقة بتعليم اللغة اليابانية لليابانيين وغيرهم[١١].

وكل هذا يؤكِّد أهمية اللغة فى تشكيل هوية المجتمع، ويؤكِّد أيضًا مَدَى المخاطر التى تتهدَّد المجتمعات المحلية التى تجابهها العولمة، ويجب التأكيد على أن مسألة تهميش ومحو اللغات والثقافات المحلية ليست أمرًا

اعتباطيًّا فرضته ظروف الصُّدْفَة التاريخية، ولكنه أمر مقصود لذاته من قِبَل صُنّاع العولمة، فطَمْس الهوية الثقافية وفرض التغريب على بقية العالم، كما يذكر «سيرجى لاتوش» Serge Latouch، هما جانبان لظاهرة واحدة هى ظاهرة العولمة. وفى ظل هذه العولمة التى تعكس الرغبة فى الهيمنة، تُعَد جميع الاختلافات الثقافية واللغوية بمثابة عقبات فى طريق التطور الرأسمالى والتداول الحُرّ للسلع النمطية. ويغطى مصطلح «السِّلَع» المنتجات الزراعية والمصنَّعة بنفس القَدْر الذى يغطى الإنتاج الثقافى، إذ كيف يمكن للتنوُّع أن يسمح بانتشار نمط حياة استهلاكى «مهيمن»[١٢]، فالأمر كما يبدو لا يتوقَّف على فُقْدان لغة أو ميراث ثقافى فقط؛ بل يُنْذِر بمخاطر أعظم على الثقافة الوطنية والإرادة الوطنية والاستقلال الوطنى والدولة الوطنية.

الهوية الثقافية ودورها فى الارتقاء باللغة (العربية نموذجًا):

اللغة من أهم الخصائص المميزة لهوية الأمة، فهى وعاء ثقافتها ورصيد فكرها وتاريخها، لذلك توسدت اللغة دورها الخطير فى ترسيخ الانتماء القومى وإيقاظ الشعور الوطنى والوعى بالذات والأصالة.

ولا يَخْفَى على أحد أن الإحساس الوطنى والشعور بالانتماء يلعب دورًا مؤثِّرًا فى الارتقاء باللغة، وقد اعتمدت العروبة على الدين الإسلامى أساسًا لها، وأسهم القرآن الكريم فى انطلاقتها الفكرية؛ لأن العلاقة بين العروبة والإسلام متداخلة ومتفاعلة يخدم كل منهما الآخر ويدعمه، لقد استوعبت الثقافة العربية الإسلامية كل الثقافات التى تعايشت معها، فصارت بذلك ثقافة العرب المسلمين منهم والنصارى واليهود، وهذا يعنى أن كل مسيحى

عربى، هو متشبع بالثقافة الإسلامية ويؤكد ذلك «مكرم عبيد باشا» بكلمته المشهورة: «أنا مسيحى ديانة، مسلم ثقافة وحضارة»؛ لأن الإسلام هو أهم عناصر الهوية الثقافية العربية، وهذا يعنى أن الهوية ليست مجرد مصطلح دينى بقدر ما هى مصطلح ثقافى، يشير إلى أسلوب الحياة الذى يتضمن المعايير والقِيَم وطرائق التفكير والمعرفة والسلوك والأخلاق والمعتقدات.

وهذا يعنى – أيضًا – أن العلاقة بين الهوية والثقافة الإسلامية يتعذَّر الفصل بينهما، فالثقافة هى التى تُحدِّد هوية الأمة وشخصيتها، وتدل عليها وتُميِّزها عن غيرها؛ لأنه لا تُوجَد هوية لا تستند إلى خلفية ثقافية، وكان للإسلام الأثر الفاعل فى تشكيل الهوية العربية والوحدة الإسلامية النابعة من اشتراك الناس فى ممارسة الطقوس والشعائر والمعامَلات والعبادات، وهى المرجع الأساسى لمنظومة القِيَم التى يؤمن بها المجتمع العربى المسلم، ذلك أن القيم قد تشكَّلت بناء على تعاليم الدين الإسلامى التى كان لها أبعد الأثر فى مُخْتلَف عناصر الحياة العربية(١٣).

وبالإضافة لكون اللغة العربية أداة للنمو الروحى عند المسلمين؛ لكونها لغة العبادة والدعاء، فإنها – إلى جانب ذلك – لغة جميع المسلمين من كل جِنْسٍ وإقليم، وبها يتواصلون ويتعارفون؛ فالمحافظة عليها محافظة على وحدة المسلمين الثقافية، وهويتهم الدينية؛ ولهذا لما توقَّف نموها وانتشارها بسبب ضعف أهلها، توجَّه الأعاجم من المسلمين إلى لغاتهم الأصلية، وتفرَّقت – بالتالى – أُمَّة الإسلام شِيَعًا وأحزابًا، فى حين كان أكثر الذين خدموا العلوم والمعارف بأنواعها المختلفة من غير العرب(١٤).

ومن هنا، فدعم اللغة العربية، وتأهيل مُتكلِّميها هو ضرورة حياتية وحضارية، ولا يمكن بحال مواجهة تحديات العولمة اللغوية ومخاطرها إلا بإيقاظ الوعى بتعزيز اللغة العربية فى وجودها الحى المتفاعل فى شتى جوانب الحياة العلمية والحضارية والاجتماعية حتى تستطيع أن تواجه الاختراق اللغوى والثقافى الذى يحاول اجتياح هويتنا فى كل لحظة.

- **مُجْمَل القول أن:**
- اللغـة هـى وعـاء الـتراث والتاريخ، وأبـرز جوانـب الهويـة، وكل لغة من اللغـات تُمثِّـل ثـروة ثقافية بمـا تحمله من رؤيـة فلسـفية وإدراك ومعرفة خاصة بالعالم.
- إن الاعتـزاز باللغـة ليس فقـط مجرد اعتـزاز باللغة فى ذاتها بقَـدْرِ ما هو اعتـزاز بالثقافة التـى تُمثِّلها هذه اللغـة، ونحن نقرأ فـى العصـر الحديث مثلًا أن من أكبر العوائق التى وقفت فى وجه اتفاقات السـلام فى مقدونيا الاعتـراف باللغـة الألبانية لغة ثانيـة فى البلاد؛ فلمـاذا كل هذا الاختلاف والصـراع حول مجرد لغة؟

إنه الصراع من أجل إثبات الهوية، لا من أجل مجرد اللغة، فالأمر أبعد من مجرد اللغة.

يقول مصطفى صادق الرافعى فى «وحى القلم»:

«إذا انقطع الشعب من نَسَبِ لغته انقطع من نَسَبِ ماضيه، وَرَجَعَت قَوْمِيَّتُهُ صورة محفوظة فى التاريخ، لا صُورَةً مُحَقَّقَةً فى وُجوده؛ فليس كاللغة نَسَبٌ للعاطفة والفكر؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم

ناشئ على لغة، ونشأ الثانى على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا فى العاطفة كأبناء ثلاثة آباء».(١٥)

- **معانٍ جديرة بالتدبُّر:**

– ضيـاع لغتك يعنى ضياع أهم الأُسُـس المكوِّنة لهويتـك وذاتك وصلتك بتراثك وتاريخك.

– واستبدال لغة أخرى بلغتك يعنى رؤية العالم بعيون غريبة وعقلية مغايرة.

فهل تستسلم؟؟؟!!!

(٢) تمسُّك أهل اللغة بلغتهم واعتزازهم بها (قرار علمى داعم)

«ليس فى العـالَم أمَّة عزيزة الجانب تُقدِّم لغة غيرها على لغة نفسها».

مصطفى صادق الرافعى

لما كانت اللغة فى وعى كل أمة أكثر من مجرد أداة للاتصال والتفاهم؛ بل هى الأصالة والتاريخ ووعاء العلم والثقافة وأهم أركان الهوية، كان التنافس بين الشعوب، واحتدام الصـراع فيما بينها يتجاوزان الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية، ليصلا إلى الميادين المعنوية المتعلقة بالهوية الذاتية والشخصية، التى تُمثِّلها اللغة القومية أبلغ تمثيل، من خلال المحافظة عليها نقية، وحمايتها من الذوبان فى غيرها، ونقلها بقوة وأمانة للأجيال الجديدة.

وتتعرَّض اللغات اليوم إلى ما هو أشد وأعنف فى ظل العولمة اللغوية المعاصرة، التى تقوم على أن للعصـر الحالى خصائص واحدة تربط أهل الأرض جميعًا، وبهذه الخصائص تُقاس عصـرية الجماعات المختلفة، ومدى جدارتهم بالعيش فى هذا الزمان، أو مدى تخلُّفهم. والمعاصَرة – بهذا المفهوم الاستعمارى – لا تعدو أن تكون شكلًا من أشكال ذوبان الذات فى الآخر، وتشكيل الشخصية القومية فى قوالب جديدة مستوردة، والأصل «أنَّ التنمية الذاتية تُحتِّم تشجيع الهوية الثقافية؛ إذ لا يمكن أن تقوم تنمية ذاتية على أنماط ثقافية، وأساليب حياة مُستمَدة من ثقافات خارجية»[١٦].

ولا يُعْقَل أن نكسر مرآتنا لأن الصور التى تعكسها مُشوَّهة أو قبيحة، ونهرع إلى مرايا الآخرين لجمال ما تعكسه من صور؛ لأن التشويه من تقصيرنا والقبح من عقوقنا للغتنا(١٧).

واحتمال اندثار اللغة واضمحلالها، وانصراف أهلها عنها أمر معلوم وواقع مشهود فى الحضارات الإنسانية المتعاقبة، فقد بادت لغات كثيرة مثل: البابلية، والآشورية، والسومرية، والآرامية، والفرعونية، بل حتى اللاتينية التى كانت ملء السمع والبصر فى بداية النهضة الأوروبية، لم تَعُد فى هذا الوقت موضع اهتمام أهلها ورعايتهم(١٨)؛ فاللغات دائمًا ما تكون فى مستوى دفاع شعوبها عنها، وهذا ما يؤكِّده الواقع العملى؛ فكلما ارتبط قوم بلغتهم وأحبّوها وتعلَّقوا بها فإنهم يتفانون فى الحفاظ عليها وحمايتها من الخطر والزَّلَل، والسمو بها لرفعة شأنها والذود عنها ضد أية هجمات أو محاولات للنَّيْل منها(١٩).

اللغات الكُبْرَى ومعايير القوة:

حينما ننظر إلى جميع الأُمَم القوية فى العصر القديم والحديث لا نجد أُمّةً واحدةً منها تهمل لغتها؛ بل نجد أنهم جميعًا يعتزُّون بها ويسعون إلى نهضتها؛ لإيمانهم بأن نهضتها نهضة لهم، وضعفها ضعف لهم(٢٠)، إن سيطرة اللغات فى العالم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحجم الثِّقَل السياسى والنشاط الحضارى لأُمَّة من الأُمَم؛ فالشهرة العالمية التى تحظى بها أية لغة لا تتوقف على عدد الناطقين بها فقط، بل تتعدى ذلك نحو مستواهم التعليمى والثقافى ونشاطاتهم الاقتصادية، فإذا توفرت فيهم هذه الشروط ازدادت الحاجة إلى

ترجمة أعمالهم الثقافية والفكرية[٢١]. وعن سيطرة اللغة الإنجليزية يقول «بيتر لوبوك» Peter Lobock الأستاذ بقسم اللغة الألمانية فى جامعة برلين:

«سبب ذلك بالتأكيد يعود إلى قوة الولايات المتحدة الأمريكية التى جعلت من اللغة الإنجليزية اللغة الأولى فى العالَم».

قوة اللغة من قوة أبنائها (العربية نموذجًا):

لا شك أن حياة اللغة من حياة أبنائها، فهى تَقْوَى بقوتهم وتضعف بضعفهم، فالعلاقة بين قوة اللغة وقوة أبنائها علاقة جدلية؛ فإن ما يعطى اللغة قوتها وحيويتها هو وعى الأُمَّة وحرصها على رعاية لغتها وحمايتها وانتشارها، واليقين الجازم بأنها صالحة لمقتضيات العصر ومُعطَيات الحضارة ومُستجدَّات التطوُّر، وتلك أهداف كبرى تُخطِّط لها الدول التى تسعى إلى السيادة، فتُقِيم المؤسسات المتخصِّصة، وتبنى مراكز البحوث المتقدِّمة، وتؤسِّس الهيئات الفنية لتعليم اللغة وتطوير أساليب تدريسها، وترجمة المصطلحات الأجنبية.

فقوة اللغة تنهض بجناحين؛ جناح الأدب وجناح العلم، وموقع العربية من هذين الجناحين «أن اللغة العربية التى تمتلك جناحًا قويًّا فى الأدب لا تمتلك جناحًا مماثلًا فى العلم والتقدُّم العلمى؛ وكما أن الطائر لا يستطيع التحليق بجناح واحد أبدًا، فكذلك لا تتحقَّق النهضة اللغوية إلا بقوة الجناحين: الأدب والعلم»[٢٢]. وهنا نستحضر ما قاله «د. كمال بشر» فى هذا السياق:

«كلّما حرَص أهل اللغة على إمدادها بالزاد، وكلما ماجت البيئة المعيَّنة بالنشاط العلمى والثقافى، نهضت اللغة، استجابة لهذا النشاط، وأخذت فى

استغلال طاقتها، وتنمية ثروتها، وتعميق جوانبها، ومن ثَمَّ تستطيع أن تُمِدَّ هؤلاء وأولئك بطِلْبَتهم من الوسائل اللغوية اللازمة للتعبير عن علومهم وفنونهم، وكلما جَمُدَ التفكير العلمى وتخلَّف النشاط الثقافى ظلَّت اللغة فى موقعها جامدة، ولا تبدى حراكًا ولا تُقدِّم زادًا؛ لأنها بذلك قد فقدت عوامل النمو، وحُرمت من عناصر النضج الفنى»[٢٣].

ولا تُهْزَم لغة انتصر أهلها، لأن عوامل الهزيمة لا تَكْمُن فى جينات اللغة، فاللغة لا تحيا أو تموت بنفسها، وإنما هى لصيقة بأهلها وقوتهم وضعفهم، فليست هناك لغة مُتخلِّفة عاجزة، بل الحق والصواب أن أهلها هم العاجزون وهم المتخلِّفون.

إن واقع اللغة يصطبغ بتجليات الصراع بين الأنا والآخر، فحينما يضعف الإحساس بالأنا أمام تحديات الآخر فإن الضعف يتسرَّب إلى اللغة؛ إذ لا يمكن الجمع بين التنازل عن الهوية اللغوية واحترام الذات، ولهذا فإن العامل الحاسم والأهم فى تحديد الانتماء القومى هو اللغة، فاللغة هى الهوية وهى الأصالة وهى الأنا.

ولو تأمَّلنا التاريخ المشرق للعرب المسلمين لتجسَّدت لدينا العلاقة الجدلية بين اللغة وأبنائها؛ فعندما كان العرب أمَّة قويَّة مزدهرة، كانت العربية فى أوْج قوَّتها واستطاعت لغة القرآن الكريم أن تستوعب الحضارة الجديدة وأن تُعبِّر عنها فى عصر النبوة، ثم فى عصر الخلافة الراشدة، ثم فى العصر الأموى وما رافقه من تعريب الدواوين ونُظُم الإدارة للمجتمعات المختلفة، والأقاليم والجيوش والحياة العامة، كما استجابت اللغة لحاجات الحضارة فى العصر العباسى، وما واكبه من حركة الترجمة؛ بل كانت العربية –

لا غيرها - لغة العلم والبحث العلمى فى الطب، والعلوم، والرياضيات، والفلك، والهندسة، وغيرها، وكان على من يطلب العلم أن يتعلم العربية.

لقد بلغت الحضارة الإسلامية فى العصـر الأموى آفاقًا حضارية غير مسبوقة، فقد امتدَّت رقعة العالم الإسلامى من حدود الصين والهند وباكستان شرقًا حتى حدود فرنسا والأندلس غربًا، وخلال قرنين من وفاة نبى الإسلام ﷺ كانت صناعة الكتب منتشرة فى كل أنحاء العالم الإسلامى، فقد كانت المكتبات العامة والخاصة منتشرة فى كل البلاد الإسلامية؛ بدمشق، وبغداد، والقاهرة، وحلب، وإيران، ووسط آسيا، وبلاد الرافدين، والأندلس، وشمال أفريقيا، وكان الكتاب الذى يصدر فى دمشق أو بغداد تحمله القوافل التجارية ليصل إلى إسبانيا فى غضون شهر، وكانت هذه الكتب تتناول شتَّى فروع المعرفة من علوم القرآن وتفاسيره، واللغة العربية، والشعر، والرحلات، والسِّيَر، والتراث، والتاريخ، وغيرها من مجالات الفكر والثقافة والعلوم، **هذه النهضة الثقافية الزاهرة أدَّت إلى انتشار اللغة العربية وعلومها وثقافتها فى شتَّى بقاع العالم.**

لقد كانت القوَّة السياسية للدولة الإسلامية، والرواج الاقتصادى هو سر الوحدة الثقافية وانتشار اللغة العربية، التى كانت اللغة العلمية والثقافية فى شتى الديار الإسلامية؛ حيث بسط الإسلام سلطانه على كثير من بقاع الأرض، ومع انتشار الإسلام وامتداد دولته وتعاظم ثقلها السياسى أصبحت العربية لغة عالمية؛ لسببين رئيسين:

أولهما: أن العربية كانت لغة الدين، ولغة مَصْدَرَى التشريع الأساسيين فى الإسلام: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، كما أن الصلاة لا تتم إلَّا بالعربية.

ثانيهما: هو تعريب الدواوين الحكومية فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، وبذلك أصبحت العربية لغة السياسة والإدارة.

وعلى الرغم من أن كثيرًا من الأُمَم الأعجمية بقيت على هويتها ولم تتقبَّل اللغة العربية، مثل قسم كبير من الأمازيغ، والترك، والكرد، والفرس، وبعض الآشوريين والسريان، فإنها تلقنت اللغة العربية وتكلمتها بطلاقة إلى جانب لغتها الأم؛ وذلك لأن بعضها اعتنق الإسلام مثل الأكراد والفرس والأتراك، وحتى الذين بقوا على الدين المسيحى أو اليهودى أو غيرهما، تكلَّموا العربية لغة رئيسة، إلى جانب لغتهم الأم، بعد أن أصبحت لغة العلم والأدب خلال العصر الذهبى للدولة الإسلامية، تحت ظل الخلافة الأموية ثم العباسيّة، بل إن تلك الشعوب اقتبست الأبجدية العربية فى كتابة لغتها.

وعلى الرغم من انتشار العربية فى العصور التالية كلغة دينية، إلَّا أنها تراجعت وانحسرت واقتصرت على أداء الشعائر الدينية؛ لأنَّ الدولة الإسلامية ضعُفت وتفككت إلى دُوَيْلات كثيرة، كما تضاءل دَوْر العرب فى العلم والابتكار، وأخذت شمسُ الدولة الإسلامية فى طريقها إلى الأفول، لتحمل شعوب أخرى مشعل الحضارة؛ فتنتشر لغاتُها وآدابها وعلومها.

ويمكننا أن نقول فى ضوء هذا كله: إن العيب فى أبناء اللغة وليس فى اللغة، وإن التنمية اللغوية مرهونة بالجهد الذى نبذله نحن فى الواقع وبين الناس، وبما نقوم به، كلٌّ فى موقعه، ومجال تخصُّصه من العمل المدروس والممَنْهَج للحفاظ على صحة اللغة وسلامتها، ولتحقيق المزيد من التنمية اللغوية مستغلين الإمكانات الفنية والتقنية الهائلة التى تتاح لنا اليوم، لتعزيز

مكانة لغتنا بالعلم والعمل وتضافر الجهود ووضع الضوابط والتشـريعات، التى تحول دون انفلات اللغة وتراجعها عن أداء دورها فى البناء الحضارى والنماء الاجتماعى[٢٤]. فاللغة كالعُملة، قيمتها من قيمة أهلها وقوتهم العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

- **ضعف الأُمَم يقود إلى ضعف اللغة:**

إذا كان الواقفون فى الاتجاه المعاكس للتيار اللغوى القومى لا يُحْسِنون الاستماع إلى شهادة الأنا وإلى صوت الثقافة القومية ظنًّا منهم أن الأنا لا يصدر منها إلا التعصُّب فليستمعوا إلى «جورج فندريس» George Vendryes حين يقول:

«إننا لا نعلم إطلاقًا لغة قصـرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها، فلا تُنْصِت إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذين يُحمِّلون لغاتهم مسؤولية النقص الذى فى مؤلَّفاتهم؛ لأنهم هم المسؤولون، على وجه العموم، عن هذا النقص»[٢٥].

إنَّ الأُمَّة التى لا تنتج العلم، تضعف لغتها وتنكمش وتنعزل، وفى ضعف اللغة ضعفٌ للدولة كما هو معلومٌ لدى علماء الاجتماع اللغوى، وعلماء الاجتماع السياسى بصورةٍ عامَّة؛ فاللغة تَقْوَى وتكتسب المناعة ضدَّ المؤثِّرات الخارجية حين تكون لغة العلم ولغة المعرفة ولغة الحياة فتفرض نفسها وتُمْلى شروطها، ولا تذوب فى لغة أخرى فتفقد هويتها وتتخلَّى عن رسالتها.

■ **الاعتـزاز باللغـة الأم أقـوى جبهـات الدفـاع ضـد محـاولات تدميرهـا أو إضعافها:**

إذا أضاعت أُمَّة من الأمم لغتها، وصارت تتكلم بلغةٍ أخرى، تكون قد فقدت أهم خصائص هويتها واندمجت فى الأُمَّة التى اقتبست عنها لغتها الجديدة.

وكثيرًا ما يرينا التاريخ، أن بعض الأُمَم تستولى على أُمَّةٍ أخرى، وتُخْضعها لإرادتها، وتُسيِّر شؤونها كما تشاء، إن هذا الاستيلاء يُفْقد الأُمَّة المغلوبة استقلالها، ولكنه لا يمس كيانها، ما دامت الأُمَّة المذكورة محافظة على لغتها الخاصة بها، وما دامت مُتميِّزة عن الأُمَّة المسْتَـولِيَة عليها بهذه اللغة الخاصَّة، ويؤكد هذه الحقائق «ساطع الحصـرى» بقوله: «إن الأُمَّة المحكومة التى تحافظ على لغتها، تُشْبِه السجين الذى يمسك بيده مفتاح سجنه».

إنها تستطيع أن تفلت من سجنها هذا، فتسترد حريتها واستقلالها فى يومٍ من الأيام؛ لأنها تبقى حية بحياة لغتها، وتظل محافظةً على كيانها بوصفها أمة، على الرغم من أنها تكون قد فقدت شخصيتها كدولة، ولكن الأُمَّة المذكورة إذا فقدت - بمرور الزمان - لغتها الخاصَّة، وتبنَّت لغة الدولة المسْتَوْلِيَة عليها، تكون قد فقدت الحياة بتاتًا، واندمجت فى كيان الأُمَّة التى أعطتها لغتها الجديدة، فلا يَبْقَى ثمة أمل لعودتها إلى الحرية والاستقلال[٢٦].

والشعوب الغربية مثالٌ حىٌّ على الاعتزاز باللغة الأم، فهم يرفضون بإباء التحدُّث بلغة غير لغتهم؛ فهل نجد للغة الإنجليزية فى بلاد الغرب، مثل فرنسا أو ألمانيا، ذلك الحضور الذى نجده لها فى بلادنا العربية والإسلامية؟

الإجابة قطعًا بالنفى؛ إذ إنك لن تجد فى المدن الفرنسية من يستمع إليك إذا تحدَّثت بغير الفرنسية، وإذا اضطر الفرنسى إلى التحدُّث بلغة غير لغته الأم، فإنه يتعمَّد نطق الكلمات بطريقة غريبة، ربما ليُشْعِرك أن هذه اللغة التى يحادثك بها غير جديرة بأناس حضاريين، وأن اللغة الحضارية هى لغته الأم[٢٧].

من المدهش حقًّا أن نرى الفرنسيين – وهم أقرب الدول إلى الإنجليز – وقد حافظوا على لغتهم، بل أسهموا فى دعمها ونشرها خارج حدودهم الجغرافية؟! ومن لطائف ما يُنْقَل عن حماس الفرنسيين للغتهم، وافتخارهم بها: ما نقلته «مجلة المقتطف» عن الممثلة الفرنسية «سارة برنار» Sarah Bernhardt ، التى عاشت فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، من قولها:

«لقد اجتزت البحار، وتجشَّمت الأسفار، حاملة فنِّى على منكبى، ولغة بلادى فى فمى، فغرستها فى كبد اللغات الأجنبية، وهذا فخرى وشرفى»[٢٨].

وكذلك الحال مع الألمان؛ فعادة ما ينزعجون ويضيقون ذَرْعًا بمن يُحدِّثهم بغير لغتهم، ويرفضون التجاوب معه بتلك اللغة الأجنبية حتى وإن كانوا يُحْسِنون الحديث بها، كما أنهم لا يقبلون أدنى لحن فى لغتهم ذاتها، ويتظاهرون أمام الأجنبى الذى وقع فى هذا اللحن بأنهم لم يفهموا مُرَاده، حتى يُصوِّب لحنه بنفسه، والأدباء والمفكرون الإنجليز والأمريكان يرفضون إلقاء كلمة أو محاضرة حتى فى الخارج، بغير اللغة الإنجليزية وهاهما إسبانيا وفرنسا تُـنـقِّيان لغتيهما حاليًّا من شوائب الكلمات الأجنبية التى دخلتهما، وعندما زار الأديب الجزائرى العالمى «مالك حداد» دمشق فى أوائل الستينيات وعقد ندوة أدبية اعتذر فى بدايتها قائلًا:

«فى حنجرتى غصَّة استعمارية زرعها الفرنسيون، فاعذرونى إن لم أستطع الحديث إليكم كما أريد، بلغتى ولغتكم العربية؛ لأن الفرنسيين فرضوا علىّ الجهل الكامل بهذه اللغة».

وكان «مالك حداد» يكتب بالفرنسية، وبعد استقلال الجزائر عام (١٩٦٢م) توقف عن الكتابة حتى نهاية عمره عام (١٩٧٤م) وقال:

«قبل الاستقلال، كنت بحاجة إلى أى لغة لكى أدافع عن قضية بلدى، أما الآن، فإن كل كلمة أخطها يجب أن تكون عربية»[٢٩].

كفاح الشعوب من أجل الحفاظ على لغاتها:

- **التجربة اليهودية:**

«لا حياة لأُمَّة دون لغة!».. شعار أطلقه المفكِّر اليهودى «أليعازر بن يهودا» مع بداية فكرة الدولة القومية لليهود؛ فمنذ أواسط القرن التاسع عشر، (برزت مجموعة من الشباب اليهود الأوروبيين شكَّلت حركة لإحياء اللغة العبرية، كان من أبرز قادتها «أليعازر بن يهودا» الذى دعا إلى إحياء اللغة العبرية لدى الأجيال الجديدة من خلال جعلها لغة التخاطب فى الحياة اليومية، ولكنه أمر بدا صعبًا إن لم يكن مستحيلًا، حتى بالنسبة لغُلاة المتشدِّدين من اليهود؛ إذ كيف يمكن إحياء لغة قديمة توارت عن مشهد الحياة الحاضرة، ولا يجيدها إلا قِلَّة من المتخصِّصين، ولا تُسْتخدَم إلا فى الشؤون الدينية، وتفتقر إلى معظم مفردات الحياة المعاصرة، ولا يصبر على الكلام بها رجال الدين اليهودى أنفسهم، فكيف تصير لغة الأطفال والفتيان والفتيات والرجال والنساء، وتُستخدَم فى الصحافة وتدريس فروع المعرفة

وإجراء البحوث العلمية، وكيف يمكن تحقيق هذا الحلم الخيالى، خاصة أن اليهـود وقتها كانوا موزَّعين على نحو أكثر من مائة دولة على خريطة العالم، ويتكلَّمون نحو ثمانين لغة حيَّة، ليس فيها العبرية إلا فى الصلوات والشعائر الدينية لمن يتابعها منهم؟

مع كل ذلك كان «أليعازر بن يهودا» مُتمسِّكًا بفكرته، وبدأ فى اتخاذ الخطوات العملية لها، فقرَّر الهجرة إلى فلسطين، مع زوجته وأسرته سنة (١٨٨١م)، وأنشأ أول بيت يهودى تُفْرَض فيه اللغة العبرية لغة للتخاطب والحديث فى كل الشؤون لكل أفراد الأسرة، وساعده على ذلك أفراد أسرته رغم سخرية كل الناس منه، ولكنه ظل مُتمسِّكًا برأيه، عاملًا على إنجاحه أربعين سنة مُتَّصِلَة)! [٣٠].

وهكذا استمات الكيان الصهيونى فى المحافظة على لغته، ونجح – إلى حَدٍّ كبير – فى بعث الروح فيها بعد أن اختفت قرونًا طويلة، وتمت عملية البعث والإحياء «من خلال التوسُّع فى استخدامها، وتدريسها فى جميع المراحل التعليمية، وترجمة العلوم والمعارف إليها، وتقريبها من مراكز الحضارة والمدَنِيَّة، بعد أن كادت تُصنَّف ضمن اللغات التاريخية المتْحفيَّة؛ حيث أخذ الكيان الصهيونى يُدرِّس بها العلوم والمعارف، ويبثها فى الحياة حتى أصبحت الآن لغة الشارع العام فى الأرض المحتلة» [٣١].

- **بلاد الاتحاد السوفيتى:**

مثال آخر على اعتزاز الأُمَم بلغاتها يتجلَّى لنا فى بلاد الاتحاد السوفيتى السابق التى عاشت حصارًا لغويًّا، وصارت اللغة الروسية لغة العلم والفكر

والحضارة، ولكن شعوب هذه البلاد ظلَّت مرتبطة ارتباطًا وجدانيًّا ومصيريًّا بلغتها، فرسَّخت - بعد تفكُّك الاتحاد السوفيتى - هُويتها القومية باعتماد اللغة الأم لغة رسمية فى المؤسسات التربوية؛ لأنها لغة التفكير والتوثيق الحضارى والثقافى[٣٢].

- **نيوزيلندا وجهود مُعْتَبَرَة للحفاظ على اللغة الأم:**

سكان نيوزيلندا - مثل نظائرهم فى أستراليا الـ«آبوريجينى» Aborigines - ما لبثوا أن وجدوا أن لغتهم - واسمها «ماورى» Māori Language ومعناها «بلاد السحابة البيضاء الطويلة» - لا تَصْلُح لتعليم أبنائهم أى شىء ينفع فى مجتمع حديث، وبدأت اللغة القديمة تَنْحسر حتى وصل عدد الذين يعرفونها إلى ما لا يزيد على عشرة آلاف من العجائز الذين يستخدمون الإشارة فى محادثة أحفادهم، ولكن هؤلاء تمرَّدوا على هذا الوضع، لا بشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا[٣٣]؛ بل بإنشاء ما أسموه «أعشاش اللغة» عام (١٩٨٢م) التى تصل الآن إلى ما يقارب الألف، وهى عبارة عن وحدات أو مُنظمات صغيرة تزوِّد الأطفال تحت سن الخامسة بمجموعة من الكتب والمؤلفات الوطنية تتعرَّض للغة بشكل مُكثَّف، والهدف المنشود منها هو أن يحافظ هؤلاء الأطفال على المهارات اللغوية «الماورية» بعد تركهم «الأعشاش»، وعندما يشبُّون سيصبحون بدورهم نماذج للأجيال الجديدة من الأطفال الصغار[٣٤].

أحسَّ أبناء المهاجرين من إنجليز وغيرهم أنهم شركاؤهم فى هذا التراث، وفى عام (١٩٨٧م) أصبحت «الماورى» Māori لغة رسمية ثانية إلى جانب

الإنجليزية، بل دخلت إلى حنايا إنجليزية نيوزيلندا، وامتزجت بها إلى حد يجعل البعض يخشى أن تنقسم هذه إلى لهجات هنا وهناك، وتكون سطوتها وانتشارها بداية انحلالها كما حدث للاتينية[٣٥].

- **داريل بالدوين** Daryl Baldwin **ورحلة البحث عن وجود:**

اللغة هى صورة وجود الأُمَّة، وفى الحفاظ على لغة الأُمَّة حفاظ على وجودها، ولكن ماذا إذا ماتت اللغة بموت آخِر المتحدِّثين بها؟ هل يمكن إعادتها إلى الوجود مرة أخرى؟

إن اللغات بخلاف البشر، حتى وإن زالت يمكن إعادة بنائها من جديد، والدليل على ذلك هو أن آخِر متحدث بلغة هنود ميامى تُوفى فى الستينيات من القرن العشـرين، ومع ذلك قام «داريل بالدوين» Daryl Baldwin ، ٤١ عامًا، بإعادة لغة ميامى Miami language إلى الحياة من جديد.

كان «بالدوين» Baldwin أثناء فترة دراسته بجامعة مونتانا Montana قد شغل نفسه بالبحث حول لغة أجداده؛ حيث قام بدراسة نصوص كتبها أعضاء فى البعثات التبشيرية، ونصوص أخرى يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، وبمساعدة من عالِم لغات فى جامعة بيركلى Berkeley علَّم «بالدوين» Baldwin نفسه مفردات لغة ميامى وقواعدها وأصول اللفظ فيها، ثم بعد ذلك أدخل اللغة إلى بيته، وشارك آخرون – من هنود ميامى الذين يشكلون جزءًا من قبيلة تعدادها (٧٠٠٠) شخص – فى الجهود المبذولة لإحياء لغة ميامى، وقام أفراد القبيلة بإنتاج أسطوانة مُدْمَجة لتعليم لغة ميامى للصغار، وكذلك إنتاج قصص وقواميس للطلاب[٣٦]؛ وبذلك نجحوا فى إثبات وجودهم بإحياء لغتهم.

فى ضوء ما سبق تتأكَّد لنا حقيقة جَليَّة وهى أن:

العلاقة بين قوة اللغة وقوة أهلها علاقة جدلية، كلاهما يؤثِّر فى الآخر؛ فالشعوب لا تترسَّخ ولا ترتقى إلا بارتقاء لغتها، واعتزاز الإنسان بقِيَمِه ومبادئه هو أول الطريق إلى انتصاره حتى وإن طال الأَمَد، فلا يمكن لنا **مقاومة هذا الزحف اللغوى العَوْلَمِى بجيوشه الجرارة بجنود ملأ نفوسَها الخورُ، وهَدَّت قُواها نظرية «إعجاب المغلوب بالغالب»، وتشبَّعت بروح الهزائم النفسية ولوثة التبعية الذهنية.**

وعليه، فلا بد من حملة ضارية يحملها العلماء وقادة الفكر - أولًا - لإعادة ثقة هذه الأُمَّة بذاتها وقدرتها على العودة والنهوض مرة أخرى، ومن هنا تستعيد الأُمَّة ثقتها بلغتها، وتستنهض الهِمَم للذَّوْد عنها وتنميتها.

إن التمسُّك باللغة الأم مظهر أساسى من مظاهر احترام القومية، والتخلى عنها تفريط فى ذلك، والله خلق الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ولو كان العالم بأسره قبيلة تتكلم لغة واحدة لكان مثيرًا للضجر، واحترام اللغة الأم ليس تعصُّبًا ولا غرورًا قوميًّا، وإنما هو فى مصلحة الثقافة العالمية والحوار بين الحضارات؛ إذ لا يمكن بناء العالم على لغة واحدة، وبالتالى على ثقافة واحدة[٣٧].

(٣) حصول اللغة المهدَّدة على شرعية حقيقية ووَضْع مؤثر فى أعين الجماعة المهَيْمِنَة (قرار سياسى مُمَكِّن)

«فـى مواجهـة قـوة نظـام مُهيمـن يحـق للآخرين حشـد القُوَى لإرساء المساواة فى الفُرَص وسماع أصواتهم».

جاك شيراك
الرئيس الفرنسى الأسبق

لطالما أكَّد العلماء أن وظيفة اللغة وأهميتها لا تقف عند حدود التواصل مع الآخرين، بل تجاوزت ذلك وأصبحت عنصـرًا فاعلًا فى السيادة الوطنية. وعجز أهل اللغة عن تفعيل لغتهم فى مجالات التأثير العلمية والثقافية والسياسية، يحرمها من التمثيل فى المحافل العلمية العالمية، وتغيب كذلك عن المحافل السياسية الدولية، مما يدفع الآخرين من غير الناطقين بهذه اللغة إلى اتهامها بالعجز والقصور، وما العجز إلا فى أهليها الذين تنكَّروا لها.

وفى ظل العولمة صار الهجوم على كثيرٍ من اللغاتِ ومحاولة إقْصائها من الساحاتِ العالَميةِ ظاهرةً واضحةً لا تعانى منه العربية وحدَها؛ مما دفعَ أصحابَها إلى وَضْع سياساتٍ لُغَوِيةٍ تَضْمَنُ للغاتهم البقاءَ واستعادةَ مكانتِها إلى جانب الآخَرين، وليس أدل على ذلك من تجربة الاتحاد الأوروبى التى كسرت كل مقاييس الاندماج، فى المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والقضائية، ومع ذلك فإن هذه الوحدة قد توقفت عند حدود اللغة، حيث يعمل فى مؤسسات الاتحاد الأوروبى (الذى يشمل ٢٧ دولة وبه ٢٦ لغة)

نحو (٤٠٠٠) أربعة آلاف مترجم فورى وتحريرى بُغْيَة حماية الشرعية الديمقراطية «للاتحاد»[٣٨] ولم تعبأْ دولُ هذا الاتحادِ بالمصاريفِ الباهظةِ التى تنفقها على ترجمةِ المذكراتِ والمحاضرِ والقراراتِ، وما إلى ذلك، فى سبيلِ المحافظةِ على خصوصيةِ الهويةِ اللغويةِ لكلٍّ منها.

مفهوم السيادة الوطنية وعلاقته باللغة:

السيادة الوطنية تعنى الوجود الحُر المستقل الآمن الذى به تتحقَّق مصالح البلاد، بعيدًا عن التهديد، ومعناه أن تملك الدولة سلطة عليا حُرَّة فى إدارة شؤونها داخليًّا وخارجيًّا، والعلاقة بين السيادة الوطنية والأمن القومى علاقة طردية؛ بمعنى أنه كلما زادت مساحة السيادة الوطنية، زادت إمكانية تحقيق الأمن والاستقرار.

- **ومظاهر السيادة فى الدولة الحديثة هى:**

١- الحرية.

٢- الاستقلال.

٣- حق تقرير المصير.

وسيادة الأمم تبدأ بسيادة لغاتها ومؤسساتها التى ترقى بهذه اللغات، فما صارت الإنجليزية لغة دولية لقدسية فيها، بل لأن أهلها جعلوا منها لغة دولية، يوم أبدى «بنيامين فرانكلين» Benjamin Franklin عام (١٧٥٠م) قلقه من انتشار الألمانية فى ولاية بنسلفانيا Pennsylvania، ويوم عارض «جورج واشنطن» George Washington تشجيع الهجرة إلى الولايات المتحدة مُبرِّرًا ذلك بأن المهاجرين من بين أخطارهم أنهم: «يحتفظون بلغاتهم التى أتوا بها»!

لقد أدركت الأُمَم – من خلال التجربة ووقائع التاريخ – أن «اللغة – أيَّة لغة – قابلة للنمو والاتساع، وَفقًا لنمو الأمة التى تتحدَّث بتلك اللغة»، فبقَدْرِ الاهتمام الذى تحظى به اللغة القومية من أهلها، وبقدر الرعاية التى تلقاها منهم، تثبت هذه اللغة بين اللغات الأخرى، وتنتشـر مُنافِسَة لغيرها، سواء كان ذلك على مستوى العالم أجمع، أو على مستوى الأقاليم المختلفة.

وليس شىء أدلَّ على هذا من واقع اللغة الإنجليزية؛ فمنذ أن قرَّرت الولايات المتحدة الأمريكية تبنيها لغة رسمية لها حتى سعت فى نشـرها، وربطها بالعلوم والمعارف، فحين كان أبناء هذه اللغة فى بداية القرن التاسع عشـر الميلادى واحدًا وعشـرين (٢١) مليونًا فقط، أصبحوا فى بداية القرن العشـرين مائة وخمسة وعشرين (١٢٥) مليونًا، وهم اليوم ضِعْف هذا العدد أو أكثر، ومن يتحدَّثون بها من غير أبنائها خَلْقٌ كثير لا يكاد يُحْصَـى، وهى لا تزال فى اتساع وانتشار مستمر، ولا سيما فى زمن العولمة؛ حيث تفرض نفسها اليوم لغة للناس كافة، على الرغم من أن الذين يتحدثون بها باعتبارها لغة أصلية لهم لا يزيدون عن (٦ , ٧ ٪) من سكان العالم حسب إحصائيات عام (١٩٩٢م) .

ومن المعلوم أن «من أساسيات العولمة نَشْر اللغة الواحدة، وجعلها لغة العالم الأولى، وإيهام البشـر أن العلم، والمعرفة، والإبداع، والاختراع، والخير، والحضارة، والسَّبْق، والفوز لا يكون إلا لمن رطن باللغة الإنجليزية، ودرَّس العلوم والاختراعات بلغتها دون سواها»، مما جعل كثيرًا من الدول التى لا تتحدَّث بها – ولا سيما المتقدِّمة منها – تَـهُبُّ للدفاع عن هويتها وذواتها فى مواجهة هذا المد اللغوى الثقافى الأمريكى[٣٩].

■ **فرنسا فى مواجهة الهيمنة الإنجليزية:**

تتصدَّر فرنسا دول أوروبا فى مواجهة هذا الغزو الفكرى الآتى من جهة الغرب، وتتخذ حياله كل الإجراءات الكفيلة بحماية لغتها وثقافتها من الانهيار أو الذوبان.

ففى عهد الرئيس الفرنسى الأسبق «فرانسوا ميتران» François Mitterrand استحوذ على الفرنسيين شعور بأن اللغة الفرنسية قد أصبحت مُهدَّدة وتعانى من التراجع على الصعيد العالمى مع انحسار الاستعمار المباشر، وأن هذا سيؤدى بدوره إلى دخول دولة فرنسا ضمن مصاف الدول ذات المرتبة الثانية فى العالم، بعد أن كانت على مرِّ التاريخ من دول الصف الأول دائمًا، ومن أجل ذلك بدأت الحركة الفرانكفونية تجاهد من أجل بقاء نفوذ الثقافة الفرنسية فى العالم بعد انحلال إمبراطوريتها؛ فقامت عدة مراكز استراتيجية بدراسة سبب هذه المشكلة، ووصلت إلى أن أحد أسبابها هو ضعف اللغة الفرنسية وقلة انتشارها فى العالم بعد هيمنة اللغة الإنجليزية، فقاموا بإنشاء مشاريع طويلة الأجل لتقوية اللغة الفرنسية ونشـرها فى العالم أجمع(٤٠).

أمَّا الرئيس «جاك شيراك» Jacques Chirac فقد دعا إلى إقامة «تحالف» بين الدول التى تعتمد لغات من أصل لاتينى للتصدى بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية، وذلك لدى افتتاحه منتدى حول موضوع «تحديات العولمة».

ودعا شيراك الناطقين بالإيطالية من الاتحاد اللاتينى إلى الانضمام إلى منظمة الفرانكفونية، ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية، والمنظمتين الناطقتين بالإسبانية للدول الأمريكية – الأيبيرية، والقمة الأيبيرية – الأمريكية.

وأضاف أنه «من خلال منظماتنا الخمس تصبح هناك (٧٩) دولة وحكومة من كل القارات تمثل (١ , ٢) مليار رجل وامرأة يريدون الإبقاء على لغاتهم».

ودعا شيراك إلى القيام بتحرُّك فى الأمم المتحدة بالاتفاق بين المنظمات الخمس لإقامة «مشاريع مشتركة».

ودافع «شيراك» Chirac عن مبدأ «تعددية اللغات فى المجتمع الدولى» ودعا شركاءه إلى «الاستثمار بقوة فى شبكات المعلوماتية» مقترحًا إنشاء موقع للثقافات اللاتينية عبر الإنترنت.

وأعرب أخيرًا عن أمله فى أن تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) رسميًّا بـ«حق التعددية الثقافية» من خلال إصدار «إعلان عالمى يكون بمثابة ميثاق تأسيسى»[٤١].

والآن ربما ترون بأنفسكم ما الذى وصل إليه الكيان الفرنسى الذى عمل - وما زال يعمل - على إثبات حضوره كحضارة وقوة عالمية رئيسة، عبر بسط سيطرة اللغة الفرنسية من خلال منظمة الدول الفرانكفونية[٤٢].

ومن المواقف التى تُجسِّد البُعْد القومى للغة لدى الرئيس «شيراك» Chirac انسحابه من مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبى فى بروكسل Bruxelles ، عندما وقف رجل الأعمال الفرنسى «إيرنست أنطوان سيلييه» Ernest Antoine Seillière يلقى كلمة باسم رجال الأعمال الأوروبيين، وفوجئ الرئيس الفرنسى «شيراك» Chirac أن مواطنه «إيرنست» Ernest بدأ بإلقاء الكلمة باللغة الإنجليزية، فقاطعه قائلًا: «لماذا لا تلقى كلمتك بلغتك الأم؟» فأجاب إيرنست Ernest: «لأن الإنجليزية أصبحت لغة الاقتصاد العالمى»، وغضب «شيراك» Chirac وغادر

القاعة مع وزير ماليته «تيرى بريتون» Thierry Breton ووزير خارجيته «فيليب دوست بلازى» Philippe Douste-Blazy. وعندما سأله الصحفيون عن سبب الغضب والانسحاب قال: «لقد صُدِمْت لرؤية فرنسى يُعبِّر عن نفسه بغير اللغة الفرنسية، وقد انسحبت لكى لا أستمع إلى كلمة شخص لا يحترم لغته»(٤٣).

إن هذا الموقف من رئيس دولة يُجسِّد التكامل بين القرار السياسى المستقل والبُعْد اللغوى القومى، ولا يحمل موقف الرئيس الفرنسى كراهية للغة الإنجليزية ولا تعصُّبًا للغته ولكنه يحمل انتماءً وطنيًّا وسيادة سياسية، ألا يدعونا هذا الموقف الوطنى إلى المقارنة بينه وبين كثير من الرؤساء العرب الذين يتسابقون باعتلاء المنابر الدولية والمحلية ولا يُجيدون إلا اللغة الإنجليزية، وإذا تحدَّثوا بالعربية الفصحى ظهر اللحن فى كل مستويات النظام اللغوى، وقد يَفِرُّون من الفصحى إلى العامية التى تعجز عن النهوض بمُقتضيات الخطاب السياسى(٤٤).

- **ألمانيا تُخطِّط لحماية لغتها من الاختراق الأجنبى:**

من المعروف أن الألمان من أكثر الشعوب اعتزازًا بلغتهم، وأنهم يحاربون الكلمات الدخيلة منذ فجر لغتهم؛ ومثال على ذلك ما كان منهم خلال الحروب النابليونية وما بعدها، حيث نفَّذت الإمبراطورية الألمانية عملية تطهير لغوى للكلمات الدخيلة، ولكن بخلاف اللاتينية والفرنسية، لم تكن الألمانية يومًا لغة الدبلوماسية والثقافة، وكانت الحرب العالمية الثانية قد جرَّدت الألمانية من دفاعاتها الثقافية، مما سمح للإنجليزية بالتغلغل فيها دون رادع، ومنذ أن وحِّدت الألمانيتان عام (١٩٩٠م)، سعت مؤسسات وجمعيات ألمانية لمحاربة هذا الغزو الثقافى.

ولدى الحكومة الألمانية قسم للدعاية للغة الألمانية والترويج لاستخدامها، وتُخَصَّـص مبالغ ضخمة (حوالى ٥٠٠ مليون مـارك ألمانى) لهذا الغرض، وفى يونيـو عام (٢٠١٠م) بدأ وزيـر الخارجية الألمانى «جيدو فيسـترفيله» Guido Westerwelle حملـة ترويـج للغة الألمانيـة «كلغة أفكار»، وطلب من الممثِّلـة العليا للسياسـة الخارجية والأمنيـة فى الاتحـاد الأوروبى «كاثرين آشـتون» Catherine Ashton اسـتخدام أشـخاص ناطقيـن بالألمانيـة فـى الخدمات الدبلوماسية.

وضمْن خطة الترويج للغة الألمانية يعمل «بيتر رامسوير» Peter Ramsauer، وزير النقل الألمانى، للتخلُّص من الكلمات المقْتبَسة من الإنجليزية فى مجال عمله، مؤكِّدًا أنه لا يعرف بلدًا آخر فى العالم يُقلِّل من احترام لغته إلى هذا الحد.

من جانب آخر ذكر المركز الإعلامى الألمانى التابع لوزارة الخارجية أنه يوجد حوالى (١٥) مليون شخص يتحدَّثون ويتعلَّمون الألمانية كلغة أجنبية، ولكن حدث تراجع فى عدد مُتعلمى اللغة الألمانية خلال السنوات الأخيرة.

كما أشارت وزيرة الدولة الألمانية «كورنيليا بيبر» Cornelia Pieper إلى أن تثبيت دعائم اللغة الألمانية كلغة أجنبية يتعلق جذريًّا بنجاح ترسيخ مفهوم أن التعدُّد اللغوى قاعدة قيِّمة للتنمية الثقافية والاقتصادية، مؤكِّدة ضرورة أخذ زمام المبادرة على الصعيد الأوروبى أيضًا؛ حيث إن المشـروعات اللغوية «مشـروعات أجيال» وهى بحاجة إلى استثمارات طويلة الأجل.

وأعربت «بيبر» Pieper عن ضرورة التأمين المالى الطويل المدى لعملية دعم اللغة، وذلك من أجل أن تتم مستقبلًا صياغة السياسة الخاصة باللغة بأسلوب المبادأة.

الجدير بالذكر أن هناك مبادرة أطلقها الألمان بعنوان «الألمانية – لغة الأفكار»، وهذا يعد امتدادًا للحملة الناجحة التى كان يطلق عليها اسم «ألمانيا – بلد الأفكار»، وكانت حملة الدعاية هذه قد أُقيمَت من أجل الدعاية لألمانيا بمواكبة بطولة العالم لكرة القدم عام (٢٠٠٦م)[٤٥].

هؤلاء هم الألمان الذين هدموا – قبل عقدين مَضَيا – جدار برلين الشهير، فى ثورة سِلْمِيَّة أعادت الوحدة إلى شطرى بلدهم، وهم يحاولون الآن بناء جدار حديدى من نوع آخر، للحفاظ على هويتهم الثقافية واللغوية من طغيان الغزو الثقافى واللغوى القادم من الولايات المتحدة وبريطانيا مُتخفيًا برداء اللغة الإنجليزية[٤٦].

- **بكين تحظر استخدام الكلمات الإنجليزية:**

أصدرت إدارة النشـر والصحافة فى بكين قرارًا يحظر على الصحف والمجلات ودور النشـر ومواقع الإنترنت استخدام الكلمات الإنجليزية ويجبرها على ترجمتها باللغة الصينية، وعزت السبب إلى الحفاظ على «نقاء» اللغة الصينية، ووفقًا لما ذكرته صحيفة «تشاينا ديلى» نقلًا عن إدارة المطبوعات والنشر، فالاستعمال المتزايد للكلمات والمختـصرات الإنجليزية يضر- إلى حد كبير – بتماسك ونقاء اللغة الصينية المكتوبة والشفهية، وهذه الممارسات تقضى على بيئة لغوية وثقافية سليمة ومتناغمة،

ولها تأثير سلبى على المجتمع، نتيجة لذلك يمنع إدخال عبارات أجنبية مثل كلمات أو مختـصرات إنجليزية فى المنشورات الصينية واستحداث عبارات ليست صينية ولا أجنبية ذات معان غير واضحة، والمؤسسات التى تخالف هذه التوجيهات ستواجه عقوبات إدارية لم تحدد ماهيتها، لكن الإدارة أتاحت إمكانية استعمال عبارات أجنبية، إن اقتضى الأمر، تليها ترجمتها أو معناها باللغة الصينية(٤٧).

- **القانون فى مواجهة الهيمنة الإنجليزية:**

تُعَد كل اللغات، غير الإنجليزية، أهدافًا مرصودة ومعلنة لمروِّجى اللغة الإنجليزية، سواء اللغات القادرة على المنافسة بما تتمتع به فى الوقت الحاضر من مخزون علمى وتقنى وسياسى، كالفرنسية، واليابانية، والصينية، والفارسية وغيرها، أو اللغات التى ينبغى أن تكون قادرة على المنافسة بما يتمتع به ماضيها من مخزون حضارى(٤٨).

ولقد شعرت أمم كثيرة بهذا الخطر الذى يُمثِّله هـذا التغلغل والانتشار للغـة الإنجليزية، لا سيما تلك الدول التى تعتز بحضارتها، وتنظر بريبة لانتشار الثقافة الأمريكية، فلم تستسلم هذه الدول بسهولة للهيمنة الأمريكية على معظم جوانب الحياة؛ حيث لجأ المسؤولون فيها إلى سَن القوانين والتشريعات الحاسمة لحماية اللغة والثقافة فى بلادهم من الهيمنة المفروضة عليهما.

ولعل أكثر ساحات الصـراع اللغوى سخونة ساحة الصـراع اللغوى الإنجليزى الفرنسى، يقول اللغوى الفرنسى «كلود أجيج» :Claude Hagége

«فى الولايات المتحدة لا يمر الدفاع عن الإنجليزية عبر السلطة السياسية، فمن أجل دعم اللغة تقترح المؤسسات الخاصَّة فى أغلب الأوقات على الجامعات الأجنبية إبعاد الفرنسية من التعليم فى جامعاتهم»[٤٩].

وهنا تجدر الإشارة إلى قانون السيدة «كاثرين تاسكا» Catherine Tasca التى كانت وزيرة الثقافة والفرنكوفونية الفرنسية فى الثمانينيات، وسنَّت قانونًا لحماية اللغة الفرنسية يصل إلى حد السجن والغرامة المرتفعة على كل مَنْ يستعمل فى الإعلان أو المراسَلات أو المؤتمرات لغةً أخرى غير اللغة الفرنسية، فى حال ما إذا كان نظير العبارات ذاتها موجودًا فى اللغة الأم.

الجدير بالذكر أنه على الرغم من اعتراضات المعترضين فى مجلس النواب الفرنسى على أن بعض المصطلحات عالمية، وأن تجنُّبها سينعكس سلبيًّا على مُشارَكات العلماء الفرنسيين فى المؤتمرات، إلا أن المجلس لم يأخذ بها، ولذلك يُصِـرُّ الفرنسيون مثلًا على استعمال مصطلحى «سيدا» Sida و«أُردیناتور» Ordinateur بدلًا من «إيدز» AIDS و«كمبيوتر» Computer على الرغم من انتشار هذين الأخيرين عالميًّا.

وفى التسعينيات تولى وزارة الثقافة والإعلام فى الحكومة الاشتراكية الفرنسية السيد «جاك لانج» Jack Lang فلم يكتف بالاحتفاظ بالقانون المسمَّى «قانون تاسكا» Tasca Law، لكن زاد عليه قانون استثناء الإنتاج الثقافى الفرنسى من قائمة المواد التجارية المدْرَجة فى قائمة منظمة التجارة العالمية، وبذلك تجاوز حماية اللغة الفرنسية إلى حماية المجتمع الفرنسى مما سمّاه

صراحة الغزو الثقافى الأمريكى المتمثِّل فى الألعاب الإلكترونية والأغانى والمسلسلات والبرمجيات القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالطبع فإن قرارات كهذه تشحذ أسلحة العداء بين الحلفاء الغربيين، لكنها لا تمنع المناورات؛ فالشريك الأمريكى فى مجال اللغة ومجال الغزو الثقافى لديه ألف حيلة وحيلة للمراوغة والالتفاف على قوانين «تاسكا» Tasca و«جاك لانج» Jack Lang، من ذلك مثلًا التسامح الأمريكى مع المسْتَوْلين من الشباب على الإنتاج الثقافى والفنى الأمريكى من شبكة الإنترنت بلا مقابل، فى حين بدأت وزارة الثقافة الفرنسية عام (٢٠٠٦م) فى التصدى لمستعملى الشبكة العنكبوتية بالقوانين الزجرية الرادعة البالغة حد السجن لسنوات فى حالة الاتجار بالإنتاج الثقافى المسروق من الشبكة[٥٠].

هذه كلها إجراءات وقائية اتخذتها الحكومة الفرنسية لحماية لغتها وتعزيز مشروعها الثقافى. ويجب أن نشير فى هذا السياق إلى أن فرنسا قد وعدت بإلغاء (١٦) مليار فرنك من الديون على دول إفريقية مقابل أن تستمر تلك الدول فى ضمان الدور المتفوِّق للغة الفرنسية فى الحكومة والتعليم. ومما يجدر ذكره أن فى فرنسا (٥٢) جمعية لحماية اللغة الفرنسية، وبإشراف الرئاسة الفرنسية، كما قامت مثل هذه الحملات لحماية اللغة القومية فى كل من أندونيسيا وسنغافورة[٥١].

وإذا ذهبنا إلى روسيا سنجد أنه نتيجة غزو اللغة الإنجليزية للغة الروسية، أصدر مجلس الدوما عام (٢٠٠٢م)، قرارًا يجعل إتقان اللغة الروسية شرطًا للمواطنة، ويعتبر اللغة الروسية هى اللغة الرسمية للدولة، ويمنع

استخدام الكلمات المستعارة من اللغة الإنجليزية، إذا كانت المقابِلات الروسية متوافرة[٥٢].

ومن هذا القبيل أيضًا ما قامت به إيران من منع استخدام المفردات والمصطلحات غير الفارسية فى الإذاعة والتليفزيون، بعد أن زوَّدت العاملين فى حقل الإعلام بالمصطلحات الفارسية البديلة عن تلك الأجنبية، وهذا موقف آخر يقتضى الربط بين الانتماء اللغوى والثِّقَل السياسى[٥٣].

وكذلك نجد أُمَّة أخرى مثل الصين ينتابها القلق من هذا الانتشار الواسع، أو العولمة للغة الإنجليزية فى بلادهم من خلال الأفلام الأمريكية التى يحرص الشباب على متابعتها ومن ثَمَّ التأثُّر بها، مما دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أول قانون للغة من أجل الوقوف أمام الخطر الذى يُهَدِّد اللغة الصينية، ويُلْزِم القانون - الذى بدأ العمل به اعتبارًا من مطلع شهر يناير (٢٠٠١م) - وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة بضرورة الالتزام بالأسس المتعارَف عليها فى اللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسَّطة فى الصين الأم، بعيدًا عن الكتابة المعقَّدة المتَّبعة فى المسْتَعْمَرة البريطانية السابقة هونج كونج[٥٤].

كل هذه الأمثلة والنماذج الحيَّة تؤكِّد حرص الأُمَم القوية المعتزَّة بهوياتها على حماية لغاتها والدفاع عنها ضد عوامل الاختراق أو الإضعاف أو التهميش أو الهدم .. لقد فطنت هذه الأُمَم إلى أن اللغة هى أغلى ما تملكه أى أُمَّة للحفاظ على وجودها؛ فهى وعاء الثقافة والهوية والأصالة.

■ **نكون أو لا نكون!**

فى إطار صراع الحضارات فى ظل العولمة والأزمة التى تواجه كيانات عديدة فى المجتمع البشـرى: من الضعف والتهميش والإقصاء، أمام الكيانات الأقوى، تحاول تلك الكيانات دعم هويتها وإبراز ملامحها؛ وفى هذا السياق قفزت على السطح أسئلة مستحقة:

من أنا؟ ومن الآخر؟ وما موقعى من الآخر؟ وأين هو منى؟ وماذا أضيف إلى الآخر؟ وما قيمتى المضافَة فى التاريخ البشري؟ وهل ما زلت أملك القدرة على العطاء، أم جَفَّ المعين؟! وهل أملك القدرة على البقاء أم سأكون فى سلَّة التابعين؟! هل نحن - بكل أسف - نسعى بكامل إرادتنا إلى تدمير لغتنا وثقافتنا؟

فبينما يسعى اليهود إلى إحياء اللغة العبرية الحديثة من أجل جمع شتاتهم وبناء دولتهم، وتجاهد الحركة الفرانكوفونية فى سبيل بقاء نفوذ الثقافة الفرنسية فى العالم بعد انحلال إمبراطوريتها السياسية، نُفرِّط نحن فى لغتنا القومية، وندير ظهورنا للغتنا، نتنكَّر لها فى حديثنا، وفى إعلاناتنا، على الرغم من أن فيها ذكرنا وأصالتنا.

إن العربية تمتلك - أكثر من غيرها من اللغات - مُقوِّمات البقاء والتطور والازدهار؛ لأنها لغة مُقدَّسة فى نظر أبنائها، وقداستها مُسْتمَدة من ارتباطها بكلام الله ﷻ - القرآن الكريم - وهذه القداسة تجعل منها جزءًا من الدين، والدين هو أهم مُقوِّمات الهوية وأقواها حضورًا عند الإنسان فى كل زمان ومكان، فلماذا نرضى للغة القرآن هذا الوضع الذى آلت إليه؟

وفى مقابل عناصر القوة التى تمتلكها العربية، هناك عناصر ضعف تحيط بها لابد من مواجهتها، وهذه العناصر لا علاقة لها مباشرة بالعربية نفسها، بل هى مرتبطة بأصحابها من ناحية، وبالظروف الخارجية من ناحية أخرى. ويَكْمُن سر هذا الضعف الذى أصاب العربية فى الهزيمة النفسية والحضارية للأُمَّة العربية؛ فإن أى لغة لا يمكن أن تصمد فى وجه أى تحدٍّ، ولن يكون لها حضور إذا كان أصحابُها مهزومين حضاريًّا، وعلى أصحاب اللُّغة أن يبدؤوا بالنهوض من عثرتهم، والإيمان بقدراتهم ورسالتهم الحضارية، وأول علامة من علامات هذا النهوض الاعتزاز بلغتهم، والحرص على إحيائها وبعثها من مرقدها فى مختلَف المجالات.

يقول ابن خلدون: «المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب، فى شعاره وزيِّه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده». وها نحن نرى مظاهر الهزيمة النفسية والتبعية الذهنية للآخر فى أخلاقنا ولغتنا وسائر أحوالنا، ومن مظاهر الانهزامية فى اللغة: تعميم اللغات الأجنبية فى التعليم والبحث العلمى، كما أن النُّخَب والمثقفين والسَّاسَة وغيرهم ممَّن يوجِّهون الرأى العام ويؤثرون فيه، كل هؤلاء غائبون أو مغيَّبون عن قضية العربية، حتى أسفر ذلك الغياب عن نتائج كارثية على العربية؛ إلى أن تطاول عليها العمر، وطالتها يدُ الإهمال والتحقير، وتراجعت أمام طوفان لغات الحضارة، وصار يُنظَر إليها نظرة دونية؛ سواء فى مؤسسات البحث العلمى أو التعليم بمختلف مراحله، أو الإعلام بمُخْتلَف صوره.

وإذا كان هذا غيابًا للوعى اللغوى، فإنه جزء من حالة الغيبوبة الشاملة، على المستوى الحضارى، والعلمى، والسياسى، والثقافى، والاقتصادى.

إن لغتنا أعزّ من أن نضيِّعها؛ فهى لغة كريمة نزل بها أفضل كتاب، وهى الوعاء لعلوم الدين، وذخائر التراث، ولا تتأتى معرفة القرآن والسنة إلَّا بها، ولا يتم فهم علومهما ومقاصدهما بدونها؛ فهى أداة علم الشـريعة ومفتاح الفقه فى الدين، وإذا أضاعت أُمَّةٌ لسانها فقد أضاعت تاريخها وحضارتها، وأضاعت حاضرها ومستقبلها، ذلك مصيرنا إذا لم ندرك المأزق الحضارى الذى تعانيه لغتنا وهويتنا وسيادة أُمَّتنا. فأين نحن فى مُعْتَرَك الحضارة؟ وأين موقعنا وموقع لغتنا على خريطة العالم؟!

- **ما معنى كون العربية مُهدَّدة بالانقراض وهى لغة القرآن الكريم؟**

حقًّا إن ارتباط العربية بالقرآن الكريم له أثر بالغ فى حفظها وحمايتها من الانقراض، لكنَّ بقاءها – حال ضعف العرب وتنكُّرهم لها – يبقى فى حدود اللغة الدينية المتمثِّلة فى أداء العبادات كالصلاة، والدعاء، والحج، وخُطَب الجمعة، وتفسير القرآن، والحديث النبوى، والفقه... إلخ، لكنها تختفى وتنقرض الآن شيئًا فشيئًا عن الاقتصاد والاستثمار وسوق العمل ومجال العلوم (الطب والهندسة والفلك... إلخ) والتقنية الحديثة، والواقع يشهد زُهْد أهلها فيها فى هذه المجالات وغيرها.

والنظرة القاصرة السلبية لأهمية العربية التى تنصبُّ على الأهمية الدينية– لصلتها بالقرآن والدين – أمر يَحْرِم العربية من أن تكون شريكًا فى مجالات الحياة العملية، والعلمية؛ فاللغة العربية – فضلًا عن أهميتها الدينية – لها أهمية اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية.

فانتشار العربية يمتد معه زيادة فرص العمل والتجارة، وتبادل المنافع مع الشعوب الأخرى، والتعريف بالرصيد الثقافى البديع للعربية، تلك

اللغة الخالدة المتفردة فى البقاء منذ أكثر من سبعة عشر قرنًا من الزمان، يتيح الفرصة للسياحة والمهرجانات الثقافية ليطَّلع الناس على سِرِّ العظمة وأسباب الخلود.

ونشر العربية ودعمها والاهتمام بها بين الشعوب العربية والإسلامية يساعد على خَلْقِ مَوْقف موحَّد تجاه القضايا الكبرى فى الأُمَم المتحدة، بما فيه صالح الأُمَّة العربية والإسلامية، وهذه مكاسب سياسية لا يُستهان بها يمكن أن تُحقِّقها العربية.

والعربية لها أهمية اجتماعية فى التواصل الاجتماعى الذى يضمن بقاء حياة اللغة بين أهلها؛ مما يُعزِّز تماسك الأُمَّة ووحدتها[٥٥].

(٤) اقتصـــاد قـوى (قـــرار اقتصـادى داعـم)

« إذا أردتُ أن أبيعـــك بضاعتـى يجـب أن أتحـدَّث لغتـــك وإذا أردتَ أن تبيعنـى بضاعتـك فعليك أن تتحدَّث بالألمانيـة ».

ويلى برانت
المستشار الألمانى الأسبق

يتميَّز عالَم اليوم بالهوَّة المطَّردة الاتساع بين البلدان النامية والبلدان المتقدِّمة فى التطوُّر الاجتماعى، والاقتصادى، والعلمى، والتكنولوجى، وفى الوقت نفسه فإن النمو والتوسُّع الجغرافى للمشـروعات المتعدِّدة القومية – مع الارتباط بالوسائل الحديثة للنقل والاتصال – قد أدَّيا إلى علاقات اقتصادية عالمية مُتكامِلة على نحوٍ أقوى، وحتى الجماعات العرقية الصغيرة التى تعيش فى مناطق نائية تنجذب بشكل متزايد إلى العملية الاقتصادية، وتُقِيم بالضرورة علاقات اتصال بالعالم الخارجى، وبهذا التفاعل مع المجتمعات الأكثر تقدُّمًا يتولَّد الضغط للتكيُّف، وما دامت هناك لغات صغيرة كثيرة تعانى من نواحى قصور شديد فيما يتصل بالمتطلَّبات الوظيفية للاتصال الحديث، فإنها لذلك ذات قيمة محدودة لهؤلاء الذين يودون المشاركة فى الحياة الحديثة، وسوف يَقِل استعمال كثير منها شيئًا فشيئًا من طرف متحدِّثيها، أو تختفى جملةً من ذخيرتهم الاتصالية.

وما يُحْدِث التغيُّرات فى الوقت الحاضر فى الخريطة العالمية للغات أكثر من أى شىء آخر هو فائدة اللغات اقتصاديًّا[٥٦].

■ **اللغة سِلْعَة:**

اللغة مثلها مثل السِّلْعَة؛ فهى ذات قيمة تبادلية تتزايد مبيعاتها فى ظل الطلب المتنامى عليها، غير أن لها ميزة تختلف بها عن باقى السِّلع، وهى أن مخزونها أبدًا لا ينفد، وتكشف الطبيعة السلعية للغات عن نفسها بشكلٍ أوضح فى مجال تعلُّم اللغة الأجنبية وتدريسها والذى يمكن وصفه بالسُّوق، وهنا يمكن التمييز بين سوق محلية وسوق إقليمية وسوق وطنية، وكذلك سوق عالمية.

■ **لمن تكون القيمة؟**

يَخْضَع تحديد القيمة المضافة للغة فى فترة معينة إلى عوامل عِدَّة: سياسية وعلمية وثقافية، ولكن تأتى على رأسها العوامل الاقتصادية؛ فاللغة الصينية – مثلًا – لغة جماعة لغوية ضخمة ذات تراث ثقافى عميق، ولغة بلد ذى أهمية سياسية كبيرة فى عالم اليوم، وهى تتمتع ـ إضافة لهذا ـ بوَضْعية رسمية فى عدد من البلاد الأخرى والأقاليم التابعة، وعلى الرغم من هذه المزايا لا تحظى بطلب كبير عليها على مستوى العالم بوصفها لغة أجنبية، لأن إمكان استغلالها الاقتصادى محدود.

أمَّا فى المقابل فإن اللغة اليابانية قد ارتفعت قيمتها المضافة فى السوق العالمية للغات الأجنبية خلال العقدين الماضيين، وهو تطوُّر لافت للنظر يكاد يُشْبِه ارتفاع شأن الينِّ اليابانى فى سوق العُمْلات، ومع أن القيمة الثقافية للغة اليابانية لم تستطع – بشكل واضح ـ أن تتغيَّر كثيرًا خلال هذه الحقبة، إلا أن النمو المضاعَف أربع مرات لعدد دارسى اليابانية – بوصفها لغة أجنبية

خلال الثمانينيات – يعكس حقيقة أن اليابان قد أصبحت شريكًا تجاريًّا مهمًّا لبلاد كثيرة على مستوى كل القارات.

إذًا، الخصائص الكامنة أساسًا فى اللغة ليست هى المسؤولة عن انتشارها فى العالم، وإنما قيمتها الاستعمالية فى السوق العالمية؛ فاللغة بوصفها سلعة تزداد قيمتها مع كل مُتحدث يكتسبها أو تكتسبه، وهذا يُشْبِه المخزون السلعى الذى يزداد سعره بما يكتسبه من قيمة، تلك القيمة التى تُكْتَسب بدورها من زيادة الطلب عليه، وبالمثل فإنه كلما تعلَّم الناس لغة ما أصبحت مفيدة، وكلما كانت اللغة مفيدة رغب الناس فى تعلُّمها[٥٧] فالعلاقة بينهما جدلية بحيث يؤثر كلاهما فى الآخر.

- **سوق الإنجليزية وحربٌ لغوية:**

فى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادى، نشبت فى الولايات المتحدة الأمريكية حرب لغوية أُطْلِقَ عليها «حرب المعاجم»، وفيها استَعَرت حِدَّة المنافسة التجارية فى مجال اللغة، وأسفرت فى النهاية عن تأكيد استقلال الجمهورية الفتيَّة «أمريكا»، والحفاظ على هويتها من التأثر اللامحدود ببريطانيا العظمى!

وقد جَرَت هذه المنافسة التجارية بين اثنين من روَّاد صناعة المعجم الحديث للغة الإنجليزية؛ أحدهما: «وورسِسْتر» Worcester الذى كان ينتصر للنموذج الإنجليزى المحافظ، ومن ثَمَّ للهيمنة الاقتصادية اللغوية لبريطانيا العظمى، والآخر «وِبستر» Webster الذى أعلن أنه «بوصفنا أمة مستقلة فإن كرامتنا تدعونا لأنْ يكون لنا نظامنا الخاص فى اللغة، وفى الحكومة أيضًا»،

ورأى أن الممارسة العامَّة للأُمَّة الأمريكية هى التى يتعيَّن أن تُحدِّد وحدها اللغة الأمريكية الموحَّدة، وقدَّم مذهبًا سياسيًّا للديمقراطية اللغوية،

لم يقصد به فقط الاعتراض على سيطرة اللغة الإنجليزية المدرسية، بل قصد به أيضًا ترسيخ اللهجة الإنجليزية الأمريكية بوصفها اللغة القائدة للمستقبل، ثم بنى معجمه الذى راج باسمه حتى أصبح هذا الاسم مرادفًا للمعجم فى الولايات المتحدة، شأنه شأن «روبير» Robert فى فرنسا، و«دودن» Duden فى ألمانيا، ولا يزال هذا المعجم يتنافس فى السيطرة على سوق اللغة الإنجليزية حتى اليوم.

وهكذا شكَّلت المنافسة التجارية عاملًا حاسمًا فى استتباب اللغة الإنجليزية الأمريكية، وترسيخ أقدامها ونشرها حتى كادت تَطْغَى على اللهجات التقليدية للغة الإنجليزية[٥٨].

■ **العلاقة بين اللغة والاقتصاد:**

اللغة: ركيزة محورية بالنسبة للنشاط الاقتصادى، وعنصر أساسى من عناصر الاتصال الذى يعتمد عليه النشاط الاقتصادى اعتمادًا كبيرًا.

الاقتصاد:

- له دور مهم فى انتشار اللغة والإقبال عليها.
- يؤدِّى التوسُّع فى النشاط الاقتصادى لأُمَّة من الأمم إلى تمكين لغتها فى بيئات جديدة لم يكن لأهلها عهد بها.

مثالان:

- اللغة العربية قديمًا وحديثًا.
- اللغة الإنجليزية قديمًا وحديثًا.

أولًا: اللغة العربية:

قديمًا: ازدهرت العربية فى مناطق العالَم المختلفة، شرقًا وغربًا، عبر المنافِذ التجارية، جنبًا إلى جَنْبِ بضائع العرب ومنتجاتهم؛ فلقد نشأت العربية وترعرعت بين أحضان التجارة، وهى الحرفة الرئيسة - بعد الرعى - التى كان العرب يلتمسون بها أسباب الرزق، وكان لها أثر بالغ فى مضاعفة أغراض اللغة العربية وإثرائها، وتنمية حصيلة ثروتها اللفظية والدلالية، من خلال التعاملات التجارية التى كانت تجرى؛ سواء بين القبائل فى أرجاء الجزيرة العربية، أو عن طريق احتكاكهم بالشعوب المجاورة لهم فى قوافـــل رحلاتهم التجارية الموسمية، ومنها رحلتا الشتاء والصيف. ومما يدل على توسُّع العرب فى المسائل الاقتصادية، كثرة ألفاظ اللغة العربية الدالة على المال، فإن منها بضعة وعشرين اسمًا لكل منها معنى من المعانى الاقتصادية التى ترجع إلى الاستثمار وغيره؛ منها: التِّلاد (المـال الموروث)، والرِّكاز (المال المدفون)، والضمار (المال الذى لا يرجى)، والطارف (المال المستحدث)، والتالد (المال القديم)، ونحو ذلك من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة[٥٩].

كما كانت للعرب أسواق يعقدونها، لا بغرض التجارة وتبايع السلـع وحدهـا، بل كانت محفلًا تُعْرَض فيه أيضًا فنـون القول، على كل شكلٍ ولون، وتُطرَح القضايا والموضوعات الأدبية واللغوية للتناقش والتباحث، على غِرار ما يَحْدُث فى بعض المنتديات والصالونات الثقافية المعاصرة، ويتسابق أهل اللغة فى عرض حصيلتهم اللغوية والبلاغية - شعرًا ونثرًا -

على النُّقاد والجمهور، وكانت هذه الأسواق تَسْتَغْرق أشهر العام بصورة دورية ومتتابعة؛ فيُعْقَد سوق «دومة الجندل» فى ربيع الأول، وسوق «هجر» فى ربيع الآخر، وسوق «عمان» فى جمادى الأولى، وسوق «المشفر» فى جمادى الآخرة، وسوق «صحار» فى رجب، وسوق «الشحر» فى شعبان، وسوق «صنعاء» فى النصف الثانى من رمضان، وسوق «عكاظ» - وكانت أكبر أسواق العرب وأجلها شأنًا - فى ذى القعدة، وسوقا «ذى المجاز، ومجنة» قرب أيام موسم الحج، فى ذى الحجة، وسوق «حجر» فى المحرم[٦٠].

ولطالما كانت هذه الأسواق، وغيرها من أوجه النشاط التجارى والاقتصادى الذى شهدته الحياة العربية فى مختلف البقاع، وعلى مرِّ العصور، قد اسْتُخْدِمَت فيها اللغة العربية على أنها الوسيلة الأساسية فى ترويج البضائع والسلع، أى من خلال عمليات البيع والشراء[٦١]. وهكذا ارتفعت قيمتها الاستعمالية فى الأسواق التجارية.

حديثًا: تترنَّح العربية اليوم تحت وطأة اقتصاد ضعيف، لا يُقيم لها فى حساباته وزنًا، أو يقدِّم لها الدَّعْم الواجب فى نشاطاته؛ فالاستثمار يَحْدُث فى شتى المجالات ما عدا اللغة، على الرغم من أن التطوُّر السريع الذى تَشْهَده تقنية المعلومات، وأدوات الاتصال يتطلَّب إعادة النظر إلى منظومة اللغة، باعتبارها من أهم أدوات الإنتاج فى هذا المجال، لكن للأسف لم تحظ معالجة اللغة العربية بالاهتمام الكافى الذى يتناسب مع تراثها وإمكاناتها.

إن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية تتأثَّر باقتصاديات المجتمعات المتحدِّثة بها، ويمكن أن تكون اللغة العربية شأنها شأن اللغات الحضارية من عوامل

تحسين الاقتصاد من خلال ما يُسمَّى بالتصدير اللغوى للبرامج والتقنيات التى تعالج منظومتها. ويمكن القول: إن توجيه رأس المال نحو الاستثمار فى مشاريع معالجة اللغة العربية له عائد كبير للمستثمر نفسه وللغة أيضًا، وذلك للأسباب الآتية:

- قابلية هذه الاستثمارات للنمو، نظرًا لاتساع سوق اللغة العربية فى المنطقة العربية، وتزايد الطلب على برامج المعالجة اللغوية.
- تفاعل الثقافة العربية والإسلامية مع ثقافات العالم المختلفة عبر شبكة الإنترنت، وتنامى رغبة المستخدم العربى فى إثبات ذاته من خلال لغته العالمية، وإقبال غير العرب على برامج تعلُّمها.
- قدرة اللغة العربية ومرونتها، (وهى السلعة فى هذا الوضع) على استيعاب التقنيات المختلفة، لتعدُّد خصائصها، وتفرُّدها؛ مما يجعلها حقلًا خصبًا للدراسات التنظيرية اللغوية بصفة عامة، فيضمن رواجًا لها فى حركة البيع والشراء عند الطلب، وتناميًا فى وسائل العرض[٦٢].

فهل من مُبادِر؟!!

ثانيًا: اللغة الإنجليزية:

قديمًا: لقد كان العامل الاقتصادى السبب الرئيس فى انتشار اللغة الإنجليزية فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت التنمية الاقتصادية نَشِطَة على المستوى العالمى، تساندها تكنولوجيا الاتصالات الجديدة؛ مثل التليفون، والتلغراف، والراديو، وعزَّزها ظهور المنظَّمات الكبيرة المتعدِّدة الجنسيات.

رحلة الإنجليزية وتوسُّعها منذ القرن التاسع عشر:

مع بداية القرن التاسع عشر، كانت بريطانيا رائدة التجارة والصناعة فى العالم، وبلغ عدد سكانها عام (١٧٠٠م) خمسة ملايين نسمة، وتضاعف هذا العدد عام (١٨٠٠م). وخلال هذا القرن لم تتمتع أية دولة فى العالم بمثل نموها الاقتصادى؛ فقد تركَّز أغلب اختراعات الثورة الصناعية فى بريطانيا مثل: تسخير الفحم الحجرى والماء والبخار لتشغيل الآلات الضخمة، وتطوير مواد وطرق وآلات جديدة فى كثير من الصناعات، وظهور وسائل مواصلات جديدة، وكانت النتائج اللغوية لهذه الإنجازات بعيدة المدى؛ فقد كان للمصطلحات العِلْمِيَّة الخاصَّة بهذه الإنجازات العِلْمِيَّة والتكنولوجية أثر مباشر فى اللغة، حيث أُضيفَت آلاف الكلمات إلى اللغة الإنجليزية، وأصبحت بريطانيا مثارًا لاستفسارات عدة من كثير من الدول فى القارات المختلفة. وانْتُدِبَ كثير من العُمال إلى المصانع البريطانية، وأُرْسِلَ كثير من البريطانيين إلى الخارج لتدريس الطرق الحديثة فى الإنتاج الصناعى، واجتذبت فرص العمل فى بريطانيا عددًا ليس بالقليل من المستثمرين من جميع أنحاء القارة، الذين أصبحوا فيما بعد روَّادًا فى مجالهم.

وحدثت التطوُّرات ذاتها فى الولايات المتحدة التى حلَّت محل بريطانيا، وأصبح لها مكان الصدارة فى النمو الاقتصادى فى أواخر القرن التاسع عشـر، وأصبحت الولايات المتحدة مغناطيسًا يجتذب العلماء الأوروبيين، فإذا وضعنا الأبحاث البريطانية والأمريكية معًا لوجدنا أن نصف الإنتاج العلمى والتكنولوجى المؤثر فى الفترة بين عامى (١٧٥٠م) - (١٩٠٠م)

قد كُتِبَ باللغة الإنجليزية، وعمل نحو (٤٥٪) من الناس فى بيئة تغلب عليها اللغة الإنجليزية، إضافة إلى عدد آخر كان يتعاون مع علماء ناطقين باللغة الإنجليزية، ومع الأثر الكبير الذى حققته هذه الاكتشافات فى أمريكا، ازدادت المادة العلمية المكتوبة باللغة الإنجليزية زيادة ملحوظة.

وساعد التطوُّر فى وسائل المواصلات الذى حدث فى النصف الأول من القرن التاسع عشـر فى الوصول إلى المعرفة، كما ساهم التطوُّر فى وسائل المواصلات – مثل السفن البخارية والقطارات– فى التقريب بين الناس. وساهم التطور فى وسائل الاتصال مثل التلغراف والتليفون فى جَعْل التواصل بين الناس فوريًّا. ففى عام (١٨١٥م)، كانت أخبار معركة «واترلو» Waterloo تصل لندن خلال أربعة أيام، أما فى عام (١٩١٥م) فكانت أخبار حملة «جاليبولى» Gallipoli فى «الدردنيل» Dardanelles تصل فى غضون ساعة، كما ساهمت وسائل المواصلات السـريعة فى توفير منتجات الثورة الصناعية، فقد كانت طرق الإنتاج – الواسعة النطاق – الجديدة بحاجة إلى طرق جديدة فى المواصلات؛ فتوزيع الصحف على نطاق واسع لم يكن ليتحقَّق دون نظام للسكك الحديدية وشبكة من الطرق تنقل المعِدَّات الثقيلة. وكان هناك عامل آخر هو اكتشاف مصادر جديدة للطاقة، فقد حُفِرَ أول بئر بترول فى «بنسلفانيا» Pennsylvania عام (١٨٥٩م)، وكانت شركة «ستاندارد» Standard للزيت تسيطر على (٩٠٪) من النفط فى الولايات المتحدة. ومن الإنجازات إمبراطورية الصحافة التى أنشأها «وِلْيَم راندولف هارست» William Randolf Hearst. إضافة إلى إمبراطورية الصناعة والبنوك

والمواصلات التى أنشاها «جون بيربونت مورجان» John Pierpont Morgan. وأصبح مصرفه أحد أكثر المؤسسات المالية فى العالم. وشهد أول القرن التاسع عشـر نموًّا سريعًا لأنظمة البنوك الدولية خاصَّة فى بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة. وكانت الدول الأقل غنى فى العالم تريد اجتذاب الاستثمارات الأجنبية. وفى عام (١٩١٤م)، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تستثمران أكثر من أربعة آلاف مليون جنيه إسترلينى فى الخارج، وجلبت الإمبريالية الاقتصادية أبعادًا جديدة للقوة اللغوية. وأصبح الوصول إلى المعرفة هو الوصول إلى معرفة كيفية الحصول على الدعم المالى.

لقد كانت رحلة اللغة الإنجليزية خلال هذه الفترة هى رحلة توسُّع وتنوّع؛ حيث شهدت هذه الحقبة اكتشافًا تلو اكتشاف، يتطلَّب استخدام اللغة كوسيلة وحيدة أو وسيلة رئيسة فى التعبير، وظهرت تطوُّرات كثيرة فى الوقت نفسه هيَّأت الجو للغة الإنجليزية لتكون الاختيار الطبيعى للتقدُّم.

حديثًا: إن المكانة التى تتمتع بها اللغة الإنجليزية اليوم ناجمة عن ثلاثة عوامل:

الأول: هو التوسُّع فى القوة الاستعمارية البريطانية التى بلغت أوجها مع نهاية القرن التاسع عشـر، وظهور الولايات المتحدة فى ثوب القوة الاقتصادية الأولى فى القرن العشرين.

الثانى: هو الذى يُفسِّر لنا سِرَّ بقاء اللغة الإنجليزية لغة عالمية فى الوقت الحاضر؛ ففى الولايات المتحدة يوجد (٧٠٪) من الناطقين باللغة الإنجليزية (كلغة أم). إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية والسياسية

التى تجعل الطريق الذى ستسير فيه اللغة الإنجليزية فى المستقبل بيد الولايات المتحدة.

الثالث: القوة العلمية لأهل اللغة الإنجليزية؛ حيث لهم السيادة والمقدمة فى الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة ... إلخ.

ويمكن تمثيل الوضع الحالى للغة الإنجليزية فى العالم كالآتى:

- بمعدل ٣٢٠ إلى ٣٨٩ مليون شخص يستخدمون اللغة الإنجليزية كلغة أم فى دول مثل الولايات المتحدة، وبريطانيا، وكندا، ونيوزيلاندا، وأستراليا.
- بمعدل ٣٠٠ إلى ٥٠٠ مليون يستخدمون اللغة الإنجليزية كلغة ثانية فى بيئات متعددة اللغات، وذلك فى دول مثل سنغافورة، والهند، وملاوى، إضافة إلى خمسين دولة أخرى، واللغة الإنجليزية هنا هى لغة مؤسسات الدولة الرئيسة.
- بمعدل ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ مليون يعترفون بأهمية اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، على الرغم من أن بلادهم لم تكن محتلة من قِبَل أية دولة ناطقة باللغة الإنجليزية؛ مثل روسيا، والصين، واليابان، واليونان، وبولندا. ومعلوم أن عدد هذه الدول فى ازدياد؛ حيث تدرس اللغة الإنجليزية فى هذه الدول كلغة أجنبية. وما يدعو للانبهار ليس عدد المستخدمين للغة الإنجليزية، بقدر ما هو سرعة انتشارها من الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين[٦٣].

وتبقى الحقيقة المؤكَّدة أن الإنجليزية ما زالت تتربَّع على عرش اللغات الأكثر مبيعًا فى العالم؛ نظرًا لقيمتها الاستعمالية الكبرى فى السوق العالمية، وسيطرتها على وسائل التقنية الحديثة وبرمجياتها، ويُمثِّل النشاط الاقتصادى

فى هذا المجال عاملًا من أهم عوامل انتشارها حتى أضحت مصائر اللغات (والشعوب أيضًا) رهنًا باقتصادياتها[٦٤].

قوة الاقتصاد ومستقبل الإنجليزية:

يتناول «فلوريان كولماس» Florian Coulmas اللغة من منظور اقتصادى خالص؛ حيث يربط قوة اللغة وانتشارها بالعوامل الاقتصادية ربطًا سببيًّا؛ إذ يقول فى مستقبل الإنجليزية:

«ليست هناك مخاطرة كبيرة فى التنبُّؤ بأن الأجيال القادمة سوف تَبْقَى الإنجليزية لها هى اللغة الأفضل تكيُّفًا والأوسع انتشارًا فى العالم. والأسباب الرئيسة وراء هذا هى أن مستوى تفاضلها العالى يتيح لها أن تعزِّز اقتصادًا عالميًّا أكثر تكاملًا يستحق لأول مرة أن يُطْلَق عليه هذا الاسم، بينما تصبح، فى الوقت نفسه، اللغة الأكثر تفاضلًا نتيجة لانتشارها الهائل عبر العالم»[٦٥].

ويُبيِّن «لينين» Lenin صلة اللغة بتشكيل الكيان الواحد للمجتمع عن طريق إسهامها فى إيجاد السوق، وتمكين الأُمَّة من عمليات البيع والشراء والأخذ والعطاء، قائلًا:

«اللغة هى الأداة الأساسية للتعامل الإنسانى، ووحدة اللغة وتطوُّرها غير المحدود، هو أحد الظروف الأكثر أهمية من أجل تعامل تجارى حُر بالفعل، وواسع النطاق، على المستوى الذى تتطلَّبه الرأسمالية الحديثة، ومن أجل التجميع الحرّ والعريض لكل السكان، من مختلف الطبقات. وأخيرًا من أجل إقامة ارتباط وثيق بين السوق وكل مالِك، كبيرًا كان أو صغيرًا ، بائعًا أو مشتريًا»[٦٦].

- **النتيجـــــــة:**
- كلما نشط اقتصاد أُمَّة من الأُمَم، زاد انتشارها والإقبال عليها.
- امتلاك اللغة يعنى امتلاك النقود.
- قيمة اللغة تتناسب طردًا مع ما يلى[٦٧]:

(١) عدد مُتكلِّميها لغةً أولى.

(٢) عدد مُتكلِّميها لغةً ثانية، ومن ثَم الطلب العالمى عليها.

(٣) محتوى اللغة وصلاحيتها وسيلةَ تواصلٍ للإنتاج.

(٤) سياسة مُتكلِّميها تجاهها وثقافتهم فى تمثُّلها والتعامل معها.

(٥) كمية الاستثمار فيها.

(٦) القوة الاقتصادية لمتكلِّميها.

(٧) القوة العلمية لمتكلِّميها.

(٨) القوة السياسية لمتكلِّميها.

(٥) وجود قوىٌّ فى النظام التعليمى (قرار علمى وسياسى واقتصادى)

«إن التعليم باللغات الأخرى ينقل بعض الأفراد إلى العِلْم، ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العِلْم إلى الأُمَّة».

إن تحقيق الذاتية الثقافية وتحديد الهوية الثقافية يتوقَّف على سيادة اللغة فى مجالات التربية والتعليم والبحث العلمى عمومًا، بدءًا من التعليم الأساسى ومرورًا بالثانوى، وانتهاء بالجامعات ومراكز البحث العلمى، فعزل اللغة عن الاستعمال قتلٌ لها، والاستهانة بها وَأْدٌ لها، وإمعان فى سياسة التقصير إزاءها(٦٨).

ولا ريب أن الصراع اللغوى ينشأ من تجاور أو معايشة لغتين واحتكاكهما ببعضهما، سواء أكانت اللغتان لأُمَّتين مختلفتين أم لأُمَّة واحدة. ولكن هناك بعض الشعوب التى تفرض على نفسها صراعًا لغويًّا عندما تَتَّخذ لغة أخرى فى بعض شؤونها الحيوية كإدماج تلك اللغة فى المناهج التربوية فى المراحل الأولى من التعليم، أو تدريس بعض العلوم، خاصة العلمية التطبيقية منها، كالطب والهندسة ونحوهما، فى المعاهد أو الجامعات شأن بعض البلاد العربية مثلًا، وقد كان بإمكان هذه الشعوب دفع هذا الصراع لو استخدمت لغتها الأصلية فى هذه المعاهد أو تلك المصالح الحيوية.

وفى هذا الإطار يشكّل الإعلان العالمى للحقوق اللغوية وثيقة مهمة، حيث إنه اتَّسَم بتوسُّعه فى تحديد الحقوق اللغوية والمجالات التى تنطبق

عليها، وأكد أن أفضل وسيلة للحفاظ على لغة ما وضمان حقوق مستعمليها، يتمثَّل فى التوفُّر على حدود آمنة، واعتماد تلك اللغة وسيلة فى التعليم، ومادة للتعلُّم ضمن البرامج التربوية. إن ارتباط بقاء اللغة بالتعليم ودورها فى نجاحه أو فشله أمر أساسى. واستعمال لغة غير اللغة الأم فى التعليم قد يكون سببًا من أسباب فشل المنظومة التعليمية وتجويفها، وانعدام فاعليتها فى الإسهام فى التنمية(٦٩).

وقد أدركت الأُمَم - على اختلاف أصولها وأقاليمها - هذا المعنى الخاص للغة، والدور الخطير الذى تقوم به فى حفظ الهوية الذاتية للأُمَّة، ولا سيما فى أجواء الواقع الثقافى العالمى المعاصر، والصراع الذى فرضته العولمة بين الثقافات واللغات. وهذا يحمِّل كلَّ أُمَّة مسؤولية المحافظة على هويتها وخصوصيتها، مما دفع الدول - ولا سيما المتقدِّمة منها - نحو اتخاذ التدابير الكفيلة بالمحافظة على هويتها المميِّزة لها من الذوبان.

وقد حظيت اللغات القومية فى هذه الدول بالنصيب الأوفر من الاهتمام والرعاية، ولا سيما لغة التربية والتعليم؛ فقد كانت قرارات الدول المتقدِّمة حاسمة وقوية فى وجوب التعليم باللغة القومية لجميع العلوم، وفى جميع المراحل التعليمية، وبخاصَّة المراحل الأولى من التعليم؛ **فقد أدركوا أن «الاهتمام باللغة الأجنبية شىء والتدريس بها شىء آخر**، ففى الأول انفتاح على الثقافة والعلوم، واطلاع على الحضارة الأجنبية، وفى الثانى قَهْر للغة الأم، وإهانة لحرية الوطن واستقلاله»(٧٠).

إن الدول الكبرى تمنع نهائيًّا التدريس بغير اللغة الأم حتى سِنّ الثامنة أو العاشرة، مراعاةً لحساسية الطفل للغات الأجنبية، والتى يجب أن تكون

محكومة بمدى زمنى بعيد يحمى القومية واللغة قبل أن تجرفها اللغات الأخرى[٧١]. فإذا أصبحت اللغة الأجنبية على قدم المساواة مع اللغة الأم، فستترسخ - بالضرورة - فى خَلَد المتعلِّمين الصغار، فى هذه المرحلة الباكرة من حياتهم أهمية اللغة الأجنبية، وتساويها مع لغتهم الأم، وهذا يؤدى بدوره إلى خطر «تشرُّبهم لقيم ثقافة أجنبية خلال مرحلة مهمة من نشأتهم، تشـرُّبًا ما أحراه أن يؤثِّر سلبًا فى ولائهم لأُمَّتهم، ومواقفهم من المشاركة فى نضالها لتحقيق أهدافها»، ولا يبعد - بعد ذلك فى مرحلة قادمة - أن تقل نسبة الأطفال الذين يتكلَّمون لغتهم الأم، وعندها تكون اللغة مُهدَّدة بالانقراض، ومن المعلوم عند الباحثين المتخصِّصين أن اللغة التى لا يتحدَّث بها إلا البالغون دون الصغار: هى لغة سبيلها الزوال، ومصيرها الانقراض[٧٢]، كل هذه المخاطر تحدث فى حال جعل اللغةالأجنبية على قدم المساواة مع اللغة الأم؛ فما بالنا إن كانت اللغة الأجنبية أعلى منزلة من اللغة الأم (الوطنية) كما هو الحال فى العربية أمام اللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

اللغـة عنصر أساسى فى الثقافـة الوطنية، وهى أيضا ظاهرة سوسيو نفسية؛ إذ يُمكِّن استعمال اللغة فى السنوات الأولى من التعلّم من تجنُّب القطيعة بين المجتمع والمدرسة، كما أنها ظاهرة تربوية؛ لأن عملية التعلم لا تكون فعالة إلا بواسطة لغة تم التعود عليها[٧٣].

هيمنة الإنجليزية على المعرفة العالمية:

اللغـة الإنجليزيـة هى لغة جـزء كبير من المعرفة فـى العالم؛ فقد رصدت الإحصـاءات عـام (١٩٨٠م)، أن الأبحـاث المكتوبـة باللغـة الإنجليزيـة

فـى مجالات عـدة تُقَدَّر بنسـبة (٨٥٪) من أبحـاث علم الأحيـاء والفيزياء، و(٧٣٪) مـن الأبحـاث الطبية، و(٦٩٪) من أبحـاث الرياضيات، و(٦٧٪) من أبحاث الكيمياء. ومنذ سـتينيات القرن العشـرين واللغـة الإنجليزية هى لغة التعليم العالى فى كثير من دول العالم، وكثير من المقرَّرات المتقدمة فى هولنـدا مثلًا تُدرَّس باللغة الإنجليزية، وازدادت الحاجة إلى اسـتخدام اللغة الإنجليزيـة فى الجامعـات والكليات التى يدرس بها طـلاب أجانب؛ حيث يجد المحاضِرون أنفسهم مضطرين لاستخدام اللغة الإنجليزية.

ولا يتوقَّف الأمر عند هذا الحد؛ وإنما تقوم كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بدعم تعليم اللغة الإنجليزية وتعلُّمها فى جميع دول العالم عن طريق سفاراتهما والمجلس الثقافى البريطانى ومِنَح «فولبرايت» Fulbright؛ حيث تقوم بتوزيع المجلات وإهداء الكتب، والدعوة إلى الندوات والمؤتمرات، وإقامة فروع لجمعيات تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بغيرها؛ مثل «TESOL»

فى جميع دول العالم، ويقوم المسؤولون فى السفارات الأمريكية بزيارة لوزارات التربية والتعليم لتشجيع تعليم اللغة الإنجليزية ودعمه للطلاب فى المدارس، وإنشاء فروع لمنظَّمات تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بغيرها؛ مثل:
TESOL Arabia, TESOL Egypt, TESOL Korea, TESOL Ukraine, TESOL Tai

ويعقدون مؤتمرات سنوية يحضرها ويشارك فيها المتخصِّصون ومعلِّمو اللغة الإنجليزية فى المجتمعات المحلية، أى إن أمريكا وبريطانيا تدعمان تعليم اللغة الإنجليزية واستخدامها فى جميع دول العالم، ولدى الولايات

المتحدة وبريطانيا سياسات خفية من خلال منظمات تسعى إلى جعل اللغة الإنجليزية لغة للتعليم Medium of Instruction فى المدارس والجامعات، وإذا أرادت دولة إنشاء منظمة جديدة، عيَّنت فى اللجان التنظيمية أعضاء ناطقين باللغة الإنجليزية كخبراء، كما فى منظمة AHWA، ووجود أجانب فى هذه المنظمات (حتى لو كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد) يدعوها إلى استخدام اللغة الإنجليزية فى المراسَلات، والمنشورات، والاجتماعات، وجلسات المؤتمرات، بدلًا من اللغة القومية. إضافة إلى ما تقدَّم، فُرِضَ على الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى مثلًا كتابة أسماء الشوارع واللوحات الإرشادية – فى الدول غير الناطقة باللغة الإنجليزية مثل اليونان – باللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة المحلية[٧٤].

الجدير بالذكر أن «الولايات المتحدة نفسها بتعدُّدياتها العرقية والدينية حشدت كل الطاقات من أجل رفض قرار تعليم الإسبانية فى المراحل الأولية فى مدارس «كاليفورنيا» عام (١٩٩٤م). بل إنها رفضت أيضًا تغيير نظام قواعد اللغة الإنجليزية ليتوافق مع طريقة المواطنين السود «الإيبونكس» Ebonics، وهم فئة كبيرة من الشعب الأمريكى نفسه»[٧٥].

رد فعل قوى وحاسم..

فى مواجهة هذا الزحف الإنجليزى كان قرار الدول المعْتزَّة بلغاتها وقومياتها حاسمًا فى وجوب تعليم جميع العلوم الأجنبية المستوردة بلغة البلد القومية، من خلال تنشيط عملية الترجمة، فنجحت فى ذلك – إلى حد كبير – الدول المتحمِّسة مثل: فرنسا وروسيا، وكذلك الصين واليابان

وفيتنام، رغم الصعوبة الشديدة التى تكتنف طبيعة لغاتهم، بل حتى الكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين، كما ذكرنا آنفًا. وفى هذا الصدد يقول «د. إلياس عطا الله»:

«من مِزَقِ حضاراتٍ وأشلاءِ تاريخ، استطاعت الدولة العبرية أن تبنى أمةً عبر لغةٍ كانت طقسية... بنَتْ لغتَها وجامعتَها قبل بناء دولتها، ووعتْ أنَّ تشكُّلَ الأمة لا يتأتى إلا فى بوتقة الصهر؛ سنواتٌ قليلة، وسبعون لغةً ولُغَيَّةً تذوب وتمّحى فى العبرية الجديدة، باللغة تأسرلوا وتصهينوا، وباللغة تهوَّدوا وتسيَّدوا... والبداية يسيرة جدًّا؛ لغةُ التدريس هى العبرية، من الحضانة حتى الجامعة».

وتُعَد التجربة اليابانية مع العلوم والمعارف الأجنبية من أقوى التجارب الحديثة الدالة على إمكانية المشاركة فى صناعة النهضة الحضارية العالمية مع الإبقاء على الخصوصية الثقافية واللغوية للقومية اليابانية؛ ففى أواخر القرن التاسع عشـر الميلادى زمن «محمد على»، حين قرَّر المصـريون التدريس فى المعاهد باللغة الإنجليزية، أصرَّ اليابانيون على ضرورة التدريس باللغة اليابانية، وترجمة العلوم والمعارف الأجنبية إليها، فما إن حلَّ عام (١٩٠٧م) حتى كان (٩٧٪) من الشعب اليابانى مُتعلِّمًا، وكانت نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية عام (١٩١٠م) ١٠٠٪، ثم تتابعت إنجازاتهم العلمية، ومشاريعهم الحضارية، ضمن سلسلة من النجاحات الباهرة. ولم تكن اللغة الأجنبية – فى كل ذلك – عاملًا فى نهضة اليابان الحديثة؛ بل إن الثابت أن شعب اليابان – فى العموم – يعانى ضعفًا فى اللغة الإنجليزية، والمتعلِّم اليابانى يتأخر ترتيبه بين طلاب الدول الآسيوية إلى المرتبة الثامنة عشرة

فى اختبارات مهارات اللغة الإنجليزية، ولم توضع قضية تعليمها للبحث والدراسة عند المختصين - باعتبارها لغة أجنبية - إلا ضمن مقترحات خطة اليابان للقرن الحادى والعشرين، بعد ظهور مفهوم العولمة، وما ترتَّب عليه من الانفتاح الثقافى العالمى، وحاجة اليابانى المثقف بصورة عاجلة فى هذا الظرف الحضارى إلى كثير من المعلومات المتوافرة باللغة الإنجليزية [٧٦].

وفى تركيا تمكَّنت الجامعات التركية من تدريس أنواع العلوم الحديثة المختلفة باللغة التركية، على الرغم من أنها لغة إقليمية محدودة، لا تندرج ضمن مصاف اللغات الواسعة الانتشار.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن فى هذا السياق:

- **أين لغة الضاد من معركة الحضارة المعاصرة؟؟**

لا يشك أحد فى عدم ارتفاع التعليم اللغوى إلى آفاق التحديات المعاصرة؛ فأنظمة تعليمنا لا تزال على ما كانت عليه من تقاليد بالية فى مجالات كثيرة، على رأسها مجالات التعليم اللغوى، التى لم تتطوَّر إلى اليوم بما يتناسب واحتياجات العصر، بل بما يتجاوب والدوافع المِلِحَّة لإصلاح التعليم اللغوى بوجه عام[٧٧].

- **ولغتنا العربية تعانى مشكلات وتصادفها عقبات من أبرزها:**

- تدريس العلوم الطبيعية والطبية بلغة أجنبية، وفى هذا يقول «د. عدنان باحارث»:

«فى ميدان تعريب المصطلحات والألفاظ الجديدة الحديثة تواجه اللغة العربية فى هذا العصر يوميًّا خمسين مصطلحًا ولفظة جديدة فى حاجة إلى تعريب، مما يوقع المتخصِّصين فى حَرَجٍ شديد أمام هذا الاجتياح اللغوى

العنيف، الذى يدفع بهم دفعا نحو المؤخرة، ضمن طوابير الحواشى والتابعين، فى واقع حضارى متسارع لا يعترف بالمتقاعسين والمتخاذلين، من الذين استسلموا للواقع، وآثروا الراحة على مشقة الترجمة والتأصيل، حتى أصبحت اللغة العربية فى كثير من الجامعات العربية لغة ثانية، ولا سيما فى تدريس العلوم والمعارف الطبيعية والتطبيقية والطبية، وتمكَّنت اللغات الأجنبية – فى مقابل ذلك – من غزو حياة الإنسان العربى باستيلائها على معظم الوظائف والأدوار الحيوية التى كان من المفروض أن تؤديها اللغة القومية، وفى الجانب الآخر أخذت الدعوة إلى «العامية» سبيلها إلى عقول كثير من المثقفين العرب، ولم تعد تُسْتغرب المجاهرة بالدعوة إلى تعليم اللغات الأجنبية فى المراحل التعليمية الأولى؛ فكثر على اللغة العربية الهجوم من اللغات الأخرى، ومن العامية، ومن التوجه الحداثى، ومن المستشرقين، ومن غيرهم، حتى أصبح ضعف مستواها عند التلاميذ من الجنسين بيِّنًا لا يَخْفَى، والخطأ فيها مقبولًا لا يُستنكر، وهذا الوضع المتأزِّم يُنذر باحتمال انعزالها التام عن الحياة العلمية».

- حـال العربية فى دور التعليم وغياب التكامـل العلمى فى تعليم العربية؛ فمناهج التربية والتعليم ضد ازدهار اللغة العربية، بل هى سـبب مباشر للضعف اللغوى.
- نزعة المجتمع إلى التغريب.
- الجانب الأكبر من التراث الإنسانى لم يُتَرْجَم إلى العربية حتى اليوم.
- لم يتم تيسير سُبُل تعليم العربية لغير العرب بطريقة علمية حتى اليوم.
- افتقـاد رؤيـة لمسـتقبل اللغة العربيـة؛ فلا يوجـد لدينا تخطيط لغوى للمستقبل.

السؤال الآن: كيف يمكن مواجهة مثل هذه التحديات؟

لا شك أن هذا الأمر يتطلَّب أن تُبْذَل جهودٌ كبيرة؛ منها على سبيل المثال:

- مقاومة الاعتقاد السائد لدى قطاعات كبيرة من عامَّة الناس من أن تعلُّم اللغة الأجنبية مفتاح للمستقبل المشرق والوظيفة المرموقة.
- مطالبة وزارات التربية والتعليم العربية والجامعات ومراكز الأبحاث العربية بوضع تصوّر للتحدّيات التى تواجه اللغة العربية واقتراح برامج لحلّها.
- الإعداد لحملة شاملة تؤكد أهلية العربية وقدرتها على التكيُّف والتطور، كما حدث فى القرون الوسطى حين لم تكن الإمكانات العلمية متوافرة كما هى اليوم، وذلك يوم احتضنت العربية الثقافات المعاصرة وأثَّرت فيها وأَثْرتها حتى أصبحت العربية لغة الثقافة العالمية، وهذا ما يمكن أن يحصل الآن إذا توافرت البرامج والقرارات السياسية والجهد المنسّق.
- إعادة النظر فى طرق تدريس اللغة فى كل المراحل، من الروضة إلى الجامعة بما يسهِّل على الطالب تملُّكها وإتقانها.
- إعادة تأهيل مُعلمى اللغة العربية فى كل المراحل، من الحضانة إلى الجامعة عبر دورات مُكثَّفة وشاملة تهدف إلى إتقان تعليم اللغة العربية بطرق ووسائل سهلة تُحبِّبها لطلابنا[٧٨]؛ فلن ينصلح حال تعليم اللغة القومية فى المدرسة إلا إذا تشرَّب التلاميذ حب اللغة من أساتذتهم الذين يجب أن يُعَدُّوا إعدادًا تربويًّا وعلميًّا مُغايرًا، وأن يواصلوا البحث والتدريب دون انقطاع، أو على الأقل يلحقوا بدورات تدريبية متواصلة لتطوير أدائهم، وأن يكونوا

قدوة لطلابهم فى تجنُّب الخطأ فى الوقت نفسه، وإيثار السلاسة الفصيحة فى التعبير[٧٩]. وبذلك يساهمون فى إحداث ثورة لغوية تصحيحية.

- تكثيف الأنشطة والمسابقات اللغوية فى المدارس «لتشجيع الطلاب على التميُّز فى معرفة لغتهم وامتلاك ناصيتها التعبيرية»؛ مثل مسابقات الشعر، والقصة القصيرة، والخطابة والإلقاء، والصحافة، وكتابة المقالات العلمية المبسطة، وغيرها من صنوف الأدب واللغة.
- تعريب التعليم: وتعريب التعليم «تمليه الضرورة التربوية؛ فهو الوسيلة الأنجح للإفهام والتفهُّم فى التعليم الجامعى، فالطالب الجامعى الذى يتعلَّم بلغته أقدر على الاستيعاب والمناقشة والمشاركة والتفاعل الخلّاق، والابتكار والتطوير من زملائه الذين يتلقون المادة العلمية باللغة الأجنبية؛ حيث يحجمون عن النقاش والجدل فيما يتلقون من علم، ويميلون إلى قراءة الملخصات والمذكرات بدل الكتب والمراجع والبحوث... وقراءتهم باللغة الأجنبية بطيئة لا تساعدهم على البحث والتنقيب. وبقدر ما يكون التعريب ضرورة تربوية أثناء الدراسة، فهو ضرورة لما بعدها، حيث لا يستغنى المتخصِّص عن متابعة دراسة مُستجدات تخصُّصه، وهذا لن يتيسَّر له بسهولة إلا بلغته أيضًا». ومن هنا فمؤسسات الترجمة والتعريب، الحكومية منها والأهلية، ومجامع اللغة العربية، إضافة لمؤسسات التعليم – مُطالَبة بأن تضطلع بدورها المنوط بها، على سبيل المثال:
  - إنشاء مراكز للتعريب والترجمة فى كل جامعة عربية تكون مهمتها التعريب والترجمة من اللغات الأجنبية والتنسيق والتكامل مع الجامعات الأخرى، ومع الجمعيات العلمية المعْنِيَّة دفعًا لمسيرة التعريب.

- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمى الواحد، ومراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعلمية، واستخدام الوسائل اللغوية فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة.
- الإفادة من التقنيات الحديثة كالحاسوب فى الترجمة الآلية إلى اللغة العربية مع توفير البرامج والمعاجم العربية فى التخصُّصات والمستويات كافة، والتمحيص الجيِّد لهذه البرامج.
- إدخال جهود التأليف العلمى باللغة العربية، والترجمة إليها ضمن الشروط المطلوبة للتعيين أو الترقية فى الجامعات.
- تدريس اللغة العربية كمادة أساسية فى الكليات والمعاهد العلمية والنظرية فى جميع سنوات الدراسة.
- الاهتمام بالترجمة المتخصِّصة فى فروع العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية المختلفة فى كليات اللغات والآداب[٨٠]. وقد أثبتت التجارب العملية – سواء التى قامت بها دولة مثل سوريا، أو بعض الجامعات العربية – أن الترجمة إلى العربية لها آثار إيجابية واسعة النطاق؛ حيث يزداد التحصيل العلمى لمن يتعلَّم بلغته الأم، ناهيك عما تؤدى إليه هذه الترجمة من تحفيز الجهود لأعمال عربية مماثلة لتلك التى تُتَرْجَم، بالإضافة إلى أن الترجمة إذا تمَّت من قِبَل أناس يجمعون بين إتقان الترجمة، وإتقان العلم الذى تتناوله المادَّة المتَرْجَمة فإن ذلك سيَحْملهم على نَقْد المادة المتَرْجَمة، أو الاستدراك والتعقيب عليها، وهذا يؤكِّد مقدرتهم على هَضْم ما قيل، فضلًا عن الزيادة عليه[٨١].
- البحث عن أسماء الكتب الجديرة بالترجمة إلى العربية عن طريق دوام الاتصال بالجامعات وأعضاء هيئات التدريس بالجامعات.
- العمل على نشر التراث العلمى عند العرب دفعًا لمسيرة التعريب.

وغنى عن البيان أن تأصيل العلوم وانتشار المعارف فى أُمَّة من الأُمَم لا يكون إلا بلغتها؛ وأى إسهام جدى لأُمَّتنا فى الحضارة العالمية المعاصرة، إنما هو مرهون بتحقيق شخصيتها المتميِّزة ثقافيًّا وعلميًّا، وهو ما لن يُتاح لها إلا إذا كانت لها لغتها العلمية وعلماؤها العرب. أما إسهام العلماء العرب فى أوروبا وأمريكا فى الاكتشافات العلمية والتقنية، فلن يكون فى النهاية إلا لصالح حضارات الأُمَم التى تستضيفهم وتستوعب إنتاجهم. الإسهام العربى الحقيقى هو ما يتم على هذه الأرض الطيبة وبعقول أبنائها ولغتهم(٨٢). وهذا هو الأمل الوحيد المتبقى لنا، وبصيص النور فى عالم تسوده الظُّلْمَة(٨٣).

إن دول العالم التى تحترم نفسها، وتعتز بهويتها لا تدرس اللغة الإنجليزية إلا فى أقسام اللغات فى المراحل الدراسية العليا الجامعية، وما فرنسا، وألمانيا، واليابان، وروسيا، والصين منا ببعيد؛ فهل نحن أحرص على التقدُّم الحضارى أو العلمى أو التقنى منهم؟ وهل أدَّى بهم نهجهم هذا الذى نهجوه - فى الحد من استعمال اللغة الإنجليزية - إلى التخلُّف؟.

وختامًا: فإن اللغة العربية قد شهدت الدراسات الحديثة لها بأنها لغة كونية، تملك من الخصائص ما يجعلها خالدة، وأنها جديرة بأن تكون فى موقع المنافسة للغة الإنجليزية، بل تتفوق عليها إذا بُعثت الحياة فى أهليها، فصاروا أحياء فى مجال العلوم والمعارف، واعتزوا بلغتهم ولم يتنكروا لها.

فمَن يستجيب؟

(٦) الاستفادة من التكنولوجيا الرقمية (قرار علمى واقتصادى)

«إن اللغات التى لا تتطوَّر ولا تتفاعل مع التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصال أكثر عُرْضَة من غيرها لخطر الانقراض».

منظمة اليونسكو

فى إطار خطاب العولمة وتنوُّع الثقافات وصراع الحضارات، كَثُرَ الحديث عن اللغة، خاصَّة بعد أن أبرزت «شبكة المعلومات الدولية» Internet بصورة غير مسبوقة أهميتها السياسية والثقافية والاقتصادية.

إن تضخُّم المعلومات وتعقُّدها فى العصر الحديث يتطلَّبان سرعة ودقة فى تجميعها، وتحليلها، وتوزيعها، واسترجاعها. ولقد عجزت الوسائل البشرية للفَهْرسة والاستخلاص والتحليل عن مُلاحقة هذا الكم الهائل من المعلومات التى تَنْهال علينا من مصادر عديدة ومتباينة. وتُمثِّل المعطيات المصوغة لغويًّا القسم الأكبر من فيض المعلومات؛ ولذا فعملية السيطرة عليها لابد أن ترتكز فى جوهرها على أُسُس لغوية متينة.

وتُصنَّف معظم مجتمعات العالم الثالث ضمن تلك «الجائعة معلوماتيًّا»، وحاجة هذه المجتمعات ماسَّة لاستغلال مورد المعلومات كأحد المقوِّمات الأساسية للعملية التنموية(٨٤).

ومهما كانت سلبيات العولمة، إلا أنها تتيح فرصًا كثيرة لكل من يرغب فى تطوير لغته؛ فوسائل التقنية متوفِّرة وينبغى استغلالها خير استغلال، ولكن عند الحديث عن اللغة فى عصر المعلومات نجد الباحثين وعلماء اللغة قد

انقسموا فريقين؛ فمنهم أصحاب النظرة المتشائمة الذين يُدْرِجونها ضمن ضحايا عصر المعلومات؛ نظرًا إلى سيطرة اللغة الإنجليزية المطْلَقة على محتوى شبكة الإنترنت، ومنهم أصحاب النظرة المتفائلة الذين يعتبرون أن هذه الشبكة وسيلة لإحياء اللغة وحماية لغات الأقليات، وأداة ناجعة لتأمين التواصل اللغوى عبر الثقافات، والحفاظ على تراث الإبداع اللغوى من قصة وشعر ومسرح وغير ذلك(٨٥).

الفريق الأول: أصحاب النظرة المتشائمة:

وحديثهم عن اللغة فى عصر المعلومات تسوده نبرة التشاؤم التى تعكس مدى القلق على مصير اللغة فى هذا العصر؛ لذا تَظْهَر فى حديثهم مصطلحات من قبيل «الهوَّة اللغوية» و«الفاصل اللغوى» و«انقراض اللغات»، و«العنصرية اللغوية» و«التوحُّد اللغوى» و«التحالف اللغوى» و«الحروب اللغوية»، وتمادَى البعض فى تشاؤمه ليُدْرِج اللغة ضمن قائمة مَوْتَى عصر المعلومات.

«مثلما كادت التكنولوجيا الصناعية تُودِى بالتنوُّع البيولوجى بعد أن تسبَّبت آثارها البيئية فى انقراض أعداد هائلة من الكائنات الحيَّة، يتنامى قلق مُشابِه حاليًّا من أن تكنولوجيا المعلومات بصفة عامَّة، والإنترنت بصفة خاصَّة، ستودى بالتنوُّع الثقافى. لقد تفاقمت ظاهرة الانقراض اللغوى كوباء ثقافى يجتاح العالم بأسره، ومن أهم أسبابه حاليًّا: طغيان اللغة الإنجليزية على الساحة المعلوماتية سواء من حيث مُعدَّل إنتاج الوثائق الإلكترونية وحجم تبادلها، أو اللغة التى تتعامل معها البرمجيات وآلات البحث عبر الإنترنت، ناهيك

عن المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات؛ من أدلة تشغيل، ومكانز، ومعاجم، ومسردات، ومواصفات فنية وثقافة علمية، وكتب مدرسية، وغير مدرسية من مستوى الأطفال حتى أعلى مستويات التخصُّص الفنى»[٨٦].

- **هيمنة الإنجليزية على شبكة المعلومات الدولية** (Internet)

تعكس الشبكة العنكبوتية صورة قاتمة للتنوّع اللغوى؛ حيث إن هناك «فجوة لغوية» عميقة قائمة بين الإنجليزية وغيرها من اللغات الممثَّلة عبر الشبكة العنكبوتية، والتى تُعد الدعامة الأساسية للثورة الرقمية. هذه الفجوة اللغوية من شأنها أن تَفْصِل بين لغات دول العالم المتقدِّم ولغات دول العالم النامى غير القادرة على مُساندة لغاتها فى المعركة اللغوية الطاحنة عبر الشبكة العنكبوتية.

ومن هنا يرى أصحاب هذا الفريق أن الإنجليزية هى «اللغة الأم» لهذه الشبكة دون سواها؛ ففى الوقت الراهن – وبعد مرور حوالى أربعة عقود من الزمان على «اختراع» هذه الشبكة – لا تزال الإنجليزية هى اللغة المهيمنة حتى فى تراجع حصتها ونسبة المواقع المصوغة بها[٨٧].

ومعنى هذا أن حصة اللغة الإنجليزية بالشبكة لا تزال طاغية؛ حيث إن (٨٠٪) من المعلومات مخزَّنة إلكترونيًّا باللغة الإنجليزية، وتشمل معلومات خاصة بالشركات، والمنظمات، والمكتبات، وقوات الأمن، والمعلومات الموجودة على الشبكة العنكبوتية سواء فى إرسال البريد الإلكترونى واستقباله والمشاركة فى مجموعات النقاش، أو الاتصال بقواعد المعلومات[٨٨]. هذا

مقابل نِسَب ضعيفة للغات العالمية الأخرى، ناهيك عن الغياب التام للغات العالم الأخرى (حوالى ٢٠٠٠ لغة) التى لم تطأ أقدامها الشبكة بالمرَّة.

ومع هذا التراجع النسبى للغة الإنجليزية بالشبكة العنكبوتية، إلا أنها لا تزال اللغة الأولى التى تُفتح بها معظم المواقع (حوالى ٤٢٪ مقابل ٢٢٪ للإسبانية، ١٤٪ للألمانية، ١٢٪ لليابانية و١٠٪ للفرنسية)، وهذا يشـى حتمًا بأنها لغة المواقع ولغة الإبحار ولغة مُحرِّكات البحث السائدة والمهيمنة[٨٩].

إذًا، تُعَد اللغة الإنجليزية هى اللغة المشْترَكة على شبكة المعلومات الدولية. فإذا كنت غير مُتمكِّن من اللغة الإنجليزية فلن تستطيع استغلال القوى الفكرية التى تُقدِّمها الشبكة العنكبوتية وعليها مادَّة باللغة الإنجليزية على درجة عالية من الجودة تفوق نظيرتها باللغات الأخرى، وتبلغ نسبة مُستخدميها من الناطقين باللغة الإنجليزية نحو (٣٠٪)[٩٠].

ويرى «د. نبيل على» أن «من أخطر مظاهر طغيان اللغة الإنجليزية على الساحة المعلوماتية هى تلك المتعلقة بالبرمجيات؛ حيث يتم معظمها باللغة الإنجليزية، وغالبًا ما يكون ذلك بهدف تلبية مطالب المتعاملين بهذه اللغة أصلًا، وكما هو معروف يقوم بتطوير هذه البرمجيات - عادة - شركات أمريكية ترتكز استراتيجيتها على ربط الأسواق العالمية بالسوق الأمريكية؛ لهذا السبب - ومن أجل فتح أسواقها على المناطق غير الناطقة بالإنجليزية - تقوم هذه الشركات بتطويع منتجاتها إلى اللغات الأخرى من خلال ما يُعْرَف بعملية «التفصيل المحلى» Localization، والتى لا تخرج فى أغلب الأحوال عن ترجمة سطحية للرسائل التى تتعامل معها البرامج دخلًا وخرجًا دون

النفاذ إلى محتوى المادة التى تتضمنها، وهو الأمر الذى تزداد أهميته بالنسبة للبرامج الثقافية عمومًا، والتعليمية والترفيهية بصفةٍ خاصَّة.

واستنادًا إلى شواهد عديدة، يمكن القول بصفة عامة: إن قوى السوق تعمل ضد التنوُّع الثقافى، وهى - بحكم طبيعتها - تنحاز إلى التوحيد القياسى اللغوى؛ فهو يعمل لصالح هذه القوى، وذلك بتوسيع نطاق تسويق المنْتَج المعلوماتى: طباعيًّا كان أم إلكترونيًّا، إعلاميًّا كان أم تعليميًّا، وثائقيًّا كان أم برمجيًّا.

على الجانب المقابل، يعمل سلاح التوحيد القياسى ـ عادةً ـ ضد مصلحة الصغار حيث تسيطر على منظمات التوحيد القياسى الشركات الضخمة القادرة على أن تفرض مواصفات منتجاتها كقياسيات الأمر الواقع، ولا تستطيع الدول الصغيرة الدخول فى هذا المضمار؛ حيث لا تتوافر لديها صناعات قومية تساند موقفها فى ساحة التنافس القياسى، علاوة على أن تناول القضايا الخاصَّة بالتوحيد القياسى يتطلب معرفة نظرية وخبرة عملية لا تتوافر عادة لدى الدول النامية» (٩١).

السؤال المطروح الآن: ما نقاط القوة التى تملكها الإنجليزية دون غيرها من اللغات على النحو الذى خوَّل لها بامتياز أن تكون صاحبة السبق على شبكة المعلومات؟

لا شك أن أهم نقاط القوة التى جعلت هذه اللغة لغة الاقتصاد والمال والأعمال، ليس هذا فحسب، بل أيضًا لغة الشبكات الإلكترونية الكبرى، هى:

أولها: تتمثل فى قدرة السبق التى تتمتع بها الولايات المتحدة فى ميدانى البحث

العلمى والتطوير التكنولوجى، فربما تعد الدولة الأولى عالميًّا التى تلعب فيهـا الأبحاث والتطويرات العسـكرية دور القاطـرة لعمليات البحث المدنى والتنمية بوجه عام. والجدير بالذكر أن شـبكة المعلومات الدولية (Internet) إنـما نشـأت وترعرعـت وتفرعـت اسـتعمالاتها بالولايـات المتحـدة، تحديدًا بإدارة الدفاع، بغرض خلـق منظومة معلوماتية دفاعية ضد أى «اجتياح خارجى».

ثانيها: تَكْمُـن فى السَّـبْق التكنولوجـى الهائل الذى بلغتـه الولايات المتحدة فـى الميادِيـن التـى تُعْتَبر الرافِعَـة المادِّية لشـبكة الإنترنـت، ونعنى بها قطـاع الاتصالات والمعلومات وتطوُّر المشـهد السـمعى بصـرى بِنْيَةً ومحتوى، شـكلًا وموضوعًا، فالولايات المتحدة هى الرائدة فى ابتكار الأُطُر القانونية والتنظيمية لتوسُّـع الشـبكة. وبالتالـى، فهيمنة الولايات المتحـدة على شـبكة المعلومـات الدوليـة (Internet) لغـة وبِنْيَة تحتية ومضامين ومؤسسـات، إنمـا هو بداية الأمـر ونهايته مـن هيمنتها على قطاعات الاتصالات والمعلومات والإعلام بكل فروعه ومشاربه.

ثالثها: تتمثل فى القوة الاقتصادية والتجارية والعسكرية التى تسنت للولايات المتحدة لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة و«انتصار» الفكر الليبرالى الجديد الـذى لم يعـد فقط «الفكر الواحـد والوحيد» بل أيضًـا «النموذج» الذى يجب أن يُحتذى به فى التفكير. وكأن سطوة الولايات المتحدة على الشبكة العنكبوتيـة صـورة طِبْق الأصل من سـطوتها على اقتصـاد العالم وتجارته وأصوله المالية وما سوى ذلك[٩٢].

الفريق الثانى: أصحاب النظرة المتفائلة:

إنهم يتمسَّكون بالأمل فى أن الإنسان بيده أن يجعل عصر المعلومات عصر ازدهار اللغات وكسر الحواجز اللغوية، وجعل الإنترنت «بستانًا للغات»؛ فالشبكة العنكبوتية Internet ـ فى رأى هؤلاء ـ تختلف عن وسائل الإعلام التقليدية فى قدرتها على خلق بيئة مواتية لإحياء اللغات وإثراء التواصل الثقافى بين الشعوب والجماعات.

وعلى هذا الأساس يرى أصحاب هذا الفريق فى الـ Internet وسيلة لإحياء اللغة وحماية لغات الأقليات، وأداة نافذة للتواصل اللغوى عبر الثقافات، والحفاظ على تراث فنون الإبداع اللغوى، من رواية، وشعر، ومسرح وأغانٍ وما شابه. ويرى البعض أن طغيان اللغة الإنجليزية الحالى فى طريقه التدريجى للانحسار؛ فبينما مثَّلت الإنجليزية فى بداية ظهور الشبكة العنكبوتية ما يزيد على (٩٥٪) من حجم البيانات المتبادَلة، فقد تراجعت هذه النسبة إلى ما يَقْرُب من (٨٠٪) حاليًّا، وهناك من يتوقَّع أن تفقد اللغة الإنجليزية وضعها المعلوماتى المتميِّز فى غضون سنوات قليلة.

ويسود الاعتقاد حاليًّا أن مشكلة الانقراض اللغوى، صنيعة تكنولوجيا المعلومات، لا يمكن حلها دون اللجوء إلى هذه التكنولوجيا ذاتها التى يمكن أن تُستغَل كأداة فعّالة فى إثراء التنوع اللغوى من خلال: الترجمة الآلية، وبرامج تعليم اللغات وتعلُّمها، ونُظُم البحث المتعدِّد اللغات فى بنوك المعلومات، ودعم الدراسات التقابلية بين اللغات، واستكمال البِنَى الأساسية للغات(٩٣).

لقد بات واضحًا أن العالم يواجه على جبهة اللغة موقفًا مصيريًّا، إما أن يتمسَّك بتعدُّد لغاته، وما ينطوى عليه ذلك من صعوبة التواصل وإعاقة تبادل المعلومات والمعارف، وإما أن تتوحَّد لغات العالم فى لغة قياسية واحدة، وهى الإنجليزية فى أغلب الظن، وساعتها تكون قد حلَّت بالبشرية الطامة الكبرى(٩٤).

العربية وتكنولوجيا المعلومات:

السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا السياق:

أين لغتنا العربية من تكنولوجيا المعلومات؟

لماذا نَحْرِم أنفسنا دعمًا من عضوية نادى المعلومات العالمى، فى حين تعمل الأمم الأخرى جاهدة للوصول إلى موقع مُتميِّز على الساحة العالمية؟!

وقد رأينا كيف تهتم كل أُمَّة بدعم لغتها والتمكين لها فى حَلْبة الصراع(٩٥).

وحسبنا أن نتدبَّر موقف اليابان التى تسعى سعيًا حثيثًا لمواجهة الهيمنة الأمريكية على الشبكة العنكبوتية، وكانت البداية فى مشروع الجيل الخامس الذى أطلقته اليابان فى بداية الثمانينيات، كردّ فعل تكنولوجى يهدف إلى كسر سيادة الإنجليزية، وقوبلت فى سعيها هذا بعقبات سياسية واقتصادية من جانب أمريكا لعرقلة هذا المشروع، إلا أن اليابان لم تستسلم لهذه الضغوط، وركَّزت على تكنولوجيا الترجمة الآلية مُسْتَغِلَّة تفوُّقها، ولا شك أن نجاح مشروع الترجمة الآلية والجيل الخامس سيكسر حاجز القطب اللغوى الأوحد، حتى يصبح بإمكانك - وأنت عربى أو فرنسى - أن تفتح جهاز الكمبيوتر فيقوم الجهاز بتحويل كل الكلام المكتوب بالإنجليزية إلى لغتك التى تتحدَّث بها.

وعلينا أن نفيد من مثل هذه الجهود ونحذو حَذْوها؛ بغية تحقيق الأمن اللغوى، وحفاظًا على لغتنا الخالدة، وحماية لها من الانجراف فى طوفان التغريب الذى لن يقتصر على اللغة وحدها، بل سيمتد إلى الثقافة وأنماط التفكير والجذور والمنابع التى تنتمى إليها رؤيتنا للعالم.

وعلى سبيل مواجهة هذه التحديات يتعيَّن علينا أن ننشط فيما يلى إجماله:

- توثيق صلات العربية بفروع المعرفة المختلفة؛ مثل الإعلام، والسياسة، والاجتماع، والفلسفة، وكل نواحى المعرفة الإنسانية والعلمية.
- دعم الجهود التى تهدف إلى تعريب الكمبيوتر وتنميتها ومؤازرتها، وليكن شعارنا: «التعريب فى مواجهة التغريب».
- توثيق علاقات اللغة العربية بالفنون بنظرة أوسع، خاصَّةً وقد اختصرت تكنولوجيا المعلومات المسافة الفاصلة بين العلم والفن فى عالمنا المعاصر.
- وعلى العربية أن تفيد فى مسائل التنظيم والترتيب بما وصلت إليه علوم الرياضيات والإحصاء والهندسة.

من هنا تتأكَّد أهمية تكاتُف الجهود لوَضْع العربية وما تشمله من معارف وثقافات على قاعدة معلومات مُنظَّمة تكون مُهيَّأة للمعالجة الآلية بالكمبيوتر؛ وذلك لأن أهمية أى لغة على الشبكة العنكبوتية لا تتأتَّى من مجرد الأسماء والبيانات فى هذه اللغة، بل بقَدْرِ ما تُقدِّم من معلومات وأفكار تَحْمِلها هذه اللغة.

ولا مجال للحديث عن نهضة لغوية إلَّا بقَدْرِ ما تكون فى موقع التأثير إن أردنا الحياة لنا وللغتنا العربية.

كلمة أخيرة:

ليس فى وسع أحد، كائنًا من كان، أيًّا كانت قوته أن يُجْبر سواه على تغيير لسانه، ومصير اللغة والثقافة والهوية المعرَّضة للخطر أمر فى أيدى أصحاب اللغة أنفسهم، وبمقدورهم أن يمنحوها شهادة الحياة أو أن يودعوها ثلاجة الموتى.

لذا «ينبغى أن نعمل على إعادة الحياة الحقيقية للغة، داخل مجالها القومى من خلال تفعيلها الحقيقى فى الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية، والإعلامية، وكل تلك مجالات تنعش اللغة، وتعمل على زيادة كفاءة رئتيها فى تصفية الهواء وانعكاس مردوده على الدم نقاءً وجريانًا وعلى الجسد صحةً وانتعاشًا»(٩٦).

وكأنى بعربية القرآن تستغيث بأهلها ألا يتنكروا لها، وألَّا يرغبوا عنها إلى غيرها؛ فى حديثهم إذا ما تحدَّثوا، وإعلاناتهم إذا ما أعلنوا، وفى كتاباتهم إذا ما كتبوا، عربيتنا تنادينا بأنى فى هويتكم؛ وفى أصالتكم، وفى ذِكْركم، وأنا وعاء قرآن ربكم، وفى حياتى حياة لكم.

وما يعقلها إلا العالمون

وما يتذكر إلا أولو الألباب

والله المستعان

هوامش الفصل الثالث

(١) **فوزى معروف**: أساليب المواجهة الفكرية - نوافذ الدخول إلى المستقبل - (الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات - العرب وتحديات المستقبل).- دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ص ١٥٤.

(٢) **د. إلياس عطا الله**: الشعور بالأمان تجاه اللغة العربيّة: اللسان والهويّة والانتماء ـ تخلى العرب عن لغتهم طريقهم إلى الهزيمة والاندثار، ٢٣ يونيو ٢٠٠٦م، موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article4890

(٣) **د. محمد عبد الحى**، مرجع سابق.

(4) Bell, Daniel (1993), Communitarianism and its Critics, (Oxford: Clarendon Press) pp. 15859-. As quoted by Afolayan, Shina "The Question of a Past Colonial Culture: Language, Ideology and Cultural Essentialism", Jouvert, Vol. 7, Issue 1, 2002, www.social.chass.ncsu.edu.

(5) Kwesi Kwaa Prah, "Education, Mother-Tongue Instruction, Christianity and Development of an African National Culture", (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society), www.casas.co.za.

(6) Tollefson, J.W (1991), "Planning Language, Planning Inequality", New York, Longman, 8, P. 2.

(7) Shope, M.(1999), in WM Makgoba (ed) "African Renaissance", Cape Town, Mafube & Tafelberg, P. xi.

(٨) **برنزنجر، ماتيوس**: «لغات الأقلية تراث ثقافى»؛ ترجمة أسامة زكى، فى مجلة ديوجين، عدد ١٦١/ ١٠٥، مركز مطبوعات اليونسكو ـ القاهرة، ص ١، ٢.

(9) Kwesi Kwaa Prah, op. cit.

(١٠) **د. عمر عبد الفتاح**، مرجع سابق. راجع بتفصيل د. محمد محمد داود: اللغة والسياسة فيما قبل ١١ سبتمبر.

(١١) **الجزايرلى، السيد**: «اللغة العربية تعيش هزيمة نفسية»، جريدة اليوم الإلكترونية، العدد ١١٢٨٩ - السنة الأربعون (٢٠٠٤م): http://www.alyaum.com.sa.

(١٢) **ديانى، سليمان بشير وأوسيبى، هنرى**: «المسألة الثقافية فى أفريقيا: السياقات والركائز وآفاق البحث»؛ ترجمة مصطفى مجدى الجمال.- القاهرة: مركز البحوث العربية، ١٩٩٥م، ص ٣٩.

(١٣) **د. بـركات محمـد مراد**: اللغة العربية وتشـكيل هوية الطفل العربـى، مجلة الواحة، العدد: ٤٩ - ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٨ م، ص ١ :١٢.

(١٤) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(١٥) **مصطفـى صادق الرافعى**: وحى القلم.- ط٣.- القاهـرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٧م، ص ٣٥.

(١٦) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(١٧) **د. عمـر عبـد الهـادى عتيق**: اللغـة العربيـة والعولمة، واقـع اللغة العربيـة بين الأنا والآخر، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية. http://www.alfaseeh.com.

(١٨) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(١٩) **د. بركات محمد مراد**، مرجع سابق.

(٢٠) **د. عبـد العزيـز الحميـد**: اللغـة مظهـر مـن مظاهـر القـوة، شـبكة صـوت العربية، www.voiceofarabic.net.

(٢١) **عمـاد الشـدياق**: اللغة الأم.. مخـاوف وتحديات، المسـتقبل - الجمعـة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩م - العدد ٣٢٣٢ - رأى و فكر - ص ١٩.

(٢٢) **صـلاح عيـد**: اللغـة العربيـة وتحديات العصـر، نـدوة الكلمة، الإصـدار الأول، ٢٠١٠م، ص٢٩.

(٢٣) **د. كمال بشر**: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢٤) **د. عبـد العزيـز بن عثمان التويجرى**: مسـتقبل اللغـة العربية.- منشـورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨ - ١٩.

(٢٥) **جـورج فاندريـس**: اللغـة؛ ترجمـة عبد الحميـد الدواخلـى، ومحمـد القصاص.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٢١.

(٢٦) **سـاطع الحصرى**: عوامل القومية، من محاضرة ألقيت فى نادى المعلمين فى بغداد عام ١٩٢٨، وصدرت فى كتاب: ساطع الحصرى [أبو خلدون]، أبحاث مختارة فى القومية العربية، التى كتبها ونشـرها المؤلف فى تواريخ مختلفة، ١٩٢٣ - ١٩٦٣م (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م)، الجزء الأول، ص: ٣٨ - ٥٦.

(٢٧) **الاعتزاز باللغة الأم**، صوت العربية، ٥ يونيو ٢٠٠٨م:www.the voiceofarabic. net.

(٢٨) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٢٩) **الاعتزاز باللغة الأم**، مرجع سابق.

(٣٠) **د. أحمد درويش**: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، ص ٣٧ – ٣٨.

(٣١) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٣٢) **د. مها خير بك ناصر**، مرجع سابق.

(٣٣) **محمد الحديدى**: اللغة.. وعاء الحضارة متى تنمو.. ومتى تموت؟، العدد ٥٣٢، السبت ١ مارس ٢٠٠٣م.

(34) David Crystal, "This man is worth £ 100,000 a year", High Life Magazine, June 2000, PP. 104 -108.

(٣٥) **محمد الحديدى**، مرجع سابق.

(٣٦) **عبد الله باجبير**: اللغات تنقرض!، جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء ٢٠ رجب ١٤٢٥ هـ – ١٨ أغسطس ٢٠٠٤م، العدد: ٩٣٩٥.

(٣٧) **الاعتزاز باللغة الأم**، مرجع سابق.

(٣٨) **عماد الشدياق**، مرجع سابق.

(٣٩) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٤٠) **حسن مدنى**: انقراض اللغة العربية.. بيدنا لا بيد عمرو، مدونة لغتى هويتى، www.tadween.net.

(٤١) **هيثم بن جواد الحداد**، مرجع سابق.

(٤٢) **الوكالة الفرانكفونية بالإنترنت**: www.francophonie.org.

(٤٣) **الاعتزاز باللغة الأم**، مرجع سابق.

(٤٤) **د. عمر عبد الهادى عتيق**، مرجع سابق.

(٤٥) **ألمانيا تخطط لحماية لغتها من الاختراق الأجنبى**، المصريون اليومية نقلًا عن صحيفة «الجريدة» الكويتية، الثلاثاء ٨ يونيو ٢٠١٠م.

(٤٦) **هيثم بن جواد الحداد**، مرجع سابق.

(٤٧) **نشرت فى جريدة الأهرام فى العدد ٤٥٣٠٧**، لسنة ٢٠١٠م بتاريخ ٢٣ ديسمبر بالصفحة الثانية.

(٤٨) **د. عمر عبد الهادى عتيق**، مرجع سابق.

(٤٩) **ميخل موردات**: أمريكا المستبدة ـ الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم (العولمة): ترجمة حامد فرزات، ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٥٠) **د. أحمـد القديدى**: صراع اللغات فى أوروبـا يخفى صراع المصالح ـ الفرنكوفونية أداة سياسية لا ثقافية، صحيفة الشرق القطرية الصادرة يوم ٢٥ مارس ٢٠٠٦م.

(٥١) **ممدوح خسارة**: التعريب فى مواجهة الغزو الثقافى، الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات، العرب وتحديات المستقبل.- دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٥٢) **د. ريما سـعد الجرف، قوة اللغة الإنجليزية**: الماضى والحاضر والمستقبل، سجل وقائع ندوة اللغات فى عصر العولمة: جامعة الملك خالد، ٢٠٠٥م.

(٥٣) **د. عمر عبد الهادى عتيق**، مرجع سابق.

(٥٤) **هيثم بن جواد الحداد**، مرجع سابق.

(٥٥) **د. محمد محمد داود**: اللغة والهوية، ص: ٢١ - ٢٣.

(٥٦) **فلوريـان كولمـاس**: اللغـة والاقتصـاد؛ ترجمة د. أحمـد عوض، سلسـلة عالم المعرفـة، العـدد ٢٦٣، المجلس الوطنـى للثقافة والفنـون والآداب - الكويت، نوفمبر ٢٠٠٠م، ص ٣٤٨.

(٥٧) **فلوريان كولماس**، المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٩.

(٥٨) **سـعيد أحمـد بيومى**: اللغة العربية والنشـاط الاقتصادى، ١٦ يونيـو ٢٠٠٦م، موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article4795.

(٥٩) **جرجى زيدان**: تاريخ آداب اللغة العربية؛ مراجعة الدكتور شـوقى ضيف.- القاهرة: دار الهلال، ج١: ص ٣١.

(٦٠) **محمود شـكرى الألوسـى**: بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب.- ط٢، ١٩٢٤م، جـ ١: ص ٢٦٤.

(٦١) **سعيد أحمد بيومى**، مرجع سابق.

(٦٢) المرجع السابق نفسه.

(٦٣) **د. ريما سعد الجرف**، مرجع سابق.

(٦٤) **سعيد أحمد بيومى**، مرجع سابق.

(٦٥) **فلوريان كولماس**، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(٦٦) **سعيد أحمد بيومى**، مرجع سابق.

(٦٧) **محمد مراياتى**: تأثير اللغة فى النمو الاقتصادى والاجتماعى فى الدول العربية، مجلة المعلوماتية، دراسات - العدد (١٠) - ديسمبر ٢٠٠٦م، http://infomag.news.sy.

(٦٨) **د.أحمد دهمان**، مرجع سابق.

(٦٩) **د. عبد الهادى بو طالب**: الحقوق اللغوية، ص ٢١ ـ ٢٨.

(٧٠) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٧١) **سامى بلتاجى**: اللغة العربية ستندثر فى القرن الـ (٢١) والإعلام والتعليم السبب، صحيفة المصريون، ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٩ م.

(٧٢) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٧٣) **د. عبد الهادى بو طالب**، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٧٤) **د. ريما سعد الجرف**، مرجع سابق.

(٧٥) **د. عمر عبد الهادى عتيق**، مرجع سابق.

(٧٦) **د. عدنان باحارث**، مرجع سابق.

(٧٧) **جابر عصفور**: اللغة العربية أزمة واحدة.. أم أزمات متعددة؟، مجلة العربى، السبت ١ مارس ٢٠٠٨ م ـ ٢٣/ ٢/ ١٤٢٩ هـ/ العدد ٥٩٢.

(٧٨) **ناجى علّوش**: اللغة العربية وإعادة الاعتبار، http://www.al-moharer.net/moh264/naji_alloush264b.htm.

(٧٩) **جابر عصفور**، مرجع سابق.

(٨٠) **د. بركات محمد مراد**، مرجع سابق.

(٨١) **هيثم بن جواد الحداد**، مرجع سابق.

(٨٢) **د. بركات محمد مراد**، مرجع سابق.

(٨٣) **انظر: د. الحبيب الجنحانى**: تعريب التعليم العالى والمشروع الحضارى العربى، بحث مُقدَّم إلى مؤتمر التعريب ١٩٨٢م.

(٨٤) **د. بركات محمد مراد**، مرجع سابق.

(٨٥) **عبد المجيد ميلاد**: الفجوة اللغوية فى عصر المعلومات، صدر بجريدة «الصباح» فى ٣ يناير ٢٠٠٦م.

(٨٦) **د. نبيل على**، مرجع سابق.

(٨٧) **يحيى اليحياوى**: لغة الإنترنت، جريدة العلم، ٩ مارس ٢٠٠٣م، http://www.elyahyaoui.org/language_internet.htm.

(٨٨) **د. ريما سعد الجرف**، مرجع سابق.

(٨٩) **يحيى اليحياوى**، مرجع سابق.

(٩٠) **د. ريما سعد الجرف**، مرجع سابق.

(٩١) **د. نبيل على**، مرجع سابق.

(٩٢) **يحيى اليحياوى**، مرجع سابق.

(٩٣) **راجع بتوسُّع**: د. نبيل على: الإنترنت مقبرة اللغات أم بستانها؟!!، مجلة العربى، العدد: ٥١٣، ٨/٢٠٠١ .
http://www.alarabimag.com/ArticlePRN.asp?ID = 5827.

(٩٤) **المرجع السابق نفسه**.

(٩٥) **راجع بتوسع**: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث.- القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م، ص: ٢٨٢ وما بعدها.

(٩٦) **د. أحمد درويش**، مرجع سابق، ص: ١٥٧ .

أهم المصْطَلَحات الواردة فى الكتاب

- **الاغْتِرابُ** Alienation:

الاغتراب، ظاهرة إنسانية عامة، تمثل نمطًا من تجربة يشعر فيها الإنسان بالغربة عن الذات؛ فهو لا يعيش ذاته كـ «مركز» لعالمه أو كصانع لأفعاله ومشاعره.

ومعانى الاغتراب متعددة: اجتماعية ونفسية واقتصادية، ويمكن إجمالُها فى انحلال الرابطة بين الفرد والمجتمع، أى العجز المادى عن احتلال المكان الذى ينبغى للمرء أن يحتلَّه وشعوره بالتبعية أو بحسِّ الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى، فيصبح المرء مرهونًا له/ لها، بل مُستلَبًا Alienated وهذا ما يولِّد شعورًا داخليا بفقدان الحرية والإحباط والانفصال عن المحيط الذى يعيش فيه.

- **اللُّغَةُ الأَكَّادِيةُ** Akkadian:

لُغةٌ سامِية شرقية بائدة (منقرضة) استُعملت فى العراق بين القرن الثامن والعشرين والقرن الأول قبل الميلاد، وهى من العائلة السامية الحامِية.

- **اللُّغَاتُ الهِنْدِيةُ الأمريكية** American Indian Languages:

لغات الهنود الحُمْر فى أمريكا.

- **عِلْمُ اللُّغةِ الأنثروبولوجى** Anthropological Linguistics:

دراسة اللغة فى سياقها الاجتماعى والثقافى فى المكان والزمان، وبخاصة لغات الجماعات اللغوية التى ليس لديها نظام كتابى أو إنتاج أدبى.

- **تَعْرِيبٌ** Arabization:

هو النقل إلى اللغة العربية من لغة أخرى مع إجراء ما يلزم من تعديل لصيغة الكلمة الأجنبية بطريقةٍ تتناسب مع قواعد اللغة العربية.

- **اللُّغَةُ الآرامِيةُ** Aramaic:

لُغَةٌ سامِيةٌ بائدةٌ استُخْدِمَت فى سوريا وشمال العراق فى الأَلْف الثانية قبل الميلاد، ولقد تحوَّلت هذه اللغة إلى السِّرْيانِية فيما بعد، والآرامِية من المجموعة السَّامِية ضِمْنَ العائلة السامية الحامِية.

- **تَوازُن اللغتين، توازُن ثِنْلُغَوِى** Bilingual Balance:

أن يتْقِن الفرد لغتين بنفس الدرجة دون أن تَسُودَ لغةٌ على أخرى.

- **هَيمَنَة لُغَوية ثُنائية** Bilingual Dominance:

١ – أن يتكلَّم الفرد لغةً بطلاقةٍ أكثر من تَكلُّمِهِ لغةً أخرى.

٢ – سيطرةُ لُغةٍ على أخرى لدى شخصٍ ما.

- **تَدَاخُل ثِنْلُغَوِى** Bilingual Interference:

انتقال تأثيرِ لغةٍ ما إلى لغةٍ أخرى لدى شخص ثنائى اللغة، ويتنوع هذا التأثير: فقد يكون فى المستوى الصوتى، أو فى المستوى الصـرفى أو فى المستوى التركيبى للغة أو فى بعض الدلالات.

- **دَوْلَة ثُنائية اللغة** Bilingual State:

دولة لها لغتان مُتساويتان قانونيًّا وبموجب الدستور.

- **تَحَوُّل ثِنْلُغَوِى** Bilingual Switching:

أن يتحوَّل شخص ثُنائى اللغة من إحدى اللغتين إلى الأخرى بين الحين والآخَر أثناء مُحادَثتِه مع شخصٍ آخَر ثنائى اللغة مِثْلِهِ.

- **ثُنائية لغوية، ازدواجية لُغَوِية** Bilingualism:

١ – أن يعْرِف شخص لغتين ويستعملهما بمهارةٍ عالية.

٢ – أن تُسْتَعْمَل فى مجتمعٍ ما لغتان فى الحياة اليومية.

- **اقْتِباسٌ** Borrowing:

١ – أن تقتبس لُغةٌ كلماتٍ أو تعابيرَ من لغةٍ أخرى بتعديلٍ أو دونَ تعديلٍ.

٢ – كَلِمَةٌ مُقْتَبَسَةٌ / كَلِمَةٌ دَخيلةٌ: كلمة اقتبستها لغةٌ من أخرى، مثل (تليفون) التى اقتبستها العربية من الإنجليزية، و(Cotton) التى اقتبستها الإنجليزية من العربية، ويطْلَق عليها أيضًا LOAN WORD.

- **اللُّغةُ البريتانيةُ** Breton:

لُغةُ مُقاطَعَةِ بريتانى فى شمال غرب فرنسا.

- **لُغَةٌ كلاسيكيةٌ** Classical Language:

١ – لغة قديمة أو بائدة كُتِبَت بها نصوص أدبية مشهورة، مثل اللاتينية.

٢ – لُغَةٌ تقليديةٌ.

٣ – لُغَةٌ فُصْحَى.

- **تَحَوُّلٌ لُغَوى** Code–switching:

أن يتحوَّلَ الشخصُ ثنائى اللُّغةِ من لغةٍ إلى أخرى فى المَوْقِفِ الكلامى الواحدِ.

- **لُغَةٌ هَجينٌ، لُغَةٌ مُخْتَلَطَةٌ** Creole:

لغة مُبسَّطة جِدًّا تفى بأغراض التعامُل اليومى، وتنشأ من اتِّصال أُناسٍ ذَوى لغاتٍ مختلفة.

- **وَعْى بَيثقافى** Cross-Cultural Awareness:

معرفةُ المَرْءِ لثقافاتٍ غير ثقافته وتقبُّل وجودها وتقبُّل مُتَضَمَّناتِ هذا الوجود.

- **اتصالات بَيثقافية** Cross-Cultural Communications:

اتصالات لغوية وثقافية بين شعبين لكل منهما لغته وثقافته الخاصَّة.

- **التمثُّل / الاندماج الثقافى** Cultural Assimilation:

عملية تعلُّم عادات جماعة أخرى واكتساب صفاتها المختلفة؛ مما يمَكِّن الفرد من الاندماج التام فى الجماعة الجديدة.

- **خَلْفية ثقافية** Cultural Background:

البيئة الثقافية التى تَسْتَـقى منها اللغة المفاهيم والمعانى.

- **تَصَادُم ثقافى** Cultural Clash:

١ – صراع بين الثقافة الأُمّ والثقافة الأجنبية التى يتعرَّضُ لها مُتعلِّم اللغة الأجنبية.

٢ – تنافُس وصراع بين ثقافتين لدى شخصٍ ما تَكْسِبُهُ إحداهما وتَخْسَرُهُ الأخرى.

- **مُحْتَوَى ثقافى** Cultural Content:

ما تحمله اللغة من حضارةٍ وعاداتٍ وثقافةٍ وقِيمٍ تعبر عن أَهْل هذه اللغة كالأعياد والاحتفالات والملبوسات والأطعمة والمشروبات والألعاب.

- **انْتِشارٌ ثقافى** Cultural Diffusion:

انتقال ثقافةِ شعبٍ خارجَ حدودِه السياسية بِفِعْلِ عواملَ اقتصادية أو سياسية أو عسكرية أو دينية أو فكرية.

- **تَلاقٍ ثقافى** Cultural Encounter:

أن تتفاعلَ ثقافتان أو حضارتان بوئامٍ واحترامٍ مُتبادَلٍ بدلًا من التحدِّى والصراع والمغالبة.

- **لُغَةُ الثَّقافة** Cultural Language:

لُغَةُ التعليم فى بلدٍ ما، وهى اللغة التى يتعلَّمها المرء فى المدرسة.

- **لُغَةٌ مَيتَةٌ** Dead Language:

لغة لم تَعُد تُستعمَل فى الاتِّصال اليومى (الحياة الاجتماعية)، وإنما يقتصر استعمالها – فى نطاق ضيق ومحدود – على أغراضٍ دينية أو عِلْمية مثل اللاتينية والسَّنسكريتية.

- **لَهْجَةٌ** Dialect:

الطريقة التى يتكلَّم بها الناس اللغة، وهى كثيرًا ما تَدُلُّ على انتماءٍ جغرافى أو اجتماعى أو ثقافى، وبذلك قد تكون اللهجة جغرافية أو اجتماعية.

ولكلِّ لغة عِدَّةُ لهجات، لكلٍّ منها صفات خاصَّة تُميزها عن سواها من ناحيةٍ صوتية أو مُفرداتية أو نحوية أو دلالية، وقد تتطوَّر اللهجة لتُصْبِحَ لغة مُسْتَقِلَّة مع مرور الزمن لاعتباراتٍ جغرافية وسياسية وثقافية.

- **عَلاقَةُ الهَيمَنَة** Dominance Relation:

العلاقة بين لغتين لدى شخصٍ ثنائى اللغة يغَلِّبُ فى الاستعمال لغةً على أخرى.

- **لغة غالِبَة / لغة سائدة / لغة مُهَيمِنَة** Dominant Language:

١ – لغة تَشِيع بين قوم بعد أن تتراجع أمامها لغتهم السابقة، وتَحْدُث هذه الغَلَبَة لأسبابٍ سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية أو دينية.

٢ – لغة تتفوَّق على أخرى من حيث الاستعمال لدى شخص ثُنائى اللغة.

- **لَهْجَةٌ عِرْقِيةٌ** Ethnic Dialect:

لهجة خاصّة بأقلية عرقية تُمَيزُهم عن سواهم مِمَّن يتكلَّمون اللغة ذاتها.

- **لُغةٌ بائدَةٌ، لُغَةٌ مُنْقَرِضَةٌ** Extinct Language:
لغة كانت مُستعمَلة ثم توقَّف استعمالها نهائيا أو أصبح مقصورًا على مُناسباتٍ دينية أو مجالاتٍ ضيقَة جدًّا ومحدودة للغاية.

- **اللُّغاتُ الفِنْلَنْدِيةُ الأُوجْرِيةُ** Finno-Ugric:
لُغاتٌ تنتشرُ فى شرق أوروبا من فِنْلَندا شمالًا إلى المَجَرِ جنوبًا، وتنتمى هذه اللُّغاتُ إلى العائلة الأُورالِيةِ الأَلطيةِ، وتُدْعَى هذه اللغات أيضًا اللغات الأُورالِيةَ، ومن أمثلتها الفِنْلَنْدِية والإستُونِية والهِنْجارِية.

- **اللُّغةُ الفلامِيةُ (الفَلَمَنْكِيةُ)** Flemish:
إحدى اللهجات الجِرمانية الغربية ضمن العائلة الهندية الأوروبية، وهى مُستعمَلَة شمال بلجيكا.

- **لَهْجَةٌ شَعْبِيةٌ** Folk Dialect:
لهجة يتكلَّمها عادةً سُكَّان المناطق الريفية المُنْعَزِلَة.

- **الفولكلور** Folklore:
١- عادات شعب ما وتقاليده وقصصه وأساطيره وأقواله المأثورة المحفوظة شفهيا.
٢- عِلْم مُقارَن يبحث فى حياة شعب ما وروحه كما يتجلَّيان فى عاداته وتقاليده.

- **كَلِمَةٌ وَظِيفِيةٌ** Function Word:
كلمةٌ دَوْرُها الرئيسى نَحْوى، لا دَلالى، ويطْلَقُ هذا المُصْطَلَحُ على الأفعال المساعدة (فى الإنجليزية) وحروف الجر، وأدوات العطف، والكلمات الموصولة، وأدوات الاستفهام، وأدوات التعريف والتنكير، ... إلخ.

- **تَحَوُّلٌ وَظيفى** Functional Change:
١- تغيرٌ فى النظام الفُونيمى للُغَةٍ حسبما تُمْلِيهِ الضرورةُ.
٢- أن تتغير الوظيفةُ النَّحويةُ لكلمةٍ دون أن تتغير الكلمةُ ذاتُها ودون أن تتغير نَبَراتُها، مثل "DRINK" التى تعنى (يشْرَبُ) أو (شَرَاب).

- **توحيد الذات** Identification:
رَبْط الإنسانِ نفسَه ربطًا وثيقًا بفردٍ أو جماعة أو قضية.

- **الهُوية** Identity:

١ – ذات الفرد.

٢ – الخصائص المميزة التى تميز إنسانًا أو مجتمعًا أودولة عن غيرها..

٣– حالة كَوْن الفرد هو ذاته فى كل الصفات الأساسية.

- **مشاعر الدونية** Inferiority Feelings:

شعور الإنسان بعدم الاطمئنان أو الأمان وإحساسه بالتفاهة، وبأنه وضيع القيمة بالنسبة للآخرين، وعاجز عن مُجاراة مَطالِب الحياة.

- **جاذبيةٌ لُغَويةٌ** Language Attraction:

قدرةُ لغةٍ ما على اجتذابِ أعدادٍ كبيرة من الناس لتعلُّمِها واستعمالِها.

- **حَاجزٌ لُغَوى** Language Barrier:

اختلاف لغة الفرد عن لغة الناس حَوْلَهِ، مِمَّا يكوِّنُ حاجزًا يحُولُ دونَ التَّفاهُم.

- **إحْصاءٌ لُغَوى** Language Census:

إحصاء السُّكّان فى منطقةٍ ما لجَمْعِ المعلومات عن اللغات التى يستخدمونها فى الحياة اليومية (العَمَل والبَيت).

- **تَغَيرٌ لُغَوى** Language Change:

تغير كبير أو طفيف يصيب لغةً ما عَبْرَ مراحل تاريخها بسبب عوامل سياسية أو اقتصادية أو تاريخية أو عسكرية أو بسبب احتكاكها بلغاتٍ أخرى، وقد يكون تغيرًا سلبيًّا، وقد يكون إيجابيًّا.

- **صراعٌ لُغَوى** Language Conflict:

تَنَافُس بين لغتين أو أكثر من أَجْلِ الهَيمَنَة فى مجتمعٍ ما.

- **تَمَاسٌّ لُغَوى، احْتِكاكٌ لُغَوى** Language Contact:

اتِّصالُ لغةٍ بأخرى عن طَريق الحَرْبِ أو التجارة أو السياحة أو التَّجَاوُر الجغرافى مِمَّا يحْدِثُ تأثيرًا تبادُلِيا.

- **طَلاقَةٌ لُغَويةٌ** Language Fluency:

مهارة المَرْءُ على تَكلُّم لغةٍ ما بيسْرٍ وسُرعةٍ تُقارِبُ السُّرعةَ العادية لأهْلِ هذه اللغة.

- **وَلاءٌ لُغَوِى** Language Loyalty:

إخلاصُ الفرد للغته الأم وشدة انتمائه إليها، ومُقاومته التخلِّى عنها أو استخدام غيرها.

- **الحِفاظُ على اللُّغَةِ** Language Maintenance:

أن يحافظ شَعْبٌ على لُغَتِهِ على مَرِّ القرون دون أن يتحوَّل عنها إلى سواها أو دون أن تَعْتَريها تغيرات كبيرة، مثال ذلك الحفاظ على اللغة العربية.

- **إتْقانُ اللُّغَةِ** Language Mastery:

وُصُولُ المُتعلِّمِ إلى مرحلة التمكُّن من اللغة التى يتعلَّمها.

- **أَقَلِّيةٌ لُغَوِيةٌ** Language Minority:

أقلِّيةٌ من الناس فى مجتمعٍ ما تتكلَّم لغةً خاصة بها وسط أكثرية تتكلم لغة مختلفة.

- **قُوَّةُ اللُّغَةِ** Language Power:

تأثيرُ لغةٍ ما وهيمنتها على الناطقين بها وعلى مُتعلِّميها.

- **ضَغْطُ اللُّغَةِ؛ ضَغْطٌ لُغَوِى** Language Pressure:

تأثيرُ لغةٍ ما على أفراد مجتمعٍ ثُنائى اللغة بالمُقارَنة مع تأثيرِ اللغةِ الأخرى.

- **تغير لغوى** Language Shift:

أن يتحوَّل شعب من لغته الأصلية إلى لغةٍ جديدة تحت ظروف السيطرة العسكرية أو الثقافية أو الاقتصادية.

- **مَكَانة اللغة** Language Status:

مَقام اللغة من حيث كَوْنُها عالمية أو محلية أو قومية أو دينية أو عِلْمية ... إلخ.

- **تَحَوُّلٌ لُغَوِى** Language Switch:

أن يتحوَّلَ الشخصُ ثنائى اللغة من لغةٍ إلى أخرى أثناء كلامِهِ بصورةٍ تلقائية أو بصورةٍ مُتعمَّدة إذا لم يستطع التعبير بإحدى اللغتين.

- **اسْتِخْدامُ اللُّغَةِ، اسْتِعْمالُ اللُّغَةِ** Language Use:

أَحَدُ عوامِلِ نُمُوِّ قدرة الفردِ فى لغةٍ ما.

- **تَنَوُّعاتُ اللُّغَةِ** Language Varieties:

اللهجات المختلفة لِلُّغَةِ الواحدة من مثل اللهجات المحلية والجغرافية والاجتماعية والعامِّية والفصيحة.

- **لُغَةٌ مُشْتَرَكَةٌ** Lingua Franca:

١- أَيةُ لغةٍ مُشْتَرَكَة مُولَّدَة من عِدَّة لغات تستخدمها جماعات كوسيلة للتفاهُم المُتبادَل بينها بسبب الاختلاف بين لغات هذه الجماعات.

٢- لغة معظمها مُسْتَمَد من الإيطالية ممزوجة بالفرنسية والإسبانية واليونانية والعربية مُسْتَخْدَمَة فى موانئ البحر الأبيض المتوسط.

- **الإبادة اللغوية** Linguicide:

هى العملية التى تؤدّى إلى موت لغة ما فى مجتمع من الناطقين بلغة واحدة وذلك عندما يكون هذا المجتمع ثنائى اللغة ويتحوَّل ولاؤه تدريجيا للغة الثانية حتى يتوقَّف عن استخدام اللغة الأصلية أو الموروثة، وتتعدد وسائل الإبادة اللغوية: عسكرية، اقتصادية، سياسية ... إلخ.

- **تَنَوُّعٌ لُغَوى** Linguistic Diversity:

أن تختلفَ طريقةُ الأداءِ اللغوى من شخصٍ إلى آخَر، ومن إقليم إلى آخَر، ومن مَوْقِفٍ إلى آخَر، ومن زمنٍ إلى آخَر، ومن أبْرَز مظاهر هذا التنوُّع وجود اللهجات الجغرافية والاجتماعية والفَرْدية ضِمْنَ اللغة الواحدة.

- **هَيمَنَةٌ لُغَويةٌ** Linguistic Dominance:

أن تُسيطرَ لَغةٌ على أخرى لدى شخصٍ ثنائى اللغة، وتكون اللغة المُهَيمِنة هى اللغة التى يتْقِنُها المَرْءُ أكثرَ من الأخرى.

- **قَلَقٌ لُغَوى، انْعِدامُ الأمْنِ اللُّغَوى** Linguistic Insecurity:

شعور بالَقلق يحِسُّ به أفرادُ أقَلِّيةٍ يرَوْنَ أن لغتهم أو لهجتهم أقَلُّ شأنًا من اللغة السائِدَة أو اللهجة السائدة حولهم، وأن لغتهم أو لهجتهم فى خطر، ومهددة بالانحسار أو الزوال.

- **أقَلِّيةٌ لُغَويةٌ** Linguistic Minority:

أقَلِّيةٌ من الناس تتكلَّم لُغَةً خاصَّة وَسطَ أكثَريةٍ تتكلَّم لُغَةً مختلفة.

- **لُغَةٌ حَيةٌ** Living Language:

لُغةُ التفكير والاستعمال اليومى للأعم الأغلب، من الناس، تُقابلها اللغة المَيتة أو البائدة.

- **لَهْجَةٌ مَحَلِّيةٌ** Local Accent / Local Dialect:

لهجة جغرافية يخْتَصُّ بها إقليمٌ أو مدينةٌ ما.

- **لُغَةٌ حديثةٌ** Modern Language:

المرحلة الأخيرة من تطوُّرِ لغةٍ ما.

- **أُحادِى اللُّغَةِ** Monolingual:

١- شخصٌ يعْرِفُ لُغَةً واحدةً فقط.

٢- صفةٌ لمجتمعٍ أو شخصٍ أو كتابٍ ذى لغةٍ واحدةٍ.

- **العُرْف** Mores:

مجموعة العادات الاجتماعية التى اضطرد سلوك الجماعة عليها، والتى استقر فى ضمير الجماعة أنها أصبحت ملزمة.

- **اللُّغَةُ الأُمُّ** Mother Tongue:

اللُّغَةُ الأُولَى التى يتعلَّمها الطفلُ فى البَيتِ من والِدَيهِ عادةً، ودور الأم هنا دور فاعل وأكثر تأثيرًا؛ لذلك سميت نسبة إلى الأم.

- **مُتعَدِّدُ اللُّغاتِ** Multilingual:

١- شخص يتكلَّم أكثر من لغتين.

٢- صفةٌ لمجتمعٍ أو بلدٍ فيه ثلاثُ لغاتٍ مُسْتَعْمَلةٍ أو أكثر.

- **تَعَدُّدُ اللُّغاتِ** Multilingualism:

أن يستعملَ شخصٌ ما أو مجتمعٌ ما أكثر من لغتين.

- **لُغَةٌ قَوْمِيةٌ** National Language:

١- اللغة الوحيدة المُستخدَمَة فى عِدَّة بلدانٍ تنتمى إلى أُمَّةٍ واحدة، مثل اللغة العربية فى البلاد العربية.

٢- اللغة المُشْتَرَكَة بين عِدَّةِ أقوامٍ تَسْكُنُ بَلَدًا واحدًا ولكل منها لغته الخاصَّة.

- **ثقافة قومية** Native Culture:

الثقافة التى تحتوى عليها اللغة الأُمّ، وهى تختلف عن الثقافة الأجنبية التى تحتوى عليها اللغة الأجنبية.

- **لُغَةٌ وَطَنِيةٌ، لُغَةٌ أَصْلِيةٌ** Native Language:

١- اللغة الأولى لمعْظَم أفراد شَعْبٍ ما فى بلدٍ ما.

٢- اللغة الأولى ولغة التفكير لشخصٍ ما.

- **ناطِق أصيل** Native Speaker:

شخص يتكلَّم لُغَتَهُ الأُمّ.

- **بائدٌ، مهجورٌ** Obsolescent:

صِفةٌ لكلمةٍ أو تعبيرٍ لم يعُدْ مُستَعْمَلًا حاليًّا.

- **لُغةٌ رَسْمِيةٌ** Official Language:

اللغة التى تتبنَّاها حكومة ما لتكون لغة المُعامَلات الرسمية ولغة التعليم والتخاطُب الرسمى، وقد تختلف هذه اللغة عن اللغة الأولى؛ إذ قد تكون لغة أجنبية يتم اختيارها لتكون لغة رسمية تحاشيا لاضطراباتٍ داخلية قد تنشأ إذا اخْتِيرَت لغة محلية دون سواها فى مجتمعٍ مُتعدِّد اللغات.

- **جماعة الأقران / النظراء** Peer Group:

هى الجماعة التى يرافقها الفرد، وعادة ما يكون أعضاؤها فى وَضْع أو مَرْكَز اجتماعى مُتقارِب، أو يشتركون فى خصائص مُعينة كالسِّن والمهنة والجنس.

- **اللُّغةُ الفِينيقيةُ** Phoenician:

لُغةٌ بائدة تنتمى إلى اللُّغات الكَنْعانية التى تُمثِّل الفرعَ الشمالى للمجموعة السَّامِيةِ الغربية ضِمْنَ العائلة السَّامِيةِ الحامِيةِ، وكانت مُستخدَمَةً على ساحلِ بلاد الشَّامِ.

- **لُغَةٌ هَجينٌ** Pidgin:

لغة عامِّية مُبسَّطة تُسْتَخْدَم للتفاهُم بين جماعات مختلفة اللغات وبخاصَّة فى الموانئ وللأغراض التجارية.

- **المَجْموعةُ البُولِينيزيةُ** Polynesian Group:

فرعٌ من العائلة الملاوية البُولِينيزية يشْمَلُ عِدَّةَ لُغاتٍ يستخدمُها حوالى نصف مليون شخصٍ ينتشـرون فى المِنْطقة الميلانيزية، التى تشمل جُزُرًا مثل سامُوا ونيوزيلندا وتاهيتى وهاواى، وتشملُ هذه المجموعةُ لُغاتِ جُزُر المحيط الهادى باستثناء غينيا الجديدة وأستراليا وتِسْمانِيا، ومن أمثلة لغات هذه المجموعة: الماوُرِية والفيجِية واليابِية والهاوايية.

- **لَهْجَةٌ مَرْمُوقَةٌ** Prestige Dialect:

لهجة اجتماعية أو جغرافية تُصبح شكلًا مِعْياريا للغةٍ ما.

- Primitive Language:

١- اللغَةُ الوَالِدَة: اللغة الأصلية التى تفرَّعت إلى عِدَّة لغات.

٢- لُغَة بِدائية.

- **لَهْجَةٌ إقليميةٌ** Regional Dialect:

لهجة يختصُّ بها سُكّانُ إقليمٍ ما.

- **لهجَةٌ رِيفِيةٌ** Rural Dialect:

لهجة خاصَّة بأهل الريف، وتُقابِلها اللهجة المَدينِية Urban Dialect.

- **اللُّغَةُ السَّنْسكْريتيةُ** Sanskrit:

لُغَةٌ بائدة تنتمى إلى الفرع الهندى من المجموعة الهندية الإيرانية ضمن العائلة الهندية الأوروبية، وقد انحدرت منها جميع اللغات الهندية.

- **لُغَةٌ سَامِيةٌ** Semitic Language:

لُغةٌ تنتمى إلى المجموعة السَّامية ضمن العائلة السامية الحامية، وسُمِّيت المجموعةُ بهذا الاسم نِسبةً إلى سام بن نوح.

- **جَماعَةٌ لُغَوِيةٌ** Speech Community:

جماعة من الناس تستعمل لغة واحدة للتفاهم بين أفرادها.

- **لُغَةٌ فُصْحَى، لُغَةٌ مَرْموقَةٌ** Standard Language:

١- لهجة تُعْتبَر المَرْكَز الذى تنتسب إليه اللهجات الأخرى فى اللغة الواحدة.

٢- لهجة أصبحت تُستعْمَل للعِلْم والأدب واكتسبت مركزًا مرموقًا بين اللهجات الأخرى وأصبح ينْظَر إليها باعتبارها أكثر صِحَّة ودِقَّة من اللهجات الأخرى التابعة للغةٍ ما، وتُدْعَى أيضًا «اللهجة الفصحى».

- **اللُّغَةُ التاجالوجيةُ** Tagalog:

لُغةٌ تنتمى إلى المجموعة الإندونيسية ضمن العائلة الملاوية البولينيزية، وهى اللغة الرسمية فى الفلبين.

- **مَعْرِفَة تقليدية** Traditional Knowledge:

مَجْمَل العلوم والمعارف والابتكارات والمُمارَسات الخاصَّة بالمجتمعات التقليدية والأصلية والمحلية، والتى تراكمت عَبْر العصور وتناقلتها الأجيال على نحو تلقائى، وتجلَّت فى شكل عادات وأعراف وطقوس وطرائق وممارسات ذات طابع مادى أو معنوى.

- **اللُّغةُ الأوجَاريتِيةُ** Ugaritic:

لغة سامِية بائدة (منقرضة) اكتُشِفَت نُقوشُها فى راس شَمْرة قرب اللّاذقية على الساحل السورى، وتنتمى هذه اللغة إلى العائلة السامِية الحامِية.

- **لُغَةٌ عالمِيةٌ** Universal Language:

١- لغة معروفة فى أجزاء كثيرة من العالَم، مثل اللغة الإنجليزية.

٢- لغة تَصْلُح لأن تكون لُغَةَ الناس جميعًا.

٣- هى اللغة التى يمكن أن يتكلم ويتفاهم بها جميع الناس فى العالم، وتُسْتخدَم على نطاق واسع فى العلم والتجارة والاقتصاد .. الخ

- **لَهْجَةٌ مَدِينِيةٌ** Urban Dialect:

لهجة فى لغةٍ ما يتكلَّمها سُكَّانُ المدُن وتُميزهم عن سكان الرِّيف.

- **التحَضُّر / التمَدُّن** Urbanization:

يقصد بمفهوم التحضُّر انتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة والاستقرار فيها، وما يترتَّب على ذلك من تغير فى خصائص السكان الريفيين على مستوى عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم، وبذلك ينطوى مفهوم التحضُّر على أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية ترافق عملية الانتقال أو تليها بعد حين.

فالتحضُّر بالمعنى السُّكّانى (الديموجرافى): هو انتقال مكان الإقامة من الأرياف إلى المدن، ولكنه بالمعنى الاجتماعى اكتساب عادات وتقاليد اجتماعية جديدة تظهر فى السلوك والممارسات اليومية كاختيار الفرد لشـروط السكن الذى يقيم فيه، ونماذج الألبسة التى يرتديها، وحتى المهن التى يمارسها.

وهو بالمعنى الثقافى يعنى: اكتساب الفرد مجموعة من القيم والمعايير التى يلجأ إليها فى الحكم على أنماط السلوك والأشياء المحيطة به.

- **لُغَةٌ عامِّيَّةٌ، لُغَةٌ مَحَلِّيَّةٌ** Vernacular Language:

١ – اللغة اليومية الدارجة.

٢ – لغة خاصَّة بإقليم أو جماعة أو مهنة.

- **اللُّغةُ الوُلُفِيةُ / لُغَةُ الوُلُف** Wolof:

لغة مُستعمَلَة فى داكار وحول مَصَبِّ نهر السنغال وتنتمى إلى المجموعة السودانية ضمن العائلة السودانية الغينية.

- **اللُّغةُ اليِيدِيةُ** Yiddish:

لهجة ألمانية تكثُر فيها الكلماتُ العِبْريةُ.

- **لُغَةُ اليرُوبا** Yoruba:

لُغَةٌ مُستخدَمَةٌ بين نهرى النيجر والفُولْتا وساحل العاج، وتنتمى إلى الفرع الغربى من المجموعة السودانية ضِمْنَ العائلة السُّودانية الغِينية.

أهم الأعلام الواردة فى الكتاب

- **أكيرا واى ياماموتو** Akira Y. Yamamoto

أكيرا ياماموتو أستاذ علم اللغة والأنثروبولوجيا بجامعة كنساس، وناشط فى مجال إحياء اللغات والثقافات المُهدَّدة، وله إسهامات وافرة فى مشروعات توثيق اللغات، وتدريب مُعلِّمى اللغة، وتطوير البرامج اللغوية.

عمل ياماموتو على توحيد الجهود بين الجماعات اللغوية الأصلية والمؤسَّسات اللغوية المُتخصِّصة للخروج ببرامج تضمن فاعلية عملية الإحياء واستمرارها.

- **إلياس عطا الله** Elias A'tallah

إلياس ذيب عطا الله (١٩٤٧م) أكاديمى وعالم لغة، فلسطينى، وُلِدَ فى قرية إقرث المهجَّر أهلها، حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة فقه اللّغة العربية، ونشر عشرات الأبحاث فى علوم اللغة العربية. ومع رفيقة دربه روضة بشارة عطا الله (١٩٥٣م – ٢٠١٣م) – مديرة «جمعية الثقافة العربية» – شارك الدكتور إلياس فى تأسيس مشاريع ميدانية كبيرة فى خدمة اللغة والهوية العربية.

من كتبه: «الأفعال الثلاثية المضاعفة، معجم ودراسة» (٢٠١٣م)، «معجم الأفعال الرباعية فى اللغة العربية المحكية فى الجليل، تأثيلى دلالىّ» (٢٠١٠م)، «المصطلحات المستعملة فى كتب تدريس قواعد اللغة العربية، وواضعوها، عربى – إنجليزى، دراسة ومعجم» (٢٠٠٧م)، «الأثول الثنائيّة فى العربية، معجم ودراسة» (٢٠٠٥م)، «معجم الأفعال الرباعية فى العربية، تأثيلى دلالىّ» (٢٠٠٥م)، «رسالة فى تيسير الإملاء القياسى، دراسة ومعجم» (٢٠٠٥م) «معجم المصطلحات القواعدية الكلاسيكية» (٢٠٠٥م).

وشارك د. عطا الله فى العديد من المؤتمرات العلمية، ويعمل حاليًّا مُحاضِرًا فى علوم اللغة العربية فى الكلّية الأكاديمية العربية فى حيفا، وهو عضو المجلس العلمى لمعجم الدّوحة التّاريخى للّغة العربية.

- **أندرو دالبى** Andrew Dalby

أندرو دالبى (ليفربول، ١٩٤٧م) لُغَوى إنجليزى، ومُتَرْجِم، ومؤرِّخ، له عدَّة كتب ومقالات فى تاريخ الطعام، واللغة، والنصوص القديمة.

- **أنطونيو دى نبريخا** Antonio de Nebrija

أنطونيو مارتينث دى كالا أى خارابا (١٤٤١م- ٥ يوليو ١٥٢٢م) اشتهر بـ«أنطونيو دى نبريخا»، عالم إنسانى إسبانى اشتهر مُعلِّمًا فى الكلية الملكية فى جامعة بولونيا بإيطاليا، واحتل «نبريخا» مكانًا بارزًا فى تاريخ اللغة الإسبانية، حيث إنه كان رائدًا فى كتابة علم النحو فى عام ١٤٩٢م.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه كتب قاموسًا إسبانيًّا - لاتينيًّا عام ١٤٩٤م، وكان أيضًا مؤرِّخًا ومربِّيًا وعالِمًا نحويًا وعالِمَ فلك وشاعرًا، وتُوفِى فى ألكالا دى إيناريس، بمدريد فى ٥ يوليو ١٥٢٢م.

- **إيرنست أنطوان سيلييه** Ernest Antoine Seillière:

وُلِدَ فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٣٧م فى «نويلى سور سين» Neuilly Sur Se فى فرنسا، وسيلييه رجل أعمال فرنسى، ورئيس ليندل والاستثمار للشركات القابضة، ورئيس ميديف، وتنظيم رجال الأعمال فى فرنسا.

- **إيزابيلا الأولى** Isabella I:

الملكة إيزابيلا الأولى (٢٢ أبريل ١٤٥١م - ٢٦ نوفمبر ١٥٠٤م) ملكة صقلية (١٤٦٩م- ١٥٠٤م) وملكة قشتالة وليون (١٤٧٤م - ١٥٠٤م)، ثم إسبانيا بعد وحدتها مع مملكة أراجون (١٤٧٩م-١٥٠٤م)، وملكة نابولى (١٥٠٤م)، كانت لقراراتها آثار عظيمة فى تاريخ إسبانيا.

سُمِّيت إيزابيلا ولىَّ عهد تاج كاستيا من قِبَل أخيها غير الشقيق هنرى الرابع ملك كاستيا، وأصبحت ملكة كاستيا فى ١٤٦٩م.

بلغت اللغة القشتالية، فى عهدها أوجها، بعد كتابة معجم للغة، لتصبح بعدها اللغة الإسبانية المعروفة حاليًّا.

■ **باولو فريرى** Paulo Freire:

باولو ريجلوس نيفيس فريرى (ريسيف، بيرنامبوكو، ١٩ سبتمبر ١٩٢١م – ساوباولو ٢ مايو ١٩٩٧م)، معلم برازيلى وصاحب نظريات ذات تأثير كبير فى مجال التعليم.

التحق فريرى بكلية الحقوق، جامعة ريسيف فى ١٩٤٣م، وهناك درس الفلسفة وعلم نفس اللغة فى الوقت نفسه.

كان يرى فى التعليم وسيلة للثورة على القهر، وصولًا إلى الحرية وتمكين المقهورين من مُقدَّراتهم، ومنهجه فى تحقيق ذلك يرتكز على «الحوار» الذى يتبادل فيه المعلِّم والمتعلِّم أدوارهما، فيتعلَّم كل منهما من الآخر، ويصبح موضوع الحوار الذى يدور فى الغالب حول أوضاع المتعلِّمين المقهورين الحياتية هو المدخل إلى تعليمهم القراءة والكتابة، وهذا المنهج مُناقِض لمنهج آخر أسماه فريرى «التعليم البنكى» الذى يقوم فيه المعلم بإيداع المعلومات التى تحتويها المقرَّرات – سابقة التجهيز – فى أدمغة المتعلِّمين الذين يقتصر دورهم على التلقى السلبى لتلك الإيداعات، ومن شأن ذلك – التعليم البنكى أن يخْرِج قوالب مُكرَّرة من البشر تسهم فى تكريس الوضع القائم، ولا تسعى إلى تغييره مهما احتوى على أوضاع جائرة!

لذلك وضع «فريرى» عدة كتب بث فيها عصارة أفكاره، ومن أهمِّها كتاب «تربية الحرية.. الأخلاق والديمقراطية والشجاعة المدنية»، الذى يربط فيه بين أبعاد تربية الحرية (الأخلاق والديمقراطية والشجاعة المدنية)، ويبين الخطوط الفاصلة بين أن يكون التعليم أداة للقهر أو طاقة للتحرُّر؛ حيث يرى «فريرى» أن المسؤولية الأخلاقية فى ممارسة مهنة التعليم وفى عملية إعداد المعلمين – لا ينبغى أن تُخْتَزل أبدًا فى صورة تدريب، بل يجب أن تتجاوز الإعداد الفنى، وأن ترتبط بجذور التشكيل الأخلاقى للذات الإنسانية والتاريخ الإنسانى، وبالتالى يجب أن تلتصق المسؤولية الأخلاقية بالمهنة التعليمية.

■ **بروس كونيل** Bruce Connell

بروس كونيل عالِم لغة كندى، وأستاذ علم اللغة والدراسات اللغوية بـــ«جليندون كوليدج»، جامعة يورك ـــ تورنتو، وباحث مساعد بجامعة كِنت البريطانية.

يمتلك كونيل خبرة طويلة فى البحث الميدانى اللغوى؛ فهو مُنسِّق ميدانى لمشروعات توثيق اللغات المهدَّدة بالانقراض، كما أنه ابتكر طرقًا جديدة لتدريب اللغويين على

عملية التوثيق، وقد تركَّزت أبحاث كونيل على لغات المنطقة الحدودية بين نيجيريا والكاميرون، وفى عام ٢٠٠٦م منحته الجمعية اللغوية النيجيرية جائزة اليوبيل الفضى لأعماله وجهوده الداعمة لتطوير اللغات النيجيرية.

- **بنيامين لى وورف** Benjamin Lee Whorf

بنيامين لى وورف (٢٤ أبريل ١٨٩٧م - ٢٦ يوليو ١٩٤١م) عالِم لغة أمريكى ومهندس مكافحة الحرائق، يشتهر وورف بتبنّيه للنظرية القائلة بأن اختلاف النحو بين اللغات يجعل تصوُّر العالم وفهمه مختلفًا عند كل مجموعة لغوية، وقد اشتهر هذا المفهوم بنظرية وورف وسابير، نسبةً له ولأستاذه إدوارد سابير، لكن وورف فضَّل تسميتها بالنسبية اللغوية؛ وذلك لأنه اعتقد بأن بها شبهًا بنظرية النسبية لأينشتاين.

- **بوجون** Bogon

بوجون هو آخر مُتحدِّث للغة كاساب (أو كاسابى) KASABE، وهى إحدى لغات الكاميرون المنقرضة التى كان يُتحدَّث بها فى مامبيلا MAMBILA بمنطقة نيالانج NYALANG، وقد تُوُفى بوجون فى الخامس من نوفمبر عام ١٩٩٥م.

- **بيتر رامسوير** Peter Ramsauer

بيتر رامسوير (١٠ فبراير ١٩٥٤م) سياسى ألمانى، رئيس لجنة الشؤون الاقتصادية والطاقة بالبرلمان الألمانى، ورئيس غرفة التجارة والصناعة الألمانية العربية.

تولىَّ وزارة النقل والبناء والتنمية العمرانية فى الفترة الثانية لولاية المستشارة الألمانية «ميركل».

- **جان راسين** Jean Racine

جان راسين (١٦٣٩م - ١٦٩٩م) شاعر وكاتب مسرحى فرنسى، وأحد «الثلاثة الكبار» فى فرنسا فى القرن السابع عشر (مع موليير وكورنى)، وهو من أهم الشخصيات الأدبية فى التراث الغربى.

- **جان زيجلر** Jean Ziegler

جان زيجلر (١٩ أبريل ١٩٣٤م) باحث وسياسى، وعالم اجتماع، وأستاذ بجامعتى جنيف بسويسرا والسوربون بباريس، عمل ثمانى سنوات مُقرِّرًا خاصًّا لبرنامج الغذاء فى الأمم المتحدة، وله العديد من الكتب التى تُرْجِم بعضها إلى اللغة العربية، ومنها:

«ضد النظام العالمى» (١٩٨٣م)، «أمراء الجريمة» (١٩٩٨م)، «كتاب الرأسمالية الأسود» (١٩٩٨م)، «سادة العالم الجدد» (٢٠٠٢م)، «إمبراطورية العار» (٢٠٠٥م)، «كراهية الغرب» (٢٠٠٨م)، وغير ذلك من الكتب والمقالات.

- **جان فرانسوا شامبليون** Jean-François Champollion

جان فرانسوا شامبليون (١٧٩٠م – ١٨٣٢م) هو العالِم الفرنسى الذى فَكَّ رموز اللغة المصرية القديمة بعد استعانته بحجر رشيد الذى كان قد اكْتُشِفَ أثناء الحملة الفرنسية على مصر، فقد نُقش على الحجر نص بلغتين وثلاث كتابات: المصرية القديمة وهى مكتوبة بالهيروغليفية وتعنى الكتابة المقدسة، لأنها كانت مُخصَّصة للكتابة داخل المعابد، والديموطيقية وتعنى الخط أو الكتابة الشعبية، واللغة اليونانية بالأبجدية اليونانية، ومن خلال المقارنة بينهم نجح فى فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية.

- **جوشوا فيشمان** Joshua Fishman

جوشوا فيشمان (١٨ يوليو ١٩٢٦م – ١ مارس ٢٠١٥م) لغوى أمريكى، تخصَّص فى علم الاجتماع اللغوى، والتخطيط اللغوى، والتعليم، وازدواجية اللغة، والأقليات اللغوية.

طوال حياته المهنية الطويلة نشر جوشوا فيشمان ما يقارِب مئة كتاب وأكثر من ألف مقال، ولم يكن فقط غزير الإنتاج العلمى، بل كانت أفكاره أصلية ومُعقَّدة، أثَّرت تأثيرًا كبيرًا فى العالَم الأكاديمى، وكانت أعماله مفيدة أيضًا بالنسبة للأقليات اللغوية فى العالم، وهو صاحب أول دراسة رئيسية لعلم الاجتماع اللغوى، بعنوان «الولاء واللغة فى الولايات المتحدة»، والتى نُشِرَت فى عام ١٩٦٤م، وبعد ذلك بعام، قام بنشر كتاب «اليديشية فى أمريكا»، وفى عام ١٩٦٨م نشر أول عمل حول «السياسة اللغوية ومشاكل اللغة فى الدول النامية»، وفى العام نفسه أشرف على نشر كتاب «قراءات فى علم الاجتماع اللغوى»، وهى أول محاولة لتحديد الحقل الجديد.

وخلال السبعينيات تم الاعتراف بأعمال جوشوا فيشمان العلمية فى جميع أنحاء العالم؛ نظرًا لأهميتها إزاء قضايا اللغة السائدة فى المجتمع، وفى عام ١٩٧٣م أسَّس المجلة الدولية لعلم الاجتماع اللغوى، ومنذ ذلك الحين أصبح رئيس تحريرها، وهى مجلة ذات سمعة دولية متميزة.

بالإضافة إلى القيام بأبحاث رائدة – أسدى النصيحة لعدد كبير من الطلاب، وتحاور معهم استجابة لكثير من الذين طلبوا الحصول على المشورة، وقام بتشجيع أنشطة أولئك الذين يسعون للحفاظ على اللغات المهددة بالانقراض، وسيذكر له التاريخ ما قام به من أجل الحفاظ على لغة الماورى فى نيوزيلندا، وكطلان والباسك فى إسبانيا، ونافاجو واللغات الهندية الأخرى، وما أسداه للناطقين بلغة الكيشوا والأيمارا فى أمريكا الجنوبية، والعديد من المجموعات اللغوية الأقلية الأخرى لمدة ربع قرن.

كما كان فيشمان يكتب عمودًا حول علم اللغة الاجتماعى كل ثلاثة أشهر فى مجلة «أفن شفال» ، كما كتب بانتظام فى الموضوعات اللغوية الاجتماعية العامة فى مجلة «فورفيرتس» الأسبوعية، وبالتعاون مع زوجته جيلا فيشمان أسَّس موسوعة خمسة أجيال لعائلته «المحفوظات العائلية لفيشمان» فى مكتبة جامعة ستانفورد، وفى عام ٢٠٠٤م حصل على جائزة اليونسكو «لينكوا باكس» المرموقة فى برشلونة بإسبانيا.

وواصل جوشوا فيشمان نشر أبحاثه الغزيرة حتى مارس ٢٠١٥م، وتحديدًا فى ميدان الدراسات الحديثة حول ثنائية اللغة، وتعدُّد اللغات، والتعليم، وإشكالية اللغات، والأقليات، والعلاقة بين اللغة والفكر، وعلم الاجتماع، والتاريخ الاجتماعى، كما نشر حول السياسة اللغوية والتخطيط، وانتشار اللغة، وتحوُّل اللغة، والحفاظ على اللغة، واللغة والقومية، واللغة والعرق، واللغة الإنجليزية فى مرحلة ما بعد الإمبراطورية، واللغات فى نيويورك، والعرقية، والجهود الوطنية الرامية إلى عكس تحوُّل اللغة.

وقد ألهم عمله العلمى حول الأقليات كل المناضلين من أجل الحفاظ على اللغات والثقافات الأصلية.

- **جون ويسلى باول** John Wesley Powell

جون ويسلى باول (١٨٣٤م–١٩٠٢م) جيولوجى أمريكى ومُتخصِّص فى علم الأجناس.

فى عام ١٨٦٧م شرع بسلسلة بعثات إلى جبال روكى ووديان أنهار جرين وكولورادو، واستطاع حينها جمع معلومات ثمينة كثيرة عن علم طبقات الأرض، وقام أيضًا بدراسة خاصَّة عن الهنود ولغاتهم.

- **جيدو فيسترفيله** Guido Westerwelle

جيدو فيسترفيله (٢٧ ديسمبر ١٩٦١م) وزير خارجية ألمانيا ونائب مستشارتها أنجيلا ميركل منذ أكتوبر ٢٠٠٩م.

تخرَّج فى مدرسة إرنست موريتس أرندت الثانوية فى عام ١٩٨٠م وهى السنة نفسها التى انضم فيها لعضوية الحزب الديمقراطى الحُرّ، ثم درس القانون فى جامعة بون، ومارس مهنة المحاماة بين عامى ١٩٩١م و١٩٩٤م، وتدرَّجت مسيرته فى الحزب الديمقراطى الحر، حيث شغل منصب رئيس الشباب فيه عام ١٩٨٨م، ورئاسة فرعه فى بون عام ١٩٩٣م، وأمانته العامة عام ١٩٩٤م، ثم أُنْتُخِبَ رئيسًا للحزب فى مايو ٢٠٠١م واستمر فى هذا المنصب إلى مايو ٢٠١١م، حيث تخلَّى عن رئاسة الحزب.

فى انتخابات ٢٠٠٩م تمكن فيسترفيله بعد حصوله على ١٤,٦٪ من أصوات الناخبين الألمان من عقد تحالف مع حزب المستشارة الألمانية ميركل (الحزب المسيحى الديمقراطى) من أجل تشكيل حكومة تحالف، وقد حصل فيسترفيله بعد ذلك على منصب وزير الخارجية ونائب المستشارة الألمانية نتيجة لهذا التحالف، احتفظ فيسترفيله بمنصب وزير الخارجية حتى الآن، ولكنه فقد منصب نائب المستشارة الألمانية فى ٢٠١١م.

- **جيمس طوليفسون** James W. Tollefson

جيمس وِلْيم طوليفسون، أستاذ اللغة الإنجليزية بكلية التربية، جامعة هونج كونج، وأيضًا أستاذ فخرى بجامعة واشنطن، والجامعة المسيحية الدولية فى العاصمة اليابانية طوكيو، وقد عمل طوليفسون فى مجالس تحرير العديد من الصحف الرائدة فى مجال اللغة، ونشر أكثر من عشرة كتب وأكثر من مئة مقال فى السياسة اللغوية، وعِلْم اللغة الاجتماعى، وتعلُّم اللغة الثانية، وغيرها من الحقول اللغوية الأخرى.

- **دانيال بيل** Daniel Bell

دانيال بيل (نيويورك، ١٠ مايو ١٩١٩م) عالم اجتماع أمريكى، وكاتب، ومُحرِّر، وأستاذ فخرى فى جامعة هارفارد، ومدرس فى الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم.

تلقى بيل شهادات فخرية من ١٤ جامعة فى الولايات المتحدة، ومن جامعة كيوKEIO فى اليابان.

اشتهر بإسهاماته فى دراسة المجتمعات ما بعد الحقبة الصناعية، وتلقى جائزة Lifetime Achievement Award من الجمعية الأمريكية لعلوم الاجتماع عام ١٩٩٢م، وجائزة Talcott Parsons للعلوم الاجتماعية من الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم عام ١٩٩٣م، وقدَّمت له الحكومة الفرنسية جائزة Tocqueville عام ١٩٩٥م.

■ **ديفيد كريستال** David Crystal

ديفيد كريستال (ليزبورن، أيرلندا الشمالية، ١٩٤١م) لغوى، وأكاديمى، وكاتب بريطانى، حائز على رتبة الإمبراطورية البريطانية.

نشأ كريستال فى منطقة هولى هيد فى شمال ويلز، وفى ليفربول، حيث درس فى كلية القديسة مريم منذ العام ١٩٥١م، وقد درس كريستال اللغة الإنجليزية فى كلية لندن الجامعية فى الفترة الممتدة بين ١٩٥٩م و١٩٦٢م، وقد عمل باحثًا تحت إشراف راندولف كويرك بين ١٩٦٢م و١٩٦٣م، حيث عمل على استبيان يتعلَّق باستعمال اللغة الإنجليزية، وقد حاضر منذ ذلك الحين فى جامعة بانجور وجامعة ريدينج، وهو حاليًّا أستاذ شرف فى اللغويات فى جامعة بانجور، ومن بين اهتماماته العديدة تعلُّم اللغة الإنجليزية وتدريسها، واللغويات الجنائية، وموت اللغة، بالإضافة إلى اهتماماته بالأسلوب اللغوى للإنجليزية، وشكسبير، وعلم المفردات، وعلم المعاجم.

ويعدُّ كريستال رئيس الجمعية الدولية لمدرِّسى اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، ومن أبنائه «بين كريستال» الذى أصبح مؤلفًا ومؤلفًا مشاركًا فى كتابين مع والده، وديفيد كريستال متقاعد من مجال التدريس الأكاديمى فى الجامعات، ويعمل حاليًّا كاتبًا ومحررًا واستشاريا، وقد حصل كريستال على رتبة الإمبراطورية البريطانية عام ١٩٩٥م، وأصبح زميلًا فى الأكاديمية البريطانية عام ٢٠٠٠م.

تجاوزت أعداد الكتب التى ألفها كريستال أو شارك فى تأليفها أو التى حرَّرها ١٠٠ كتاب فى العديد من الموضوعات، وهو مُتخصِّص فى وضع المراجع وتحريرها، ونذكر من هذه الأعمال «موسوعة كامبريدج للغة» (عام ١٩٨٧م) و«موسوعة كامبريدج للغة الإنجليزية» (عام ١٩٩٥م و٢٠٠٣م)، و«قاموس كامبريدج للتراجم».

كما كتب كريستال العديد من الكتب غير المتخصِّصة فى اللغويات، عمد فيها إلى استخدام الرسوم البيانية والمقالات المخْتَصَـرَة بغية إيصال المعلومات بيسـر للقارئ غير المتعمِّق فى هذا المجال.

وطرح ديفيد كريستال فرضية تقول بأن اللغة الإنجليزية ستنقسم، ومن ثم ستعود بعد ذلك إلى نقطة تجمُّع موحَّدة، حيث أشار إلى أنه مع مرور الزمن لن تبقى اللهجات المحلية للغة الإنجليزية مفهومة فيما بينها بشكل تبادلى، ولذلك يكون من الضرورى العودة إلى ما أسماه اللغة الإنجليزية المحْكِية العالمية الموحَّدة.

وقد ذكر كريستال فى كتابه «حكايات اللغة الإنجليزية» الصادر عام ٢٠٠٤م أهمية التنوع اللغوى واحترام اللهجات الأخرى غير الرسمية للغة الإنجليزية، كما أن كريستال من الرائدين فى مجال جديد من اللغويات أطلق عليه اسم «لغويات الإنترنت»، وله العديد من الأعمال خارج نطاق اللغويات كالشعر والمسـرحيات والتراجم، وهو كاثوليكى فى اعتقاده، وله العديد من الأشعار والمقالات الروحانية التعبُّدية.

وقد كان لكريستال أثر مهم فى الحملات التى حالت دون هدم معبد فى هولى هيد، وما يزال كريستال يسهم فى العديد من برامج الراديو والتليفزيون، وقد عمل مع البى بى سى القناة الرابعة؛ حيث قدَّم برنامجًا حول القضايا المُتعلِّقة باللغة، أما حاليًّا فهو يعمل مع البى بى سى من خلال الموقع الإلكترونى، حيث يصدر بعض النشرات لمُتعلِّمى اللغة الإنجليزية.

أسهم ديفيد كريستال – نظرًا لطبيعة اختصاصه – فى تطوُّر اللغة الإنجليزية فى إصدار العديد من المسـرحيات والأفلام لشكسبير فى العامين ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م، حيث صدرت هذه المسرحيات – التى كان كريستال من ضمن المشـرفين عليها – بالنظام الصوتى الأصلى لها فى الفترة التى كُتِبَت فيها، حيث كان يساعد الممثلين على النطق الصحيح للكلمات والجمل كما كان ينطقها أهلها فى تلك الفترة.

وصدر له عام (٢٠٠٨م) كتاب شائق حول اللغة المتداوَلة فى الرسائل النصية الخلوية والمحادثة عبر الإنترنت، تناول فيه مظاهر هذا التحول فى طريقة الكتابة على الصعيد الرقمى وأثر ذلك على المجتمع، كما نشـر مذكراته عام ٢٠٠٩م فى كتاب صدر عن دار النشـر (روتلدج) أسماه:

«Just a Phrase I'm going through: My Life in Language».

- **ديفيد معلوف** David Ma'louf

ديفيد جورج جوزيف معلوف (٢٠ مارس ١٩٣٤م) شاعر وروائى أسترالى حصل على جوائز أدبية عِدَّة، من بينها جائزة (باسكال) فى العام ١٩٨٨م، وجائزة (الكومونويلث) للقصة عن روايته «العالم الكبير» فى العام ١٩٩١م، وجائزة (فمينا اترانجيه) الفرنسية لأفضل رواية أجنبية، إضافة إلى جائزة (إيمباك) التى حصل عليها عام ١٩٩٦م.

ديفيد معلوف من أصل لبنانى بعيد؛ إذ هاجر جده إلى أستراليا عام ١٨٨٠م وظل هناك فترة طويلة دون أن يتمكَّن من الحصول على الجنسية الأسترالية، لكن حفيده ديفيد

استطاع بعد قرن من الزمان أن يصبح واحدًا من شعراء أستراليا وروائييها الذين يرفعون اسمها عاليًا فى سماء الثقافة فى العالم.

وُلِدَ ديفيد معلوف فى بريسبان بكوينز لاند عام ١٩٣٤م، ودرس فى جامعتها ودرّس فيها لمدة عامين، ثم غادرها فى سن الرابعة والعشرين إلى لندن ليبقى هناك مدة عشر سنوات، ثم يعود بعدها إلى سيدنى عام ١٩٦٨م ليدرِّس فى جامعتها إلى عام ١٩٧٧م حيث تفرَّغ بعدها للكتابة مُتنقلًا بين أستراليا وتوسكانيا فى إيطاليا، وأنجز معلوف عددًا كبيرًا من الروايات منها: «جونو» (١٩٧٥م)، و«حياة متخيلة» (١٩٧٨م)، و«العالم الكبير» (١٩٩٠م)، و«تذكر بابل» (١٩٩٣م)، إضافة إلى عدد من المجموعات القصصية: «لعبة أطفال» (١٩٨٢م)، و«حكايات لم تُحْك» (١٩٩٩م)، و«مجرد أحلام» (٢٠٠٠م)، وهو فى الوقت نفسه من أهم شعراء أستراليا فى الوقت الحاضر، ومن مجموعاته الشعرية: «دراجة وقصائد أخرى» (١٩٧٠)، و«أشعار ١٩٧٥م- ١٩٧٦ ١٩٧٦»، و«ليمونات برية» (١٩٨٠م).

- **سيرجى لاتوش** Serge Latouche

سيرجى لاتوش (١٢يناير١٩٤٠م) أستاذ فخرى فرنسى فى علم الاقتصاد بجامعة باريس الحادية عشرة، ويعمل فى مجلة «موس» الفرنسية الشهيرة، وهو حاصل على درجة علمية فى العلوم السياسية والفلسفة والاقتصاد، وقد ألّف «لاتوش» عددًا من الكتب على امتداد ثلاثين عامًا من حياته الفكرية، ومنها: «نقد الإمبريالية» (١٩٧٩م)، و«دعوى العمل الاجتماعى» (١٩٨٤م)، و«هل يجب رفض التنمية؟» (١٩٨٦م)، و«معمورة الغارقين» (١٩٩١م)، و«أفريقيا الأخرى» (١٩٩٨م)، و«أخطار السوق الكونية» (١٩٩٨م)، و«عدالة دون حدود – التحدى الأخلاقى فى اقتصاد مُعَوْلَم" (٢٠٠٤م).

- **صمويل هنتنجتون** Samuel Huntington

صمويل فيليبس هنتنجتون (١٨ أبريل ١٩٢٧م – ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م) عالِم سياسى أمريكى، وعمل بروفيسور فى جامعة هارفارد لـ ٥٨ عامًا، وكان مُفكِّرًا محافظًا، عمل فى عِدَّة مجالات فرعية منبثقة من العلوم السياسية والأعمال، تصفه جامعة هارفارد بمعلم جيل من العلماء فى مجالات متباينة على نطاق واسع، وأحد أكثر علماء السياسة تأثيرًا فى النصف الثانى من القرن العشرين.

أكثر ما عُرِفَ به على الصعيد العالمى أطروحته التى بعنوان «صراع الحضارات»، والتى جادل فيها بأن صراعات ما بعد الحرب الباردة لن تكون مُتمحورة حول خلاف أيديولوجيات بين الدول القومية، بل بسبب الاختلاف الثقافى والدينى بين الحضارات الكبرى فى العالم، وهو جدال تمسَّك به حتى وفاته.

ويُعَدُّ كتاب هنتنجتون الأول مقياسًا لدراسة كيفية تقاطع الشؤون العسكرية مع المجال السياسى، كما عُرِفَ عنه تحليله للتنمية السياسية والاقتصادية فى العالم الثالث، وقد صدر آخر كتبه فى العام ٢٠٠٤م، وكان تحليلًا للهوية القومية الأمريكية، وحدَّد ما اعتبرها مخاطر تُهدِّد الثقافة والقيم اللتين قامت عليهما الولايات المتحدة.

بالإضافة لعمله فى هارفارد، كان هنتنجتون مُخطِّطًا أمنيًّا فى إدارة الرئيس جيمى كارتر، وشارك فى تأسيس مجلة «فورين بوليسى»، وترأس عدة مراكز دراسات بحثية، كان ديمقراطيًّا وعمل مستشارًا لهوبرت همفرى، نائب الرئيس ليندون جونسون، تُوفى هنتنجتون فى ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م عن عمر ناهز الـ ٨١ عامًا.

■ **عبد السلام المسدى** Abdel Salam Al-Masdi

عبد السلام بن عبد السلام المسدى (٢٦ يناير ١٩٤٥م، صفاقس) عالِم لغوى، وأكاديمى، وكاتب، ودبلوماسى، ووزير التعليم العالى والبحث العلمى سابقًا فى تونس (١٩٨٧م – ١٩٨٩م)، وسفير لدى جامعة الدول العربية (١٩٨٩م – ١٩٩٠م)، وسفير لدى المملكة العربية السعودية (١٩٩٠م – ١٩٩١م)، وعضو اتحاد الكُتّاب التونسيين.

حصل على الجائزة التقديرية للجمهورية التونسية فى اللغة والآداب، وعلى وسام الاستقلال ووسام الجمهورية، وعلى جائزة العويس الثقافية للدراسات الأدبية والنقد، (الدورة الحادية عشرة ٢٠٠٨م – ٢٠٠٩م).

من مؤلفاته:

- الأسلوبية والأسلوب.
- التفكير اللسانى فى الحضارة العربية.
- قراءات مع الشابى والمتنبى والجاحظ وابن خلدون.
- النقد والحداثة.
- قاموس اللسانيات (عربى فرنسى – فرنسى عربى)، مع مقدمة فى علم المصطلح.
- اللسانيات وأسسها المعرفية.

- مراجع اللسانيات.
- مراجع النقد الحديث.
- قضية البنيوية: دراسة ونماذج.
- الشرط فى القرآن على نهج اللسانيات الوصفية.
- النظرية اللسانية والشعرية فى التراث العربى من خلال النصوص.
- فى آليات النقد الأدبى.

■ **فرانز فانون** Frantz Fanon

فرانز فانون (٢٠ يوليو ١٩٢٥م - ٦ ديسمبر ١٩٦١م) طبيب نفسانى وفيلسوف اجتماعى، من مواليد فور دو فرانس - جزر المارتنيك، عُرِفَ بنضاله من أجل الحرية وكان ضد التمييز والعنصرية.

خدم خلال الحرب العالمية الثانية فى جيش فرنسا، وحارب ضد النازيين. التحق بالمدرسة الطبية فى مدينة ليون، وتخصَّص فى الطب النفسى، ثم عمل طبيبًا عسكريًّا فى الجزائر فى فترة الاستعمار الفرنسى، كما عمل رئيسًا لقسم الطب النفسى فى مشفى البليدة ـ جوانفيل فى الجزائر، حيث انخرط منذ ذلك الحين فى صفوف جبهة التحرير الوطنى الجزائرية، وعالج ضحايا طرفى الصراع على الرغم من كونه مواطنًا فرنسيًّا، وفى عام ١٩٥٥م، انضم فرانز فانون طبيبًا إلى جبهة التحرير الوطنى الجزائرية (F.L.N)، وغادر سرًّا إلى تونس، وعمل طبيبًا فى مشفى منوبة، ومُحرِّرًا فى صحيفة «المجاهد» الناطقة باسم الجبهة، كما تولى مهمات تنظيمية مباشرة، وأخرى دبلوماسية وعسكرية ذات حساسية فائقة.

وفى ١٩٦٠م صار سفيرًا للحكومة الجزائرية المؤقتة فى غانا، وتُوفى فانون عن عمر يناهز السادسة والثلاثين، ودُفِنَ فى مقبرة مقاتلى الحرية الجزائريين.

■ **فلوريان كولماس** Florian Coulmas

فلوريان كولماس (هامبورج، ٥ يونيو ١٩٤٩م) أستاذ اللغة والدراسات اليابانية فى جامعة جيرهارد ميركيتر Gerhard Mercator فى دويزبرج Duisburg فى ألمانيا، وأستاذ

علم اللغة العام بجامعة دوسلدورف Düsseldorf، وعمل أستاذًا لعلم اللغة التطبيقى بجامعة تشو بطوكيو، وأستاذًا زائرًا لعلم اللغة بجامعة جورج تاون.

- **فولتير** Voltaire

فرانسوا مارى أرويه François-Marie Arouet (١٦٩٤م – ١٧٧٨م) المعروف باسم فولتير، وهو كاتب وفيلسوف فرنسى عاش فى عصر التنوير، ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحُريات المدنية؛ خاصة حرية العقيدة.

وكان فولتير كاتبًا غزير الإنتاج؛ حيث قام بكتابة أعمال فى كل الأشكال الأدبية تقريبًا؛ فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية، وأكثر من عشرين ألف خطاب، وكذلك أكثر من ألفين من الكتب والمنشورات.

وكان فولتير مُدافعًا صريحًا عن الإصلاح الاجتماعى على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة والعقوبات القاسية التى كان يتم تطبيقها على كل مَنْ يقوم بخرق هذه القوانين، وباعتباره مِمَّن برعوا فى فن المجادَلة والمناظَرَة الهجائية – فقد كان دائمًا ما يحْسِن استغلال أعماله لانتقاد دوجما الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية الموجودة فى عصره.

وكان فولتير أحد الشخصيات البارزة فى عصر التنوير (إلى جانب كل من مونتسكيو، وجون لوك، وتوماس هوبز، وجان جاك روسو)، حيث تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مُفكِّرين مُهمين تنتمى أفكارهم للثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.

- **فيليب دوست بلازى** Philippe Douste-Blazy

فيليب دوست بلازى (يناير ١٩٥٣م)، شغل منصب المستشار الخاص للأمين العام للأمم المتحدة حول التمويل المبتكر للتنمية، برتبة نائب الأمين العام.

يُعدُّ من أبرز الخبراء فى مجال التمويل المبتكر من أجل تحقيق أهداف الألفية للتنمية، وقد أسَّس «المجموعة الرائدة للجباية التضامنية لتمويل التنمية» فى فبراير ٢٠٠٦م خلال مؤتمر باريس حول «الآليات المبتكرة لتمويل التنمية».

شغل منصب المستشار الخاص فى فريق العمل رفيع المستوى المعنِىّ بالتمويل الدولى المبتكر للنظم الصحية، والذى يترأسه كلٌّ من روبرت زوليك رئيس البنك الدولى، وجوردون براون رئيس الوزراء البريطانى الأسبق.

فى أكتوبر ٢٠٠٦م، تم انتخابه رئيسًا لمؤسسة «يونيتيد» وهى منظمة متعددة الأطراف تجمع دول الشمال والجنوب، كما أنها شركة عالمية مَعْنِية بالصحة تحت مظلة الأمم المتحدة لمكافحة أمراض الإيدز والسُّل والمالاريا لدى الشعوب الأكثر ضعفًا الذين يعيش معظمهم فى دول تعصف بها النزاعات والحروب مثل هايتى، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وأوغاندا، وساحل العاج، ورواندا، ونيجيريا، وزمبابواى، وأنجولا، وغينيا، والسودان، وجمهورية كونغو الديمقراطية، وإيبرا، وغيرها.

شغل دوست بلازى مناصب وزارية متعددة فى بلده فرنسا، من ضمنها منصب وزير الصحة (١٩٩٣م - ١٩٩٥م)، ووزير الثقافة والاتصالات (١٩٩٥م - ١٩٩٧م)، ووزير التضامن والصحة والأسرة (٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م)، ووزير الخارجية (٢٠٠٥م - ٢٠٠٧م)، وقبل الدخول إلى عالم السياسة، كان السيد دوست بلازى يمارس مهنة طب القلب، وهو بروفيسور فى الصحة العامة فى جامعة تولوز فى فرنسا.

- **كاثرين تاسكا** Catherine Tasca

كاثرين تاسكا (١٣ ديسمبر ١٩٤١م، ليون) رئيسة الكتلة الاشتراكية فى مجلس الشيوخ الفرنسى، ونائبة رئيس المجلس، وشغلت منذ عام ٢٠٠٠م حتى ٢٠٠٢م منصب وزير الثقافة فى فرنسا.

- **كاميلو خوسيه سيلا** Camilo José Cela

كاميلو خوسيه سيلا (١٩١٦م - ٢٠٠٢م) أديب وشاعر إسبانى، حصل على جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٨٩م، وحارب إلى جانب فرانسيسكو فرانكوا فى الحرب الأهلية الإسبانية، ولكنه أصبح أحد منتقديه فيما بعد، وتأتى رواية «عائلة باسكوال دوارتى» التى نشرها عام ١٩٤٢م من بين أشهر أعماله.

قالت وزيرة الثقافة الإسبانية بيلار ديل كاستيو للإذاعة الحكومية: «فقدنا من يمكن أن نصفه بأبرز كتاب إسبانيا خلال النصف الثانى من القرن العشرين».

وأكدت ديل كاستيو حرية الفكر لدى سيلا، والتى جعلته يهجر السائد سواء فى الأسلوب الأدبى أو الاتجاه السياسى.

وعند منح سيلا جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م قالت الأكاديمية السويدية: إنها تمنح الجائزة «لأبرز شخصية فى التجديد الأدبى الإسبانى خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية».

- **كريستوفر كولومبوس** Christophorus Columbus

كريستوفر كولومبوس (أكتوبر ١٤٥١م – ٢٠ مايو ١٥٠٦) رحّالة إيطالى مشهور، ينْسَب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، وُلِدَ فى مدينة جنوة فى إيطاليا، ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية (وربما الفلك أيضًا) فى جامعة بافيا، وعَبَرَ المحيط الأطلسى ووصل الجزر الكاريبية فى ١٢ أكتوبر ١٤٩٢م، لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان فى رحلته الثانية عام ١٤٩٨م. بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية والأمريكية حتى قبل اكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقتٍ طويل، وقد اشتق من اسمه اسم دولة: كولومبيا.

- **كلود ليفى ستراوس** Claude Lévi-Strauss

كلود ليفى ستراوس (٢٨ نوفمبر ١٩٠٨م – ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩م)، عالِم اجتماع، وأنثروبولوجى فرنسى، وأحد أعمدة الفكر البنيوى.

تلقَّى ليفى ستراوس تعليمه الجامعى فى السوربون وتخرَّج فى كلية الحقوق عام ١٩٣١م. ثم التحق بالبعثة الجامعية الفرنسية فى البرازيل؛ حيث أصبح أستاذًا لعلم الاجتماع فى جامعة ساو باولو فى الفترة من ١٩٣٥م – ١٩٣٩م، وهى الفترة التى قام فيها بعمل أبحاث حقلية إثنوجرافية بين قبائل البوروروا فى وسط البرازيل، والتى على أساسها أقام نظريته فى علم الأساطير.

خدم فى الجيش الفرنسى مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم رحل إلى نيويورك حيث عمل أستاذًا زائرًا لأبحاث علم الاجتماع فى جامعة نيو سكول أوف سوشيال ريسيرش New School of Social Research بين عامى ١٩٤١م و١٩٤٥م، ثم عاد ليعمل أستاذًا لعلم الأديان فى مدرسة الدراسات العليا بالسوربون، ومنذ عام ١٩٥٩م، شغل ليفى ستراوس منصب أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى الكوليج دى فرانس، وانتُخب عام ١٩٧٣م عضوًا بالأكاديمية الفرنسية.

من أهم كتبه «الأبنية الأولية لعلاقات القرابة» (١٩٤٩م) الذى بلور فيه نظريته الخاصة القائلة بأن التبادل التعاقدى هو العامل الاجتماعى الأساسى، وفى كتاب «الأنثروبولوجيا

البنيوية» (١٩٥٨م)، بَلْوَرَ ليفى ستراوس نظريته الأنثروبولوجية مُتَّخِذًا اللغويات نموذجًا يحتذَى، ثم صدرت له مجموعة من الدراسات بعنوان «الأساطير أو مقدمة لعلم الميثولوجيا» (١٩٦٤م – ١٩٧١م) فى أربعة أجزاء: «النّيئ والمطبوخ»، و«من العسل إلى الرماد»، و«أصل آداب المائدة» و«الإنسان العارى».

■ **كمال بِشْر** Kamal Beshr

كمال محمد على بشـر (١٩٢١م – ٨ أغسطس ٢٠١٥م) شيخ اللغويين العرب، رائد علم اللغة الحديث، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية سابقًا.

وُلِدَ كمال بشر بمحلة دياى مركز دسوق محافظة كفر الشيخ عام ١٩٢١م. وحفظ القرآن وجوَّده بالكُتَّاب، والتحق بمعهد دسوق الدينى، ولما أنهى المرحلة الابتدائية انتقل إلى المعهد الثانوى الأزهرى بالإسكندرية، ومنه انتقل إلى معهد طنطا لينال منه الشهادة الثانوية، ثم التحق بدار العلوم جامعة القاهرة، ونال منها ليسانس اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (١٩٤٦م)، وحصل على دبلوم المعهد العالى للمُعلِّمين فى التربية وعلم النفس (١٩٤٨م)، ابْتُعِثَ إلى إنجلترا للتخصُّص فى علم اللغة، ومن جامعة لندن حصل على درجة الماجستير فى علم اللغة المقارن (١٩٥٣م)، وعلى درجة الدكتوراه فى علم اللغة والأصوات (١٩٥٦م)، تُوفىَ فى اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ٢٠١٥م، عن عمر يناهز ٩٤ عامًا بعد أن قضـى أكثر من نصف قرن فى خدمة اللغة العربية وعلومها.

عمل بشر فى العديد من الجامعات فى دول كثيرة – منها السعودية، وقطر، والإمارات، والكويت، والبحرين، والأردن، وتونس– أستاذًا لعلم اللغة العربية، ومُحكِّمًا للإنتاج العلمى فى مجال تخصُّصه، ومُشاركًا فى المؤتمرات اللغوية العلمية، وكاتبًا فى المجلات العلمية المتخصِّصة.

قدَّم بِشْر للمكتبة العربية عشـرات المؤلَّفات والأبحاث العلمية فى علوم اللغة، ومئات المقالات واللقاءات الإذاعية والتليفزيونية، وكان عضوًا بالمجلس القومى للتعليم والمجلس القومى للفنون والآداب، وعضوًا بالمجالس القومية المتخصِّصة، وعضوًا بالمجمع العلمى المصرى، ورئيسًا لجمعية «حماة اللغة العربية».

تم اختياره عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٥م، كما اختير عضوًا بالمجمع اللغوى بدمشق، ووصل إلى منصب الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ثم نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

نال بشر جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩١م، ووسام العلوم والفنون من الطبقتين الأولى والثانية.

- **كورنيليا بيبر** Cornelia Pieper

كورنيليا بيبر (فبراير ١٩٥٩م) مترجمة ألمانية، ووزيرة دولة.

حصلت على شهادة الثانوية العامة الألمانية (الأبيتور) فى هالى، ثم درست علوم اللغة التطبيقية والنظرية فى لايبتسيج ووارسو، وفى عام ١٩٨٢م حصلت على دبلومة الترجمة الفورية فى اللغتين البولندية والروسية.

عملت حتى عام ١٩٨٥م مترجمة فورية فى قطاعى السياحة والثقافة، ثم عملت موظفة فى مجال معالجة البيانات إلكترونيًّا فى مبنى الإذاعة والتليفزيون فى هالى، وفى الفترة من ١٩٨٧م حتى ١٩٩٠م عملت فى إدارة الثقافة والتعليم فى الرئاسة الإقليمية للحزب الليبرالى الديمقراطى/ الحزب الديقراطى الحُرّ. وفى الفترة من ١٩٩٥م إلى ١٩٩٦م تولت منصب أمين عام رابطة برلين للعمل الإنسانى، ومنذ منتصف عام ١٩٩٦م تعمل مترجمة حُرَّة.

وهى عضو مؤسس، وأول رئيسة لمؤسسة إرهارد – هوبينر فى ولاية زاكسن أنهالت، وحاليًّا هى عضو مجلس إدارة المؤسسة.

منذ عام ١٩٩٠م كانت عضوًا فى رئاسة الحزب الديمقراطى الحُرّ على مستوى ولاية زاكسن أنهالت، ومنذ ١٩٩٥م شغلت منصب رئيس هيئة رئاسة الحزب على مستوى الولاية ونائب رئيس دائرة الحزب فى هالى، ومنذ ١٩٩٣م كانت عضوًا فى الرئاسة الاتحادية للحزب الديمقراطى الحُرّ، وفى الفترة من ١٩٩٧م إلى ٢٠٠١م كانت نائب الرئيس الاتحادى للحزب، ومن عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠٠٥م شغلت منصب أمين عام الحزب الديمقراطى الحُرّ؛ ومنذ ٢٠٠٥م شغلت منصب نائب الرئيس الاتحادى للحزب الديمقراطى الحُرّ مرة أخرى، ثم تولَّت منصب نائبة الرئاسة الاتحادية للنساء الأحرار، وذلك فى الفترة من ١٩٩٠م حتى ١٩٩٤م، ومن أبريل حتى أكتوبر ٢٠٠٢م كانت عضوًا بالبرلمان بولاية زاكسن أنهالت، وفى الفترة من ١٩٩٠م حتى ١٩٩٤م

كانت نائب رئيس برلمان ولاية زاكسن أنهالت، ومن أبريل حتى أكتوبر ٢٠٠٢م كانت رئيس الكتلة البرلمانية للحزب الديمقراطى الحُرّ.

فى الفترة من ١٩٩٨م حتى مايو ٢٠٠٢م ومنذ أكتوبر ٢٠٠٢م كانت عضوًا فى البرلمان الألمانى، وشغلت منصب نائب رئيس الكتلة البرلمانية للحزب الديمقراطى الحُرّ فى الفترة من أكتوبر حتى يونيو ٢٠٠١م، وفى تلك الفترة ذاتها عملت أيضًا مُتحدِّثة لشؤون السياسة البحثية باسم كتلة الحزب الديمقراطى الحُرّ ورئيس لجنة التعليم والبحث العلمى وتقييم آثار التطبيقات التكنولوجية.

- **كويسى كوا براه** Kwesi Kwaa Prah

البروفيسور كويسى كواه براه عالِم اجتماع وأنثروبولوجى أفريقى، وهو مدير مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون جنوب أفريقيا، وقد عمل براه فى العديد من الجامعات فى أفريقيا وأوروبا وآسيا باحثًا وأستاذًا فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وله العديد من المؤلَّفات.

- **كويشيرو ماتسورا** Kōichirō Matsuura

كويشيرو ماتسورا (طوكيو، ١٩٣٧م) المدير العام السابق لليونسكو، درس فى كلية الحقوق بجامعة طوكيو وفى كلية هافرفورد للاقتصاد (بنسلفانيا، الولايات المتحدة)، ثم انخرط فى السلك الدبلوماسى منذ عام ١٩٥٩م، وأهم الوظائف التى شغلها ماتسورا فى وزارة الخارجية لبلده هى: المدير العام للتعاون الاقتصادى (١٩٨٨م)، والمدير العام لشؤون أمريكا الشمالية (١٩٩٠م)، ووكيل وزير(١٩٩٢م - ١٩٩٤م).

وشغل لمدة عام حتى نوفمبر ١٩٩٩م - وظيفة رئيس لجنة اليونسكو للتراث العالمى، وكان سفيرًا لليابان لدى فرنسا منذ العام ١٩٩٤م حتى تم انتخابه مديرًا عامًّا لليونسكو ١٩٩٩م، وأعاد المؤتمر العام لليونسكو فى دورته ٣٣، فى أكتوبر ٢٠٠٥م انتخابه لمدة أربع سنوات على رأس المنظمة.

- **مارى سميث جونز** Marie Smith Jones

مارى سميث جونز (مايو، ١٩١٨م - يناير، ٢٠٠٨م) كانت آخر مُتحدِّث للغة إياك، ولدت فى كوردوفا، ألاسكا.

فى مقابلةٍ عام ٢٠٠٥م وضَّحت سميث جونز أن اسمها بلغة إياك هو Udach' Kuqax a'a'ch، والذى يتَرْجَم حسب قولها إلى «صوت ينادى الناس من بعيد».

■ **مالك حدّاد** Malek Haddad

مالك حدّاد (١٩٢٧م – ١٩٧٨م) شاعر وكاتب وروائى جزائرى أصله من منطقة القبائل، وُلِدَ بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائرى لأب أمازيغى، جاء إليها قبل سنوات، وفيها عاش طفولته وتلقَّى تعليمه الأول، ثم التحق بجامعة إكس أون بروفانس بفرنسا، وحصل على شهادة فى الحقوق.

يعْتَبِرُ حدّاد أن تاريخ ميلاده الحقيقى هو ٨ مايو ١٩٤٥م، وهو اليوم الذى خرج فيه الجزائريون إلى الشوارع مُطالِبين بالحرية التى وعدتهم بها فرنسا إن هم وقفوا معها ضد هتلر، لكنها قابلتهم بالرصاص الذى حصد منهم ٤٥ ألف شهيد.

برمجت هذه المجازر الرهيبة مالك حداد على نشدان الحرية، والنزوع نحو الثورة، وهو الخيار الذى اعتنقه بعد اندلاعها منتصف خمسينيات القرن العشـرين، فكان أحدَ أصواتها القوية بلسانٍ فرنسى أدهش الفرنسيين أنفسهم.

عاد مباشرة بعد الاستقلال إلى قسنطينة، تلك المدينة التى سكنت نفسه ونَصَّه، وقرَّر أن يرْعَى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثقافى ليومية «النصر»، ثم مجلة «آمال» التى أسَّست لجيل أدبى جديد.

كان حدّاد يرى فى الأصوات الجديدة عزاءه بعد أن قرَّر «الصمت الإبداعى»، فتحوَّل إلى مدرسة أدبية فى الرواية والشعر، ومن المفارَقة أن معظم المنخرطين فيها من الكُتّاب باللغة العربية.

لقد كان توليه الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الجزائريين، واضطلاعه بمنصب عال فى وزارة الثقافة والإعلام فى عهد الرئيس الراحل هوارى بومدين – نافذة منحت بصيصًا من الأمل للمواهب الجديدة، ولكنه قوبِلَ بالانتقاد من المعارضة التى رأت أنه زكَّى نظامًا قامعًا للحريات.

رحل مالك حدّاد فى الذكرى السادسة عشـرة لاستقلال الجزائر عام ١٩٧٨م، مُخلِّفًا رصيدًا أدبيًّا يحلم بالترجمة، يتكوَّن من أربع روايات هى «الانطباع الأخير»، و«سأهبكِ غزالة»، و«أنا المعلم والتلميذ» و«رصيف الزهور لا يجيب»، وله أيضًا ديوانان شعريان هما «الشقاء فى خطر» و«أسمع وأناديك»، ودراسة واحدة هى «الأصفار التى تدور فى الفراغ».

وهكذا كان مالك حداد نموذجًا للكاتب الجزائرى الذى يعيش حالة اغتراب لغوية.

مؤلفات أ.د./ محمد محمد داود

فى مجال الدراسات اللغوية:

١) القرآن الكريم وتفاعل المعانى (جزءان)، نشر دار غريب.
٢) الدلالة والحركة فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
٣) الدلالة والكلام فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
٤) العربية وعلم اللغة الحديث، نشر دار غريب.
٥) الصوائت والمعنى فى العربية، نشر دار غريب.
٦) اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر، نشر دار غريب.
٧) حرب الكلمات فى الغزو الأمريكى للعراق، نشر دار غريب.
٨) دموع الشوباشى بين يدى سيبويه، نشـر شركة يمامة للإنتاج الإعلامى.
٩) اللغة وكرة القدم، نشر دار غريب.
١٠) لغويات محدثة، نشر دار غريب.
١١) جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية، نشر دار غريب.
١٢) كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، نشـر دار المنار.
١٣) معجم التعبير الاصطلاحى فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
١٤) معجم ألفاظ الكلام فى العامية المعاصرة، نشر دار غريب.
١٥) المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، نشر دار غريب.
١٦) معجم الفروق الدلالية بين كلمات القرآن، نشر دار غريب.
١٧) جدلية اللغة والفكر، نشر دار غريب.
١٨) كلمات القرآن عبر الزمن (لماذا كتب لها الخلود؟)، نشـر دار الهلال.
١٩) اللغة فى محراب القدس (شريك المقاومة وسجل الحقائق)، نشـر دار الهلال.
٢٠) الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم فى ضوء علم اللغة الحديث، نشر دار الهلال.
٢١) استدراك ما فات على المعجم الوسيط (مما ورد فى المعجمات الحديثة وأقره الاستخدام اللغوى المعاصر)، نشر دار غريب.
٢٢) المغفـرة (بين الشعر الجاهلى والقرآن الكريم)، نشر دار المنار.

فى مجال تحقيق التراث:

١) كشف المعانى فى متشابه المثانى، لابن جماعة، نشر دار المنار.
٢) شرح كافية ابن الحاجب، لابن جماعة، نشر دار المنار.
٣) مشتبهات القرآن الكريم، للكسائى، نشر دار المنار.
٤) معجم الألفاظ القرآنية، للقليبى، نشر دار الآداب.
٥) المختار من مدائح المختار ﷺ للشـاعر الشـهيد يحيى الصـرصرى، نشـر دار المنار (فاز هذا الكتاب بجائزة مجمع اللغة العربية عن تحقيق التراث لسنة ٢٠٠٤).
٦) تحية الوداع للأديـب كامـل كيلانـى، نشر دار المنار.
٧) المنهل العذب المورود (شرح سنن أبى داود)، نشر دار المنار.

فى مجال الدعوة الإسلامية:

١) آلام أمة بين القدس وغدر اليهود، نشر دار المنار.
٢) مواقف وعبر (٥جـ × ١مجـ)، نشر دار المنار.
٣) موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينة، نشر دار المنار.
٤) القرآن وصحوة العقل، نشر دار المنار.
٥) الملاذ الآمن، نشر دار المنار.
٦) عزيزى الملحد (أسئلة الملحدين أمام العقل والعلم)، نشـر دار نهضة مصر.
٧) الإسلام والزمن المقبل، نشر دار المنار.
٨) من أدب الدعوة، نشر دار المنار.
٩) شفـــاء، نشر دار المنار.
١٠) الحوار الحق (فى الاستدلال العقلى مع الآخر)، نشر نهضة مصر.
١١) كـما حج النبى (دقائق المعانى فى حجة الوداع من القرآن الكريم والسـنة النبوية المطهرة)، نشر دار المنار.

موسوعات بالاشتراك:

١) موسوعة بيان الإسلام (الرد على الشبهات)، نشر دار نهضة مصر.
٢) المعجم الموسوعى للتعبير الاصطلاحى فى اللغة العربية، نشـر دار نهضة مصر.